بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

مكي ابن أبي طالب وجهوده النحوية من خلال تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)

"دراسة نحوية وصفية في النصف الأول من القرآن الكريم"

The Grammatical Efforts of Makki Ibn Abi Taleb through the Interpretation of the Book (Alhidaia Ela Boloogi Alnihaia)

(A Grammatical, Descriptive Study in the First Half of the Holly Quran)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص (النَّحو والصَّرف)

إعداد الدارس

عماد عوض الزين علي

إشراف الدكتور

محمد علي أحمد عمر

(1440هـ 2019م)

آيـــة

قال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾

سورة النمل، من الآية (19)

إهـــــــداء

أهدي هذه الدراسة إلى من تحمل صعاب الحياة ومرارة العيش، وكلت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير أبي رمز العطاء.

إلى من أرضعتني الحب والحنان، وعلمتني الصدق و الإخلاص والمثابرة أمي رمز الحنان والصفاء.

إلى رمز الأصالة زوجي المخلصة الصابرة وأبنائي (فاطمة وأسماء ورميساء وعبد الرحمن) رمز السعادة والهناء، حفظهم ربي ورعاهم.

إلى من كانوا لي سندًا وعونًا بكل خطوة من خطوات حياتي، إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إخواني الكرام رمز المحبة والضياء.

إلى أستاذي البروفسور محمد علي أحمد عمر الذي وقف إلى جانبي طيلة فترة الدراسة والإعداد لهذه الرسالة حفظه الله ورعاه ، وأدامه ذخرًا للإسلام والمسلمين وللغة هذا الدين .

إلى أصدقائي وزملائي الذين التقيت بهمم في رحاب العلم ورياضه، وأخص منهم الدكتور عبد القيوم حسين عبد القيوم، أُهدي هذه الدراسة.

الدارس

شكر تقدير

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ سورة لقمان الآية: (14)

التزامًا مني بنص هذه الآية القرآنية المباركة فإنني أشكر الله سبحانه وتعالى الذي خلقني وهداني ووهبني من نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة فله الحمد وله الشكر وله المنة والفضل كله، ، ولا يفوتني إيصال شكري وامتناني وتقديري إلى والدي الحبيبين اللذين كانا السبب في وجودي، فمهما قلت وفعلت وقدمت وأعطيت فلن أستطيع أن أوفيهما حقهما، لكن عزائي أنني ألتمس رضاهما عني في الحياة الدنيا، داعيًا المولى تبارك وتعالى أن ينعم عليهما بالصحة والعافية، وحسن الخاتمة.

كما يطيب لي أن أتقدم في هذا المقام إلى من وسعني عقله وقلبه ووقته، وغمرني بفيض علمه، وشملني بوافر جهده، وحسن توجيه، وصائب رأيه ما أضاء لي جنبات الطريق، وسلك بي مستقيمه، وذلل لي صعابه البرفسور محمد علي أحمد عمر.

ثم الشكر إلى جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا صرح العلم ومنارة العلماء القلعة الشامخة في مجال العلم، والشكر موصول إلى أسرة مكتبة جامعة السودان ومكتبة أم درمان الإسلامية، ومكتبة جامعة سنار، كلية الآداب، وإلى كل من مد لي يد العون بالشكر والتقدير.

الدارس

مستخلص البحث

تناول الدارس مكي ابن أبي طالب وجهوده النحوية من خلال تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية، وهدف الدارس إلى إبراز شخصية مكي أنموذجًا يحتذى به في التحصيل العلمي، وبيان موقفه من أصول الاستشهاد اللغوي، ودراسة الجهود النحوية من خلال اختياراته واعتراضاته على بعض النحويين، ومن ثم تقويم هذه الجهود والوصول بها إلى نتائج تفيد الدراسين.

واتبع الدارس المنهج الوصفي، متتبعًا الجهود النحوية عند مكي، واعتمد على طريقة الاختيار والانتقاء محاولة لتغطية الدراسة بقدر الإمكان؛ لأنَّ استقصاء كل الجهود فيه تطويلٌ؛ والدراسة لا تحتمله.

وخرج البحث بعد عرض مادته بنتائج منها: موقف مكي من أصول الاحتجاج اللغوي فاستشهد بالقران والقراءات وأقوال العرب وأشعارها، أما الحديث النبوي فلم يقف الدارس إلا على شاهد واحد له، كما تعرض مكي لآراء بعض النحويين، وقد كانت له وقفات انتقادية معتدلة عند بعض آرائهم.

Abstract

The researcher discussed Makki Ibn Abi Taleb and his grammatical efforts through his interpretation of (guidance or each the end). The researcher aimed to show Makki's personality as model in scientific achievement and clarify his attitudes of some linguistic argumentation, to study grammatical efforts within Makki's choices and objections on some grammariarians by judging such efforts into results benefit the students.

The researcher followed the descriptive methodology, following the grammatical efforts of Makki, and relied on the method of selection as to cover the study as much as possible.

The research came out - after the presentation of the study article- into results including: Makki's attitude on the origins of linguistic argumentation cited in holy Quran and readings and Arabs' sayings and poetry, while in the prophetic Hadith the researcher discussed only one evidence, as Makki was exposed to the views of some grammarians, and had a moderate critical opinion at some of their views.

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ﴿...مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ سورة الكهف الآية: (17)، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾سورة إبراهيم الاية: (4)

هكذا اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ذلك الكتاب المعجز والخاتم لكل رسالات السماء إلى الأرض، وحري بلغة هذا شأنها أن تكون أوسع اللغات مذهبًا، وأكثرها لفظًا، وأجلها إفصاحًا وبيانًا.

يتناول الدارس في هذه المقدمة: الموضوع وسبب اختياره، وأهدافه، والمنهج المتبع، ومادة الدراسة، والجهود السابقة، ثم خطة الدراسة.

أولًا- موضوع البحث موضوع :

هذا البحث (مكي وجهوده النحوية) من خلال تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية، ومما دعا الدارس لتناوله بالبحث: بعد فراغه من الماجستير عن الجهود النحوية لابن الجوزي تقرر في ذهنه أنَّ القران أفضل مصدر تؤخذ منه اللغة، إنَّ ما اجتمع من أخبار مكي- رحمه الله- وما ذكر عنه ليدل دلالة لا جدال فيها أنه عالم حري بالدراسة جدير بالتقييم، فهو علم من أعلام النَّحو، وإمام من أئمة الثقافة وشيخ من شيوخ اللغة، رغبته في علم يتصل بأشرف العلوم رجاء أن تشمله بركة هذا الكتاب العزيز، كذلك الجهود النحوية لمكي في تفسيره مبنية بين وجوه التفسير ووجوه الإعراب ومن خلال هذا الربط اعترض مكي على بعض آراء النحاة مما يعد

تربة خصبة لدراسة هذه الآراء، ويعتمد هذا البحث استعراضه للجهود النحوية في تفسيره، ويبدأ في دراسة أقواله، ثُمَّ يتبعها وصفًا حسبما قرره أهل هذا الفن، مكتفيًا بذكر بعض النماذج، والله أسألُ التوفيق والسداد.

ثانيا- مشكلات البحث:

تكمن مشكلات البحث في الآتي:

1- ما مدى تأثير البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية في تكوين شخصيته العلمية؟

2- ما المصادر التي أخذ منها والمنهج الذي اتبعه؟

3- ما موقفه من أصول النحو العربي؟

4- ما موقفه من المذاهب النحوية؟

5- ما القواعد التي اعتمدها في الاستدلال النحوي؟

ثالثًا- أهداف البحث:

يهدف هذا البحث (مكي ابن أبي طالب وجهوده النحوية) إلى النظر في الجهود النحوية في تفسيره، محددًا ما ورد فيه من جهود نحوية مما ذكره النحويين، ويرجى له أن يحقق الأهداف التالية:

1- وصف عصره وما طرأ فيه من متغيرات سياسية واجتماعية وثقافية كان لها الأثر في شخصية مكي.

2- إبراز شخصية مكي كأنموذج يحتذى به في التحصيل العلمي وذلك أنه رجل عرف بسعة الاطلاع، والتحصيل والتأليف، وكثرة الرحلة في طلب العلم.

3- بيان مصادره و منهجه.

4- بيان موقفه من أصول النحو العربي.

5- بيان موقفه من البصريين و الكوفيين و مذهبه النحوي.

6- دراسة الجهود النحوية من خلال اعتراضته، واختياراته على بعض آراء النحويين، ومن ثم تقويم هذه الجهود والوصول بها إلى نتائج تفيد الدراسين.

رابعًا- حدود البحث:

يختصر الدارس بحثه في الجهود النحوية في تفسير مكي ولا يتعداه إلى غيره إلا فيما دعت إليه الضرورة.

خامسًا- منهج البحث:

يتبع الدارس المنهج الوصفي آخذًا من أدواته التحليل، متتبعًا الجهود النحوية عند مكي، ثُمَّ استقراء هذه المادة وتحليلها، ويعتمد على طريقة الاختيار والانتقاء محاولة لتغطية الدراسة بقدر الإمكان؛ لأنَّ استقصاء كل الأمثلة فيه تطويلٌ؛ والدراسة لا تحتمله.

سادسًا- الدراسات السابقة:

حظي هذا العلم بمجموعة من الدراسات المختلفة منها:

1- دراسة فاخر بن بريكان القرشي، عن منهج مكي ابن أبي طالب في الترجيحات من خلال تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى1403هـ، تحدث فيها الدارس عن منهجه في الترجيحات في التفسير.

2- دراسة ثريا علي الصايم، عن آراء مكي بن أبي طالب النحوية والصرفية من خلال كتابه مشكل إعراب القران وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أمدرمان الإسلامية، كلية اللغة العربية 2003م، تحدثت الدارسة عن حياتة بصفة عامة ، ثمَّ آرائه النحوية والصرفية.

3- دراسة عباس السر محمد على، عن الجهود الصوتية للإمام مكي ابن أبي طالب، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أمدرمان الإسلامية، كلية اللغة العربية 1426هـ-2005م قد كان عمل الدارس معتمدًا على تتبع الجهود في كتب مكي خاصة كتبه في مجال اللغة وفي أمهات كتب القراءات والنحو، إلا أن الدارس لم يعثر على دراسة سابقة تبنت شيء من الجهد النحوي في هذا التفسير، وهناك بعض الدراسات التي اختصت بالجهود النحوية، لبعض العلماء منها:

1- دراسة أماني عبد الرحيم عبدالله حلواني تحت عنوان (الشيخ خالد الأزهري وجهوده النحوية) رسالة ماجستير مُقدمة لجامعة مكة المكرمة، كلية التربية للبنات 1403هـ ـ1404هـ، وقد وصفت الدراسة الشيخ خالد بالتأليف ثُمَّ دراسة منهجه من خلال مؤلفاته، وجهوده النحوية من خلال موقفه من أصول النحو ومذهبه واختياراته، وقد التقت الدراسة مع بحثي في جميع عناصره، واختلفت في ترتيب المادة.

2- دراسة محمد عبد القادر هنادي تحت عنوان جهود الفخر الرازي في النحو والصرف، وهي رسالة دكتوراه مُقدَّمة لجامعة أم القرى 1405هـ1985م احتوت الدراسة على ذكر عصره وحياته ومصادره وآراءه النحوية في موافقته للبصريين والكوفيين وآرائه الصرفية ومنهجه ومذهبه النحوي، وقد التقت الدراسة مع بحثي في منهجه ومذهبه النحوي، وآرائه النحوية واختلفت معها في أنها جمعت آرائه الصرفية.

3- دراسة سلمى محمد حسن تحت عنوان (العاتكي وجهوده النحوية) من خلال شرحه للشذرة الذهبية لأبي حيان، وهي رسالة ماجستير مُقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية كلية اللغة العربية 1429هـ - 2008م، وقد احتوت الدراسة على ترجمة العاتكي وعصره اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا ومصادر الكتاب ومنهجه وموقفه من أصول الاحتجاج اللغوي وموقفه من أبي حيان ومذهبه النحوي واختياراته، وقد التفت الدراسة مع بحثي في جميع عناصره، وقد ذكرت اعتراضاته على بعض آراء النحويين.

4- دراسة عائشة محمد ابراهيم تحت عنوان جهود أبي حيان النحوية من خلال كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب)ـ وهي رسالة دكتوراه مُقدَّمةٌ لجامعة أمدرمان الإسلامية كلية اللغة العربية 1430هـــ2009م.احتوت الدراسة على عصر أبي حيان وحياته وموقفه من مصادر الاحتجاج اللغوي وأصول النحو وموفقه من البصريين والكوفيين ومذهبه واختياراته في الأسماء والأفعال والحروف، وقد اتفقت الدراسة مع بحثي في جُلِّهِ، وقد اختلفت في الاعتراضات والاختيارات فقد رتبتها وفق ترتيب السور.

5- دراسة فريدة عبد الوهاب سعيد غانم تحت عنوان منهج المرادي ومذهبه النحوي1432هـ ـ2011م، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية كلية اللغة العربية، وقد مهدت الدارسة بتمهيد احتوى على بداية تدوين النحو ومذاهبه، ثُمَّ تناولت الدارسة عصره وحياته، ثُمَّ منهجه، وأخيرًا مذهبه واختياراته، وقد التقت الدراسة مع بحثي في جميع عناصره، مع احتلاف في ترتيب العناصر.

6- دراسة حسن بن عبدالعزيز بن بابو فاتح تحت عنوان (منهج ابن ابن القيم ومذهبه النحوي) من خلال كتابه (إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك)، وهى رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية كلية اللغة العربية 1432هـ، وقد احتوت الدراسة

على ترجمة ابن ابن القيم وعن الكتاب ومصادره وموازنة بين شرح ابن ابن القيم وشرحي ابن الناظم وابن عقيل، ثُمَّ عن موقف ابن ابن القيم من مصادر الاحتجاج اللغوي، وموقفه من المدارس النحوية وموقفه من أصول النحو ومذهبه واختياراته، وقد التقت الدراسة مع بحثي في جميع عناصره وافترقت في أني لم أعقد موازنة مع غيره، وترتيب العناصر.

7- دراسة أمين بابكر محمد الأمين تحت عنوان (ابن جرير الطبري وجهوده النحوية) في تفسيره جامع البيان، وهى رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية كلية اللغة العربية 1433ه ــ2012م، وقد احتوت على مقدمة بينت عصره وثلاثة أبواب الأوَّل ترجمة الطبري والثاني شخصية الطبري النحوية والثالث جهوده النحوية، وقد وافقت الدراسة بحثي في جميع عناصره، واختلفت في أني قسمت جهوده النحوية وفق اعتراضاته واختياراته ، وهذه الدراسة من أكثر الدراسات شبهًا ببحثي لأنَّ كلاهما يبحثان في الجهود النحوية لمفسرين.

سابعًا- هيكل البحث:

يقسم الدارس بحثه على أربعة فصول تقدمها تمهيد عن عصر مكي وما طرأ فيه من تغيرات سياسية واجتماعية وفكرية ومؤثرات ذلك عليه وتعقبها خاتمة تشتمل على النتائج والتوصيات، وفق الآتي :أَمَّا المقدمة والتمهيد فقد تقدمت عناصرهما، وأَمَّا الفصل الأوَّل، فعن أثر البيئة في تكوين شخصية مكي العلمية وصفاته ومذهبه وحياته العلمية وأخلاقة .

أمَّا الفصل الثاني، فعن موقف مكي من أصول النحو: يحتوي من أصول النحو العربي.

أما الفصل الثالث، فعن موقفه من البصريين والكوفيين ومذهبه النحوي: يحتوى على موقفه من المذهبين البصري والكوفي واعتراضاته على بعض آراء النحاة.

أما الفصل الرابع، فعن اختياراته النحوية.

ثامنًا- مصاد البحث ومراجعه:

المصدر الأساسي لهذا البحث، هو تفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية) لمكي، بتحقيق، أ،د: الشاهد البوشيخي، نشر جامعة الشارقة، كلية الشريعة الطبعة الأولى 1429هـ ـ 2008م، لأنَّه- في نظري - أفضل تحقيقٌ والله أعلم، ولارتباط الدراسة بشخصية مكي- رحمه الله- من خلال تفسيره مبتغيًا لجهده النحوي تنوعت المصادر والمراجع في كتب التراجم والنحو والتفسير واللغة.

وبعد، فأسأل الله أن أبلغ غاية البحث، فإن أصبت فحمدًا لله على توفيقه، وإن أخطأت فالحق أردت ولكل امرئ ما نوى.

الفصل الأوَّل: ترجمة مَكِّيّ بن أبي طالب

المبحث الأوَّل: توجيهات البيئة لشخصية مَكِّيّ

المبحث الثاني: صفات مكي وأخلاقه، عقيدته ومذهبه

المبحث الثالث: حياة مكي العلمية

المبحث الرابع: آثار مكي العلمية

المبحث الأوَّل

توجيهات البيئة لشخصية مَكِّيّ

أوَّلا: التَّعْرِيْفُ بالمُؤَلِفِ:

هو مَكِّيّ بن أبي طالب حموش[1] بن مختار القيسِيِّ[2] القيروانِيِّ[3] القُرْطُبِيِّ[4] المغربيِّ ثم الأندلسيِّ[5]، أمَّا كنيته فأبو محمد[6]، كثرت ألقابه لمكانته وشرفه، لقب بالمقرئ، والخطيب، وشيخ الأندلس[7]، والفقيه والأديب[8].

---

[1]/ حموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم وسكون الواو وشين معجمة تصغير محمد عند المغاربة ينظر: (ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين بن أحمد المتوفى (681هـ)، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر(ط) 1900 م ،377/5

[2]/ نسبتة الى قيس غيلان من قبائل اليمن انتشروا بافريقية ينظر: (ابن الأثير علي بن أبي الكرم المتوفى(630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر (ت/ط)69/3

[3]/ مدينة بالمغرب عند افريقية قال الأزهري القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديمًا قال امروؤ القيس:

وغارة ذات قيروان *****كأن أسرابها الرعال. ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان،مصدر سابق،420/4

[4]/ بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء المهملة وفي آخرها الياء الموحدة هذه النسبة الى قرطبة وهي بلدة كبيرة في بلاد المغرب ينظر: (السمعاني عبد الكريم بن منصور المتوفى (562هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني، مجلس دار المعارف العثمانية حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى 1382هـ /1962م، 274/10

[5]/ الذهبي، محمد بن عثمان المتوفى(748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى1417هـ /1977م، الطبقة العاشرة 220/1

[6]/ الذهبي، العبر في تاريخ من عبر، تحقيق أبوهاجر السعيد البسيوني ذغلول، دار الكتب العلمية بيروت، (ت/ط) 273/2

[7]/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[8]/ ابن فرحون ابراهيم بن علي المتوفى(799هـ)، الديباج في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للنشر(ت/ط)، 343/2

أمَّا مولده فالقيروان عند طلوع الشمس، أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة[1] فهي أصله وعلى شيوخها نشأ[2]. لم أعثر في كتب التراجم شيئًا عن عن أسرته– وإن كانت ذات مكانة اجتماعية دفعت بولدها لتلقي العلم والرحلة من أجله – سوى ابنه محمد الذي ولد سنة أربعمائة، وتوفى في يوم الثلاثاء لخمس خلون من المحرم سنة أربع وسبعين وأربعمائة، روى عن أبيه أكثر ما عنده، وسمع معه على القاضي يونس[3]، وأجاز لهما لهما مارواه[4].

وأخذ مكي– رحمه الله– يتردد منذ صباه الباكر بين مسقط رأسه: القيروان، وبلاد الشرق: مصر والحجاز، حتى رحل إلى الأندلس، واستقر به المقام في قرطبة فسكن فيها منذ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة[5].

ثانيًا: التَّعْرِيْفُ بالمُؤلَفِ:

عمد مَكِّيّ – رحمه الله – إلى كتب الذين سبقوه في التفسير، فأشبعها دراسة، وأفاد منها جميعًا، ووضع تفسيره هذا وسطًا بين الطويل الممل والاختصار المخل. يقول مَكِّيّ في مقدمته: (هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له. وذكرت

---

[1]/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 374/3

[2]/ الضبي، بغية الملتمس، مصدر سابق،469/1

[3]/ يونس أبو الوليد عبد الله بن أحمد بن مغيث يعرف بابن الصفار، قرطبي ، كان أولًا يتولى بنو أمية فلما انقرضت دولتهم انتمى في الأمصار ينظر: ابن فرحون، الديباج، مصدر سابق،374/2

[4]/ ابن بشكوال، الصلة، مصدر سابق 523/1

[5]/ ابن بشكوال، الصلة، مصدر سابق،598/1

المأثور من ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده. جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ، أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره؛ من قراءة غريبة، أوإعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها. جعلته: في كشف علم ما بلغ إلي من علم كتاب الله تعالى ذكره مما وقفت على فهمه ووصل إلي علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفقهاء ومجالس القراء، ورواية الثقات من أهل النقل والروايات، ومباحثات أهل النظر والدراية. جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنون علومه مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسيروالمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية)[1].

بعد التأمل في هذه المقدمة اتضح للدارس أن مَكِّيّ قسم مصادره الى نوعين:

[1] / مَكِّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى/1429هـ /2008م ، 1/74-75

أ/ المصادر العامَّة وهي التي لا يجمعها من كتاب معين، وإنَّما هي متفرِّقة في كتب مختلفة، ولم ينصّ مَكِّيّ على هذه الكتب، وإنَّما أشار إلى مادتها وموضوعاتها،وهي حسب ترتيبها ما يلي:

1/ مشهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم كابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء ابن أبي رباح وعكرمة...وغيرهم

2/ المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم من روايته أو ماصح من رواية غيره مع إضربه عن الأسانيد ليخف قراءته وحفظه.

3/ ألفاظ العلماء ومذاكرات الفقهاء ومجالس القراء ورواية الثقات.

ب/المصادر الخاصة وهي التفاسير التي صرح بها في مقدمته وبين مقدار اعتماده عليها وهي:

1/كتاب الاستغناء لشيخه أبي بكر الأفودي

2/ الجامع في تفسير القران لابن جرير الطبري

3/كتاب أبي اسحاق الزجاج

4/تفسير ابن عباس

5/الناسخ والمنسوح لابن سلام

6/معاني القرآن للفراء

أما المنهج فلقد نص مكيّ– رحمه الله– على المنهج الذي اتبعه في تفسيره وهذه أبرز معالمه:

1/عَوَّلَ في تفسير الآي على ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، وعن الصحابة والتابعين دون ذكر الشاذ حسب مقدرته.

2/ بين الغرض من هذا المولف.

3/ قَدَّم في أوله جملة من علل الإعراب ثم تدرج في تقليلهاخشية الإطالة.

4/ بين الغرض من تسميته .

5/ أبان بأن المقصود من إضرابه عن الأسانيد ليخف حفظه، وليس هذا قدحاً فيه لأنه اشرط الصحة في الرواية من حفظه أو من حفظ غيره.

ثالثًا: الحياة السياسية:

ينبغي التعرف على الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية للتعرف على مكونات البيئة على شخصية مكي، يقول ابن خلدون عن التاريخ: (اعلم أنّ فنّ التّأريخ فنّ عزيز المذهب جمّ الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتّى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا ...)[1].

[1]/ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد المتوفى(808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ـ1408هـ –1988م 13/1

كانت الأندلس بعد الفتح سنة اثنين وتسعين تابعة للدولة الأموية، وبعد سقوط الدولة الأموية فر عبد الرحمن الداخل من العراق ودخل الأندلس، وتولى الحلافة سنة ثمان وثلاثين ومئة وانتقلت الخلافة الى أسرته حتى سنة اثنين وعشرين وأربعمائة خلافة المعتمد، وبلغت الأندلس غايتها في حكم عبدالرحمن الناصر وابنه المستنصر، ثم تولى الحكم هشام بن عبدالرحمن الناصر سنة ست وستين وثلاثمائة، فسيطر على الحكم الحاجب المنصور بن أبي عامر بعد انتصاره في حربه ضد القشتاليين مسترضيًا الفقهاء بإحراقه كتب الفلاسفة، وتولى الوزارة بعد وفاته ابنه الملك المظفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة وسار على نهج والده سبع سنين، ثم تقلد أخوه عبدالرحمن الأمر من بعده، وكان خليعًا مستهترًا طامعًا في الخلافة، فأرغم هشامًا على توليته الأمر مما أثار الآخرين عليه فارغموه على التنازل وتولية محمد بن هشام، ثم اتفقوا ضده على بيعة سليمان بن الحكم وبايعوه، فوقعت فتن وحروب كثيرة منها: البربرية، وثورة أهل قرطبة وثورة الحموديين، وثورة الجندل، وحاول بعض الخلفاء اصلاح الأمور لكنهم لم ينجحوا فانفرط عقد الخلافة وانتهت بقيام ممالك مستقلة في كل مدينة أبرزها: الجهورية، والبربرية، والعبادية، والحمودية، والعامرية، وبنو مرين، والهودية[1].

ولعلاقة مَكِّيّ- رحمه الله- بقرطبة أتناول بإيجاز دولة ابن جهور، الذي كان رئيس الجماعة أيام الفتنة بقرطبة فهو: أبو الحزم محمد بن جهور بن عبيد الله ابن محمد بن الغمر بن يحيى بن أبي المغافر بن أبي عبيدة الكلبيّ، هكذا نسبه ابن بشكوال وأبو عبيدة هو الداخل إلى الأندلس[2]، وكانت لهم وزارة الدولة العامرية بقرطبة واستبد ابن جهور هذا سنة اثنتين وعشرين

---

[1]/ أبوجعفر الضبي أحمد بن يحيى المتوفى(599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي القاهرة، (ط)1967م ،1-24 (بتصرف)

[2]/ ابن بشكوال القاسم خلف بن الملك المتوفى(578هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي الطبعة الثانية1374هـ /1955م ،130/1

وأربعمائة، لما خلع الجند المعتز آخر خلفاء بني أمية، ولم يدخل في أمور الفتنة، فاستولى على المملكة ورتب الأمور، ولم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة، وكان على سنن أهل الفضل يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي، ويصلي التراويح ولا يحتجب عن الناس فأسندوا أمرهم إليه إلى أن يوجد خليفة إلى أن خاطبهم محمد بن إسماعيل ابن عباد يعرّفهم أن هشامًا المؤيد عنده بإشبيليّة، وأكثر في ذلك فخطب له بقرطبة بعد مراوضات، ثم أتي به إلى قرطبة فمنعوه الدخول وأضربوا عن ذكره في الخطبة وانفرد ابن جهور بأمرهم إلى أن هلك في محرم سنة خمس وثلاثين واربعمائة ودفن بداره وولي ابنه أبو الوليد محمد بن جهور باتفاق من الكافة فجرى على سنن أبيه، وكان قد قرأ على مَكِّيّ بن أبي طالب وغيره فكان مكرمًا لأهله، واستوزر ثقته إبراهيم بن يحيى فكفاه، وهلك كما هو معروف، ففوّض التدبير إلى ابنه عبد الملك فأساء السيرة، وتكرّه إلى الناس وحاصره ابن ذي النون بقرطبة، فاستغاث بمحمد ابن عباد فأمده بالجيش، ووصى عسكره بذلك فداخلوا أهل قرطبة وخلعوه سنة إحدى وستين وأخرجوه عن قرطبة[1].

واستمرت حكومة الجماعة هذه برئاسة ابن جهور تدير أمر قرطبة وما يتبعها قرابة اثنتي عشرة سنة، سادت فيها السكينة والأمن وبدأت الحياة الإقتصادية في الانتعاش بعد أن أمن التجار على أموالهم نتيجة القسوة التي فرضت على المتلاعبين بأمن المنطقة، أما المشرق فبالرغم من وجود الخلافة العباسية في بغداد كان مقسمًا الى دويلات صغيرة من البويهيين والسامنيين والحمدانيين والإخشيديين والقرامطة والفاطميين[2]

---

[1]/ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، مصدر سابق، 204/4

[2]/ خليل ابراهيم السامراى، عبدالواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 200م ص 255

رابعًا: الحياة الاجتماعية:

أما سكان الأندلس فقد كانوا من عناصر متباينة ، وجعلهم هذا التباين لا يهدءون ولا يستقرون، بل دائمًا في ثورات وحروب داخلية، وأكبر الظن أن هذه الثورات والحروب هي التي جعلت الأندلس لا تستفيد كثيرًا من الحضارات القديمة التي اتصلت بها سواء الحضارة الفينيقية أو الحضارة الرومانية[1].

صور التلمساني المجتمع الأندلسي باسلوبه الأدبي تصويرًا دقيقًا قال:(اعلم أن فضل أهل الأندلس ظاهر، كما أن حسن بلادهم باهر، ولذلك ذكر ابن غالب في " فرحة الأنفس " لما أثنى على الأندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم – من أجل ولاية الزهرة لبلادهم – حسن الهمة في الملبس والمطعم، والنظافة والطهارة، والحب للهو والغناء، وتوليد اللحوم، ومن أجل ولاية عطارد حسن التدبير، والحرص على طلب العلم، وحب الحكمة والفلسفة والعدل والإنصاف[2].

خامسًا: الحياة الفكرية والثقافية:

شهد عصر مَكِّيّ حراكًا دنيًا واذدهارًا ثقافيًا كان له الأثر في شخصية مكي– رحمه الله، فكانت القيروان مولد مَكِّيّ بن أبي طالب دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم، وكانت موطناً للزهاد والصالحين، والفضلاء والمتبتلين[3].

---

[1]/ شوقي ضيف،أحمد شوقي عبد السلام المتوفى(1426هـ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية عشرص410

[2]/ التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ المتوفى(1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الأولى1968م 150/3

[3]/المراكشي، عبد الواحد بن علي المتوفى(647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا بيروت، الطبعة الأولى1426هـ /2006م/ 255/1

وكانت– حين ولد مكي– تحت حكم المعز لدين الله الفاطمي، الذي استخلف عليها حين ارتحل إلى مصر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة– بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، وسرعان ما أعلن هذا استقلاله، وأسس الدولة الزيرية[1].

فمع النفوذ الشيعي الفاطمي استطاع بعض فقهاء المالكية أن يصلوا إلى ديوان الحكم في دولة صنهاجة وأثروا في بعض الوزراء والأمراء الذين كان لهم الفضل بعد الله في تخفيف ضغط الدولة على علماء أهل السنة، وأخص بالذكر العلامة أبو الحسن الزجال الذي اجتهد على الأمير المعز بن باديس في تربيته على منهج أهل السنة والجماعة، وأعطت هذه التربية ثمارها بعد ما تولى المعز إفريقية، وكان عمل العلامة أبو الحسن في السر بدون أن يعلم به أحد من الشيعة الذين كانت الدولة دولتهم، وكان هذا العالم فاضلاً ذا خلق ودين وعقيدة سليمة، ومبغضًا للمذهب الإسماعيلي الشيعي، واستطاع أن يزرع التعاليم الصحيحة في نفسية وعقلية وفكر المعز بن باديس الذي تم على يديه القضاء على مذهب الشيعة الإسماعيلية في الشمال الإفريقي[2].

وأمَّا قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن بن جهور، وكان من وزراء الدولة العامرية، وبقي كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وقام بأمر قرطبة بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور[3].

---

[1]/ محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، موسسة إقراء للنشر والتوزيع القاهرة ، الطبعة الأولى1427هـــ/2006م ص93

[2]/الصلابي، الدولة الفاطمية، مصدرسابق، ص95

[3]/ أبو الفداء، عماد الدين بن اسماعيل صاحب حماة المتوفى(732هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى(ت)147/2

يقول التلمساني في حراكها الديني: (... وعدد أرباضها[1] واحد وعشرون، في كل ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره، وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، في كل واحدة منبر وفقيه مقلّص تكون الفتيا في الأحكام والشرائع له، وكان لا يجعل القالص عندهم على رأسه إلاّ من حفظ الموطّأ، وقيل: من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلّم وحفظ المدوّنة، وكان هؤلاء المقلّصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة، ويسلّمون عليه، ويطالعونه بأحوال بلدهم) [2].

وفي بلاد المشرق التي ارتحل إليها مَكِّيّ دويلات تتنازع مجد العلم والأدب، كما تتنازع السلطان، فكانت – من أجل ذلك– خيرًا وبركة على العلم والعلماء[3].

وحين قصد مَكِّيّ بلاد الأندلس كانت الخلافة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة، اقتسمها أصحاب الأطراف والرؤساء، وصاروا مثل ملوك الطوائف[4].

وكان بالأندلس حينئذ حضارة نامية مزدهرة، مما جعلها مقصدًا لطلاب العلم، ورواد المعرفة، واجتهد الخلفاء الأمويون وملوك الطوائف من بعدهم في مباراة أهل المشرق فأخذوا بألوان الحضارة، وضروب التقدم الفكري، واشتهرت قرطبة في ذلك العصر بمسجدها الجامع، ولم يكن هذا المسجد موطن العبادة فحسب؛ بل كان مجمعًا للساسة، ومنتدى العلماء كان المستنصر يقول:

---

[1] / الرَبَضُ بالتحريك: واحد الأرباضِ، وهي حبالُ الرَحْلِ، وأمعاءُ البطن. ورَبَضُ المدينةِ أيضاً: ما حولها.ينظر:أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى(393هـ)، مختار الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة 1407هـ /1987م ، 1076/3

4/التلمساني، نفح الطيب، مصدر سابق، 150/3

5/خليل ابراهيم السامرای، عبدالواحدذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب، مصدر سابق، ص 255

[4] / الضبي، بغية الملتمس، مصدر سابق ،1–24 (بتصرف)

إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن مروان أتيناهم بخالد بن سعد[1].

دخلت المذاهب إلى الأندلس ثم اندحرت أمام مذهب مالك، فكان أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي قبل دخول بني أمية ، ويقال أن الذي أدخله هو صعصعة بن سلام سنة اثنين وتسعين ومئتين وكان زهير بن مالك البلوي فقيهًا على مذهب الأوزاعي حتى حين أخذ الناس يتحولون عنه. ثم غلب مذهب مالك مع الزمن لسببين ذكر أحدهما ابن حزم وذكر الثاني ابن خلدون. أما ابن حزم فيقول: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك عندنا بالأندلس فان يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع إلى الدنيا، ويقول ابن خلدون: أن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ومن الصعب أن نحدد من هو أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس[2]

أما الجانب الأدبي فلعل أهم ما يميز الأندلس ترفها ونعيمها ووصف شعرائه لطبيعتها وحسن مناظرها؛ فقد ذهبوا يتغنون بمشاهدها ومواطن الجمال والفتنة فيها، ويشيدون بها أيما إشادة فهذا ابن سفر المريني:

في أرضِ أندلسَ تلتـذُّ نعمـاءُ ولا تفـارقُ فيـها القلبَ سـرَّاءُ

وكيف لا تبهجُ الأبصارَ رؤيتَهَا وكلُّ روضٍ بها في الوَشي صنعاءُ

أنهارُها فضّـةٌ والمسكُ تربتُهَا والخـزُّ روضتُـها والدَّرُّ حصباءُ

---

[1]/ ياقوت الحموي المتوفى(626هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، 1995م ، 325/4

[2]/ إحسان عباس المتوفى(1424هـ)، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة بيروت، الطبعة الأولى 1960م ص24.

وتفنَّن الأندلسيون تفنناً واسعًا في هذا الجانب وبذلك تركوا مادة كبيرة في شعر الطبيعة وساقهم ترفهم إلى وصف الخمر مع وصف الزهر ثم وصف مجالس الشراب وما ينطوي فيها من قيان، واستتبع ذلك الترف –عندهم– غناءً واسعًا كان من آثاره ظهور الموشحات والأزجال. وهذه هي الصورة العامة لشخصية الأندلس، وهي شخصية رشحت لها البيئة والطبيعة[1].

كان لهذه الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية أثرها البالغ في شخصيته فأخرجت – بعد قضاء الله وقدره– أمامًا مقرئً مفسرًا نحويًا أديبًا.

[1]/ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه ، مصدر سابق، ص411

المبحث الثاني

صفات مكي وأخلاقه، عقيدته ومذهبه

أولًا: صفاته وأخلاقه:

اثمرت جهود هذه الأسرة المباركة- بعد عناية الله وتوفيقه- رجلًا دينًا تحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات، أجمعت كتب التراجم على وصفه بالتواضع والزهد والصلاح وإجابة الدعوة قال صاحبه أبو عمرو بن أحمد المقرئ: (كان رحمه الله حسن الفهم والخلق، جيّد الدين والعقل كثير التاليف في علوم القران، محسنًا لذالك، مجودًا للقراءات السبع، عالمًا بمعانيها) [1] .

ويقول عنه الذهبي: (... كان مع ذلك خيرًا دينًا فاضلًا تقيًا صوامًا متواضعًا عالمًا قوامًا مجاب الدعوة تحفظ له كرامات وإجابة دعوات)[2].

ومما روي في إجابة دعوته أنه كان إنسان يتسلط عليه، ويحصي عليه سقطاته وكان الشيخ كثيرًا ما يتلعثم، فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع، وجعل يحد النظر إلى الشيخ، ويغمزه، فلما خرج مضى، ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه، ثم قال لنا: أمنوا على دعائي، ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه؛ قال: فأمنا فأقعد ذلك، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم[3].

---

[1]/ ابن بشكوال، الصلة، مصدر سابق/297/1

[2]/ الذهبي، معرفة القراء، مصدر سابق، 220/1

[3]/ اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان المتوفى(768هـ)، مرآة الزمان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصو، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ/1997م45/3

وقد كان يدعو الى محاسن الصفات، والأخلاص لرب الأرض السموات، ويظهر ذلك جليًا في مقدمة مؤلفاته ففي كتابه الإبانة، قال أبو محمد: (نسأل الله "جل ذكره" التوفيق فيما نقوله، ونرغب إليه "تبارك اسمه" –في العصمة فيما نعتقده، ونتولاه ونتضرع إليه –لا إله إلا هو– في الصلاة على نبيه ورسوله محمد "صلى الله عليه وسلم، وعلى أهله وسلم، وشرف وكرم": هذا كتاب أبين فيه– إن شاء الله تعالى– معاني القراءات وكيفيتها، وما يجب أن نعتقد فيها، مع ما يتصل بذلك من فوائدها، وغرائب معانيها، وما علمت أن أحدًا تقدمني إلى مثل كتابي هذا فيما جمعت، وبينت فيه. "أعظم الله عليه الأجر، وأكمل به الذخر، وجعله لوجهه خالصًا، ولا جعله رياءً ولا سمعةً)[1].

وقال في مقدمة كتابه الهداية: (... فما أخرجت هذا الكتاب وبذلته للناس بعد أن كنت عملته في صدر العمر وجمام الفهم لنفسي خاصة ولمذاكرتي مفردًا، إلا طمعًا أن يترحم علينا مع طول الزمان مترحم، أو يستغفر لنا من أجله مستغفر، أو يذكرنا بالخير عليه ذاكر، مع ما نرجو من ثواب الله عليه في انتفاع دارسيه واكتفائهم به عن سائر كتب المفسرين، وأهل المعاني، وسائر أكثر علوم كتاب الله تعالى) [2].

ومن الصفات الحميدة التي دعا إليها ترك المراء والجدل، والنظر في الخرافات، والأخذ بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة التى رواها عنه ابن مكتوم أنه قال:

---

[1]/ مَكِّيّ بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة، (د. ط/ ت)، ص29.

[2]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،75/1

وكان من الصلحاء الأولياء، أنشدني له شيخنا الحافظ البارع أبو حيان، وقد أنشدها له أيضا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عليّ بن عبد السلام الأنصاري المعروف بابن شقِّ الليل[1]

قل لمن يبغى المـــرا والجـــــدلا فـــــي البراهـين وذكـــر البـــدلا
وحكـــــايات الأحـــاديث التـــــي تورث العجزوتبدى الكســـــــــلا
ويك دع عنـــــــك الخرافات ولا تكثر المـــزح أخـــي والهـــــزلا
هل يجوز الجهـــــــــل عند العلمـــا أم يجـــوز الحمق عند العقـــــلا!
أين من يمشي على الماء ولـــم تخش منـــــه قدمـــــاه البـــــللا
أويلِـــــتَّ الرَّمـــــــلَ بالمـــاء فإنْ شـــاء زبـــــدًا ردّه أو عسلا
أو يكون الطير فى جوِّ السَّما فإذا أومـــــى إليـــــه نـــــزلا
أو يحـــج البيت فـــــــي يوم لقـــــد كـــذب الناقـــــل فيـــــما نقلا
بعد قـــــول الله فـــي الوحي فلـــــن يبلغـــــوه دون جهـــــد وبـــــــلا
هـــــــذه الأخبـــار لا أصل لهـــا لا ولا فـــرع بهـــا متصـــــلا
ألفتـــــهـــا عصبـــــة صوفيـــــة تشتهـــــــي الأكل وتأبى العمـــلا
من عـــدا القرآن والعلـــم فقـــــد خالـــف الله وخـــــان الرســـلا
أنـــــــــزل الله كتابا واضـــــــحًا حسبنا لا نبغي عنه حـــــــولا
ثم منهـــاج النبي المصطفـــــــــى فبـــــــه الله هـــــدانا السبـــــلا
ما لنـــــا والخـــوض فى غيرهما أو بغيـــــرالعلـــــــــم نبغي بدلا
يوم تجـــزى كل نفس سعيـــها يندم المـــرء علـــى ما فعـــــلا

---

[1]/ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القطفي المتوفى(646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ 319/3.

فالزمـــوا السنـــــة لا تبتدعـــــــوا واحذرواالزيغ وخافـــــــوا الزللا

فـــــاز من زيـــــح عن النار إلى جنـــــة الفـــــــردوس خير منزلا

بقصور فى العلا من ذهب تجـــد الحـــور بها والحـــــللا

ثانيًا عقيدته ومذهبه:

يمكن معرفة عقيدته من خلال آيات الصفات ففي قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، سورة طه الآية: (5) قال مكي: {الرحمن عَلَى العرش استوى}.أي: على عرشه، ارتفع وعلا. قال أبو عبيدة: استوى: "علا". وقال القتبي: استقر. وقيل: معناها: استولى. وأحسن الأقوال في هذه "علا" والذي يعتقده أهل السنة، ويقولونه في هذا: إن الله جلّ ذكره، أنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه، وله تعالى ذكره كرسي وسع السماوات والأرض كما قال جل ذكره. وكذلك ذكر شيخنا أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله. وقد سأل رجل مالكاً عن هذا، فقال له: كيف استوى؟ فاحمرت وجنتا مالك، وطأطأ رأسه، ثم رفع رأسه فقال: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن يكون ضالاً. أخرجوه، فأخرج، فناداه الرجل، يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله غيره، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة، وأهل الكوفة، وأهل العراق، إلى أن وردت عليك، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له[1].

فهو رحمه الله على عقيدة أهل السنة والجماعة، يرد على الفرق كالمعتزلة وغيرها، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (6).

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،139/1

قال مكي– رحمه الله– : (هذه الآية نزلت في قوم سبق في علم الله فيهم أنهم لا يؤمنون، فأعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الإنذار لا ينفعهم لما سبق لهم في علمه، وَثَمَّ كفار أُخَر نفعهم الإنذار فآمنوا لما سبق لهم في علم الله سبحانه من الإيمان به، فالآية عامة في ظاهر اللفظ يراد به الخصوص، فهي في من تقدم له في علم الله أنه لا يؤمن خاصة، ومثله ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ سورة الكافرون الآية: (3). وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على إيمان جميع الخلق، فأعلمه الله عز وجل في هذه الآية أن من سبق له في علم الله سبحانه الكفر والثبات عليه إلى الموت لا يؤمن ولا ينفعه الإنذار، وأن الإنذار وتركه سواء عليه، وهذا مما يدل على ثبات القدر بخلاف ما تقوله المعتزلة[1].

أمَّا الفقه فقد كان مالكيًا أخذ عن شيخه أبي الحسن بن علي، ومحمد بن ابي زيد في القيروان[2]، وعده ابن فرحون من أعيان المذهب المالكي من الطبقة الثامنة[3] وله مؤلفات فيه سيأتي الكلام عنها إن شاء الله.

لا شك أن مكي– رحمه الله– وصل لهذه المرتبة بعد صبر ومصابرة، وتقوى واستعانة بالله، وسأبين في المبحث القادم مسيرته العلمية حتى وفاته رحمه الله.

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق ،140/1

[2]/ الذهبي، العبر، مصدر سابق، 273/2

[3]/ ابن فرحون، الديباج، مصدر سابق343/2

المبحث الثالث

حيات مكي العلمية

أولًا: رحلاته العلمية:

حفظت كتب التراجم رحلات مَكِّيّ العلميةعلى وجه دقيق قال صاحبه أبوعمرو أحمد بن مهدي المقرئ: (.... ثم أخبرني أنه سافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة في سنة ثمان وستين وثلاثمائة، واختلف بمصر الى المؤدبين في الحساب. ثم رجع الى القيروان وكان إكماله لاستظهار القران بعد خروجه من الحساب وغيره من الأداب سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وأكمل القراءات على غير أبي الطيب سنة ست وسبعين وثلاثمائة)[1].

ثم نهض الى مصر ثانية في سنة سبع وسبعين وحج في تلك السنة حجة الفريضة ثم ابتدأ بالقراءات على أبي الطيب في أول سنة ثمان وسبعين فقرأ علية بقية سنة ثمان وبعض سنة تسع، ورجع القيروان وقد بقي عليه بعض القراءات)[2]

ثم عاد الى مصر ثالثة في سنة اثنين وثمانين فاستكمل ما بقي عليه في سنة اثنين وبعض سنة ثلاث، ثم عاد الى القيروان في سنة ثلاث وثمانين يقرئ بها الى سنة سبع وثمانين ثم خرج الى مكة فأقام بها الى سنة تسعين وحج أربعة حجج متوالية نوافل، ثم قدم من مكة سنة احدى وتسعين إلى مصر، ثم من مصر إلى القيروان، ثم قدم الأندلس في رجب سنة ثلاث

---

[1]/ ابن بشكوال، الصلة ، مصدر سابق 597/1

[2]/ المصدر السابق، 598/1

وتسعين، ثم جلس للإقراء بجامع قرطبة فانتفع على يديه جماعات وجودوا القران وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره)[1].

وفي قرطبة قال عنه ابن خلكان: (انتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن، وعظم اسمه في البلد وجل فيها قدره، ونزل عند دخوله قرطبة في مسجد النخيلة الذي بالزقاقين عند باب العطارين، فأقرأ به، ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع الزاهرة، وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر، فنقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج بقرطبة، وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها إلى أن قلده أبو الحسن ابن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد بعد وفاة يونس بن عبد الله، وكان ضعيفاً عليها على أدبه وفهمه، وأقام في الخطابة إلى أن مات، رحمه الله تعالى[2].

وهكذا يتلخص للدارس أن مكيًا عاش ثلاثة عشر سنة بالقيروان، واحدى عشر سنة بالقيروان بعد أول سفرة الى مصر وعشر سنوات بمصر، وأربع سنوات بالحجاز، وأبع وأربعون سنة في قرطبة عمر اثنين وثمانين سنة.

وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر، ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة، ودفن بالربض، وصلى عليه ولده أبو طالب محمد، رحمه الله تعالى[3]، وبموته طوى الزمان صفحة ناصعة من صفحاته ظلت مفتوحة اثنين وثمانين سنة ينهل منها الطلاب، رحمه الله وغفر له وجعل الجنة داره ومثواه آمين، وجميع المسلمين.

---

[1]/ ابن بشكوال، الصلة ، مصدر سابق، الصفحة نفسها

[2]/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق،277/5

[3]/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ثانيًا مكانته العلمية:

جنى هذا العلم ثمار جهده- بعد إعانة الله له- فرقى مكانتة رفيعة تكفلت كتب التراجم بحفظها، فكان موضع ثناء للعلماء يحذا حذوه في الجد والصبر والرحلة، وكانت له الدرجة الرفيعة في القران وعلومه، مما استوجب الثناء عليه، حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، ثم بعد ذلك رحل إلى البلاد الإسلامية في سبيل طلب العلم، ففي سنّ مبكرة لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره شدّ الرحال إلى مصر، فكان يقيم سنتين وثلاثا ثم يعود إلى القيروان، وكان يرحل إلى بلاد الحجاز ليؤدي فريضة الحج، وكان يلقى الشيوخ، ويأخذ عنهم، ويستدرك، ويستكمل، ولا يقصّر، واستمرت رحلاته في سبيل العلم مدّة خمس وعشرين سنة، قضاها متردّدًا بين القيروان، ومصر، والحجاز، والشام[1].

قال صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ: (كان مَكِّيّ بن أبي طالب من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيّد الدين والعقل، كثير التأليف، في علوم القرآن، محسناً مجوّدًا، عالمًا بمعاني القراءات)[2].

ووصفه القاضي عياض برسوخ العلم في علوم القران، وحسن التصنيف، قال: (...وكان رسوخه في علم القرآن وتفننه فيه، قراءات وتفاسير ومعاني، نحويًا لغويًا فقيهًا راويًا. وليَ الشرى وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن، وغير ذلك. ومن أشرف تصانيفه كتاب الهداية

---

[1]/ محمد محمد محمد سالم محيصن المتوفى (1422هـ)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، الطبعة الأولى 1412هـ /1992م 406/2

[2]/ المصدر نفسه، ص407

في التفسير، وكتاب الكشف في وجوه القراءات، واختصار الحجة للفارسي، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الإيضاح في ناسخه ومنسوخه وهو كتاب حسن، وكل تواليفه حسنة)[1].

وهو عند ابن الأنباري نحوي فاضل، كثير التاليف مقرئ قال: (... فإنه كان نحويًا فاضلًا، عالمًا بوجوه القراءات، وله فيها كتب كثيرة، منها كتاب إعراب مشكل القرآن، وكتاب التبصرة في القراءات السبع، وكتاب البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة،...)[2].

أمَّاعند ابن خلكان فأديب متفنن قال عنه: (كان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه وإعرابه متفننًا في سائر علوم الأدب، أنشدت له قصيدة منها قوله[3]:

عليك باقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائماً ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا

ويصفه السيوطي بصاحب الإعراب قال عنه: (صَاحب الْإِعْرَاب، صنّف إِعْرَاب الْقُرْآن، الموجز فِي الْقرَاءَات، التَّبْصِرَة فِيهَا، الْهِدَايَة فِي التَّفْسِير، الْوَقْف على كلا، وَأَشْيَاء كَثِيرَة فِي الْقرَاءَات)[4].

---

[1]/ أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى(544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق ابن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بن شريفة ، مطبعة فضالة المحمدية ،المغرب، الطبعة الأولى(ت/ط) 13/8

[2]/ ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الأنصاري المتوفى(577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقا الأردن، الطبعة الثالثة 1402هـ /1985م ص254

[3]/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق،277/5

[4]/ السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر المتوفى(911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية ، لبنان صيدا، 298/2

ثالثًا شيوخه:

درس على عدد كبير من العلماء في موطنه القيروان، ثم في مصر ومكة وقرطبة، على علماء ثقات أثبات، وهو الذي أوصى طالب القران بذلك، قال رحمه الله: (ينبغي لطالب القران بعد إخلاص طلبه لله أن يتحفظ في نقله وينقله عن ثقة يرضى دينه، وينبغي أن يتواضع لله- عز وجل- في طلبه ولمن ينقل عنه ولمن يطلب معه)[1].

شيوخه في القيروان:

وسيختصر البحث على أشهرهم[2]:

1- أبو الحسن علي بن محمد القابسي، المتوفى(453هـ)، وعنه أخذ الفقه المالكي.

الإِمَامُ الحَافِظُ الفَقِيْه، العَلاَّمَةُ عَالِمُ المَغْرِب، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ خَلَف المَعَافِرِيُّ القَرَوِيُّ القَابسِيُّ المَالِكِيُّ، صَاحِب "الملخَّص". وَكَانَ عَارِفاً بِالعِلَلِ والرِّجَال، وَالفِقْهِ وَالأُصُوْلِ وَالكَلاَمِ، مُصَنِّفًا يَقِظًا دَيِّنًا تَقِيًّا، وَكَانَ ضَرِيْرًا، وَهُوَ مِنْ أَصحِّ العُلَمَاء كُتُبًا، كتب لَهُ ثِقَاتُ أَصْحَابِهِ[3].

2- أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز، المتوفى(412هـ)، العَلاَّمَةُ، إِمَامُ الأَدَب، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ التَّمِيْمِيُّ، القَيْرَوَانِيُّ، النَّحْوِيّ. مُؤَلِفُ كِتَابِ "الجَامع" فِي اللُّغَة، وَهُوَ مِنْ نفَائِس الكُتُب، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالقَزَّاز، صَنَّفَ كُتُبًا لِلعَزِيْزِ العُبَيْدِي صَاحِب مِصْر، وَكَانَ مَهِيْبًا،

---

[1]/ مكي، الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق التلاوة، تحقيق أحمد فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 1427هـ /1997م، ص84

[2]/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، الطبعة 1427هـ /2006م232/13

[3]/ الذهبي، السير، مصدر سابق، 569/12

عَالِي المَكَانَة، مُحَبَّباً إِلَى العَامَّة، لاَ يَخُوْضُ إِلَّا فِي عِلْمِ دِيْنٍ أَوْ دُنْيَا، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ، وَشُهْرَةٌ بمصر، وعمر تسعين عامًا. قِيْلَ: مَاتَ بِالقَيْرَوَان سَنَة اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَع مائة[1].

3- أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الفقيه، المتوفى(389هـ). ذكره اليافعي في حوادث تسع وثمانين وثلاثمائة، قال: فيها توفي الإمام الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، شيخ المغرب، وإليه انتهت رئاسة المذهب[2].

وقال عنه القاضي عياض: (حاز رئاسة الدين والدنيا رحل إليه من الأقطار، ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب وملأ البلاد من تآليفه، وكان يسمى مالكًا الأصغر)[3].

أشهر شيوخه في مصر:

1-على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرئ نزيل مصر، ابتدأ مكي- رحمه الله- بالقراءات معه في أول سنة ثمان وسبعين، فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع[4].

2- أبو بكر محمد بن علي الأدفوي المصري المقرئ، ذكر الشيخ الصالح أبو إسحاق الحبال المصرىّ الحافظ وفاته فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بقوله: «توفى أبو بكر محمد بن على الأدفوىّ المقرىء النحوىّ صاحب ابن النحاس يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الأوّل»[5]،

---

[1]/ الذهبي، السير، مصدر سابق، 569/12

[2]/ اليافعي، مرآة الزمان، مصدر سابق، 45/3

[3]/ القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، 13/8

[4]/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 274/5

[5]/ القطفي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، مصدر سابق،188/3

وذكره مَكِّيّ – رحمه الله– في مقدمة كتابه الهداية الى بلوغ النهاية: (جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنون علومه مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام)[1].

3– أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون مصنف التذكرة المتوفى(399هـ). الذي يرجع إليه ضبط «مكي» للقراءة[2].

4– عبد العزيز بن علي بن محمد أبو عدي المصري، المتوفى (381هـ). أخذ عنه «مكي» رواية ورش[3].

شيوخه بمكة المكرمة:

أقام بمكة أربعة أعوام، وتحول في رحلته، فلقي من المحدثين والفقهاء جماعة، منهم: أبو القاسم السقطي، وأبو الفضل أحمد بن عمران الهروي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا البسري، وعبد الرحمن بن علي العباسي، وأبو الحسن المطوَّعي، وصدقه بن أحمد الزقي، وغير هؤلاء[4].

---

[1]/ مكي،الهداية ، مصدر سابق، 74/1.

[2]/ محمد سالم، معجم حفاظ القرآن، مصدر سابق،408/2

[3]/ المصدر، نفسه،408/2

[4]/ القاضي عياض، تريب المدارك، مصدر سابق، 18/3

بعد هذا الجثئ على ركب العلماء، طاب به المقام في قرطبة، وجلس للإقراء، وحفت مجالسه بالطلاب فانتفع به، وسأفرد المبحث القادم لتلاميذه ومؤلفاته إن شاء الله.

المبحث الرابع

آثار مكي العلمية

أولًا: تلاميذه:

اجتمع حول الإمام مَكِّيّ بقرطبة في مسجد النخيلة والزهراء والمسجد الجامع طلاب العلم، وحفت المجالس به فانتفع به عدد كبير من الطلاب في فروع العلم المختلفة، وخاصة القراءات والتفسير، وهذه أسماء من ذكروا في كتب التراجم والطبقات، وأهمها كتاب الصلة لابن بشكوال[1]:

1- إبراهيم بن محمد الأسدي المقرئ، المتوفى(462هـ).

2- أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي المقرئ، المتوفى(511هـ)

3- أحمد بن محمد بن خالد الكلاعي المقرئ، المتوفى(432هـ).

4- أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني، المتوفى نحو(558هـ).

5- أيمن بن خالد بن أيمن الأنصاري، المتوفى(432هـ).

6- بقي بن قاسم بن عبد الرؤوف.

7- بكر بن عيسى بن سعيد الكندي الزاهد، المتوفى(454هـ).

8- جعفر بن محمد بن مَكِّيّ بن أبي طالب، وهو حفيد مكي، المتوفى(535هـ).

---

[1]/ ابن بشكوال، الصلة، مصدر سابق، ص 96، 74، 48، 73، 113، 116، 115، 172، 179، 129، 200 271، 281، 263، 285، 286، 290.540، 343، 368، 360، 363، 445، 423، 421، 438، 463، 548، 538، 546، 541، 564، 554، 555، 552، 614، 580. 670.

9- حازم بن محمد بن حازم المخزومي، المتوفى(496هـ).

10- خلف بن عمر بن خلف التجيبي ابن أخي القاضي أبي الوليد الباجي، أبوالقاسم، المتوفى(485هـ).

11- سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي المالكي الحافظ، أبو الوليد، المتوفى(474هـ).

12- عاصم بن أيوب الأديب، المتوفى(494هـ).

13- عبد الله بن سعيد بن حكم الزاهد، المتوفى(552هـ).

14- عبد الله بن سهل بن يوسف الأنصاري، المتوفى(485هـ).

15- عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي ابن العسال، المتوفى(487هـ).

16- عبد الله بن محمد بن سليمان ابن الحاج، المتوفى(419هـ).

17- عبد الله بن محمد بن عباس ابن الدباغ، المتوفى(463هـ).

18- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القيسي، المتوفى(436هـ).

19- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي ابن اللبان، المتوفى(480هـ).

20- عبد العزيز بن أحمد اليحصبي، المتوفى(450هـ).

21- عبد الملك بن زيادة الله بن علي، المتوفى(455هـ).

22- عبد الملك بن سراج، المتوفى(489هـ).

23- العلاء بن أبي المغيرة الفارسي، المتوفى(454هـ).

24- علي بن أحمد بن أبي الفرج الأموي.

25- علي بن عبد الله الجذامي المقرئ، المتوفى(483هـ).

26- عيسى بن خيرة أبو الإصبغ، المتوفى(487هـ).

27- عيسى بن سهل الأسدي، أصله من جيان، محدث فقيه قاض، المتوفى(486هـ).

28- فرج بن عبد الملك الأنصاري، من جيان، المتوفى(478هـ).

29- محمد بن أحمد المعارفي المقرئ، المتوفى(469هـ).

30- محمد بن أحمد بن مطرف الكناني المقرئ، المتوفى(454هـ).

31- محمد بن جوهر بن محمد بن جوهر، المتوفى(462هـ).

32- محمد بن الحبيب بن طاهر الغافقي، المتوفى(459هـ).

33- محمد بن شريح الرعيني، من إشبيلية، المتوفى (476هـ).

34- محمد بن عيسى بن فرج التجيبي المقرئ، المتوفى(485هـ).

35- محمد بن فرج مولى محمد بن يحى البكري، المتوفى(497هـ).

36- محمد بن محمد أصبغ الأسدي، المتوفى(477هـ).

37- محمد بن محمد بشير المعافري، المتوفى(481هـ).

38- محمد بن مَكِّيّ بن أبي طالب (ابنه)، المتوفى(474هـ).

39- معاوية بن محمد بن أحمد العقيلي، المتوفى(469هـ).

45- موسى بن سليمان اللخمي، المتوفى(494هـ).

41- يحيى بن إبراهيم المقرئ، المتوفى(496هـ).

وهناك عدد آخر ورد ذكرهم في مصادر أخرى[1] وهم:

الأكري، وحاتم بن محمد الطرابلسي، المتوفى(469هـ)، وخلف بن رزق أبو القاسم الأموي، المتوفى(485هـ)، وعبد الرحمن بن خلف أبو المطرف القرطبي، المتوفى(454هـ)، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، المتوفى(472هـ)، وعبد الرحمن بن محمد بن عتاب، المتوفى(525هـ)، وعبد الله بن سعيد ابن الحكم الأنصاري، المتوفى(485هـ)، وعبد الله بن يوسف الرهوني، المتوفى(435هـ)، ومحمد بن عتاب أبو عبد الله القرطبي، المتوفى(462هـ)، ومحمد بن المفرج بن إبراهيم المتوفى(494هـ).

ثانيًا: مؤلفاته:

كان واسع المعرفة كثير التأليف في العلوم المختلفة لكنه كان متميزًا في التفسير والقراءات في المقام الأوَّل، وقد ذكر عنه ذلك من ترجموا له، فهو المفسر والمقرئ، وله حظ كبير في العلوم الإسلامية الأخرى، قال عنها الضبي: (تواليفه كثيرة مشهورة، رأيت بعض أشياخي قد جمع ذكر أسماء تواليفه في جزء وقال مبلغ تواليفه خمسة وثمانون تأليفًا)[2].

---

[1]/ القاضي عياض، ترتيب المدارك ، مصدر سابق4/ 738، ابن بشكوال، الصلة، مصدر سابق، ص 171، 377، 335.

[2]/ أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس، مصدر سابق،469

ترك مكي- رحمه الله- للمكتبة القرآنية والعربية عدة مصنفات مفيدة بلغت أكثر من ثمانين مصنفاً، قال رحمه الله: ألفت كتابي «الموجز في القراءات» بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وألفت كتاب «التبصرة» بالقيروان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وألفت «مشكل الغريب» بمكة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وألفت «مشكل الإعراب» ببيت المقدس سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وألفت باقي تواليفي بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة[1]. وهذه قائمة مؤلفاته المطبوعة التي عثر عليها الدارس وهي في علوم القرآن والقراءات والتفسير:

1- الإبانة عن معاني القراءات. تحقيق د. محي الدين رمضان سنة 1979 م.

2- اختصار الوقف على "كلا وبلى ونعم". تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات سنة 1978 م.

3- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه. تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة 974 ام.

4- التبصرة في القراءات. تحقيق د. محي الدين رمضان سنة 1985 م.

5- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم. تحقيق د. محي الدين رمضان سنة 1985م.

6- تمكين المد في "أتى" و "آمن" و "آدم". تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة 1984م.

7- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة 1973 م.

---

[1]/ محمد سالم، معجم حفاظ القرآن، مصدر سابق،2/408-409

8- شرح "كلا وبلى ونعم" والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل. تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة 1976 م

9- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق د. محي الدين رمضان سنة 1981م.

10- مشكل إعراب القرآن. تحقيق د. حاتم صالح الضامن سنة 1973م.

11- الوقف على "كلا وبلى، ونعم". تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة 1978 م.

12- الهداية الى بلوغ النهاية،تحقيق مجموعة محققين جامعة الشارقة تحت إشراف أ.د البوشيخي، وهو الكتاب المعني بهذه الدراسة.

التي لم يعثر عليها الدارس مطبوعة في علوم القرآن والتفسير[1]:

13- اتفاق القرّاء جزء.

14- اختصار أحكام القرآن. أربعة أجزاء.

15- اختصار الإدغام الكبير على ألف، باء، تاء، ثاء، جزء.

16- اختصار الألفات. جزء.

17- الاختلاف القراء في ياءات الإضافة وفي الزوائد. جزء.

18- الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة. جزء.

19- الاختلاف بين قالون وابن عامر. جزء.

---

[1]/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 5/275-276

20- الاختلاف بين قالون وابن كثير. جزء.

21- الاختلاف بين قالون وأبي عمرو. جزء.

22- الاختلاف بين قالون وحمزة. جزء.

23- الاختلاف بين قالون وعاصم. جزء.

24- الاختلاف بين قالون والكسائي. جزء.

25- الاختلاف في الرسم من "هؤلاء" والحجة لكل فريق. جزء.

26- الاختلاف في عدد الأعشار. جزء.

27- الاختلاف في قوله: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) جزء

28- الإدغام الكبير. جزء.

29- الاستيفاء في قوله: (خالدين فيها ما دامت... إلا ما شاء ربك)، جزء.

30- إصلاح ما أغفله ابن مسرة في قراءات شاذة. جزء.

31- الإمالة. جزء.

32- انتخاب نظم القرآن للجرجاني. أربعة أجزاء.

33- الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب " الإمالة" ثلاثة أجزاء

34- الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه. جزء.

35- البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة.

36- بيان إعجاز القرآن. جزء.

37- التبيان في اختلاف قالون وورش. جزء.

38- التذكرة في اختلاف القراء السبعة. جزء.

39- تسمية الأحزاب.

40- التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه. جزآن.

41- دعاء خاتمة القرآن.

42- شرح اختلاف العلماء في الوقوف على قوله تعالى: (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه)

43- شرح الاختلاف في قوله: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة)

44- شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون. ..)

45- شرح الإدغام الكبير في المخارج. جزء.

46- شرح الوقف التام. أربعة أجزاء.

47- شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. جزء.

48- شرح الراءات على قراءة ورش وغيره. جزء.

49- شرح الفرق لحمزة وهشام. جزء.

50- شرح قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ... فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ. . . ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا...) جزء.

51- شرح قوله تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)، جزء.

52- شرح قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ... وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ...) جزء.

53- شرح قوله تعالى (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ...)، جزء.

54- شرح قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ...)

55- شرح معنى الوقف على قوله تعالى (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ. إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ...)، جزء.

56- شرح وجوه كشف اللبس التي لبس بها الأنطاكي في المد لورش. ثلاثة أجزاء.

57- علل هجاء المصاحف. جزء.

58- فرش الحروف المدغمة. جزآن.

59- الكافي في القراءات.

60- المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره. عشرة أجزاء.

61- مشكل غريب القرآن. ثلاثة أجزاء. وقد ألفه بمكة سنة 389 هـ.

62- مشكل المعاني والتفسير 15 جزءا.

63- المنتخب في اختصار الحجة للفارسي30 جزءا.

64- منع الوقف على قوله تعالى (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ...)، جزء.

في علوم اللغة والأدب:

65- التذكرة لأصول اللغة العربية ومعرفة العوامل جزء.

66- دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء

67- الرياض مجموع خمسة أجزاء.

68- اللمع في الإعراب أربعة أجزاء.

69- شرح حاجة وحوائج وأصلها جزء.

70- شرح العارية والعرية جزء.

71- مسائل الأخبار بالذي وبالألف واللام أربعة أجزاء.

72- معاني السنين القحطية والأيام جزء.

73- منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع جزءان.

74- المنتقى في الأخبار أربعة أجزاء.

75- الوصول إلى تذكرة كتاب الأصول، لابن السراج في النحو جزء.

في العقيدة والفقه وعلم الكلام والوعظ:

76- اختلاف العلماء في النفس والروح جزء.

77- إسلام الصحابة جزء.

78- بيان الصغائر والكبائر جزء.

79- بيان العمل في الحج من أول الإحرام إلى الزيارة لقبر النبي- صلى الله عليه وسلم - جزء.

80- تحميد القرآن وتهليله وتسبيحه.

81- الترغيب في الصيام جزء.

82- الترغيب في النوافل جزء.

83- تعدلة التجزئة بين الأئمة في شهر رمضان في قراءة القرآن في الإشفاع جزء.

84- تنزيه الملائكة من الذنوب وفضلهم على بني آدم.

85- التهجد في القرآن أربعة أجزاء.

86- الرد على الأئمة فيما يقع في الصلاة من خطأ واللحن في شهر رمضان وغيره جزء.

87- شرح إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب مالك والحجة في ذلك جزء.

88- فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً جزء.

89- ما أغفله القاضي منذر ووهم فيه في كتاب "الأحكام" جزءان.

90- المبالغة في الذكر جزء.

91- المدخل إلى علم الفرائض جزء.

92- مسألة الذبيح جزء.

93- مناسك الحج جزء.

94- منتقى الجوهر في الدعاء جزء.

95- الممتع في تعبير الرؤيا.

96- الموعظة المنبهة جزء.

97- الهداية في الفقه جزء.

98- برنامجه الذي جمع فيه مؤلفاته ومروياته يقول: "سمعت على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز كتاب "الظاء" من تأليفه من ثلاثة أجزاء وسمعت عليه أكثر "الحروف في النحو" من تأليفه".

كانت هذه المباحث محاولة لإبراز هذا الإمام الذي احتل مكانتًا وسطًا بين المقرئين والمفسرين والنحاة والأدباء، وقد حاول الدارس غاية جهده كشف الغموض الذي اكتنف هذه الشخصية، ومن ثم إبرازها حتى يحذا حذوها في التحصيل والصبر والإخلاص .

الفصل الثاني: موقف مَكِّيّ من أصول النحو

المبحث الأوَّل: موقف مكي من السماع

المبحث الثاني: موقف مكي من الإجماع والقياس

المبحث الثالث: الاستصحاب وقواعد الاستدلال عند مَكِّيّ

المبحث الأوَّل

موقف مكي من السماع

توطئة:

لعل أول من طرق الباب في هذا العلم ما أورده ابن السراج في أصوله من إشارات في العلة وغيرها من أصول النحو ومن ذلك كتاب الإيضاح للزجاج وقد فصل فيه صاحبه الحديث عن العلل.

ثم مضى هذا العلم قدمًا وتطور على يد ابن جني يقول عنه: (فكانت مسافر وجوهه ومحاسر أذرعه وسوقه تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره وتحي إلي بما خيطت عليه أقرابه وشواكله وتريني أن تعريد كل من الفريقين: البصريين والكوفيين عنه وتحاميهم طريق الإلمام به والخوض في أدنى أوشاله وخُلُجه فضلاً عن اقتحام غماره ولُجَجه إنما كان لامتناع جانبه، وانتشار شعاعه، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه. وذلك أنا لم نر أحدًا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه. فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه، إلا حرفًا أو حرفين في أولهن وقد تعلق عليه به[1].

وقد لاحظ ابن جني وجود علاقة بين أصول النحو وأصول الفقه وأشار الى ذلك بقوله: (وكذلك كتب محمد بن الحسن- رحمه الله- إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لانهم يجدونها منثورة في اثناء كلامهم)[2]

---

[1]/ أبوالفتح، عثمان ابن جني المتوفى(392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (الطبعة الرابعةد/ت)،2/1

[2]/ المصدر نفسه، 164/1. ومحمد بن الحسن هو صاحب أبي حنيفة فقيه مولف متوفى(198هـ)

وبهذا يتضح للدارس أن أصحاب ابن جني أخذوا عللهم من كتب هذا الفقيه، وانتزعوها بالملاطفة والرفق، وبنحو ما تقدم ربط ابن الأنباري بين أصول النحو والفقه في أكثر من موطن من ذلك: أن جماعة من الفقهاء والأدباء سألوه أن يلخص لهم كتابًا لطيفًا يشمل على ترتيب المسائل الخلافية بين نحويى البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب فكان كتاب الأنصاف[1].

أما السيوطي فقد بلغ هذا العلم عنده مرحلة الاستواء؛ حيث جمع فيه ما تشتت من كلام المتقدمين في كتابه الإقتراح الذي في حقه يقول: (هذا كتاب غريب الوضع، عجيب الصنع، لطيف المعنى، طريف المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم اسبق في ترتيبه، ولم أتقدم في تهذيبه، وهو أصول النحو الذي بالنسبة الى النحو كأصول الفقه إلى الفقه، وإن وقع في متفرقات كلام بعض المولفين، وتشتت في أثناء كتبهم)[2].

ثمة مفهومان للأصول عند النحاة:

أحدهما: يعني القواعد الأساسية في النحو

الثاني: الأصول المنهجية والأدلة الإجمالية التى قام عليها علم النحو.

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو علم أصول النحو الذي يدرس الأصول المنهجية التي قام عليها علم النحو، وقد عرف الدارس أصول النحو بصفتين:

---

[1]/ ابن الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، الطبعة الاولى، 1424هـ /2003م 5/1

[2] / السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية، ص21.

الأوَّل: بصفة المفردة، فالأصل في اللغة: أسفل الشيء، كالأصول، والجمع: أُصُوْلٌ وآصُلٌ. وأَصُلَ كَكَرُمَ: صار ذا أصْلٍ، أو ثَبَتَ ورَسَخَ أَصْلَهُ[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ﴾ سورة الأعراف الآية: (205). قال مكي: {والآصال}: جمع " أُصُلٍ "، كـ : " طُنُبٍ " وأطنابٍ ". وقال الفراء: هو جمع " أصِيلٍ "، كـ: " يَمِينٍ " و " أَيْمَانٍ "، وقيل: [الأُصُلُ] جمع " أصيلٍ ".،{والآصال}: جمع " الأُصُل"، وقد تجعل العرب " الأُصُل " وَاحِداً، فيقولون: " قَدْ دَنَا الأصُلُ "[2].

فلما كانت أصول النحو مأخوذة من أصول الفقه؛ فالأصل عند الأصوليين هو ما بُني عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره[3].

والنحو في اللغة: الطريق والجهة، والجمع: أنحاءٌ ونحوٌ. والقصد يكون ظرفًا واسمًا، ومنه نحو العربية، وجمعه: نُحُوٌ، كعُتُلٌ. ونُحِيَّةٌ، كدَلوٍ ودُلِيَّةٍ. ورجلٌ ناحٍ من نُحاةٍ: نَحْوِيٌ[4].

وأَمَّا النحو في الاصطلاح: فهو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم العربية إفرادًا وتركيبًا[5]

1/ ابن منظور، محمد بن مكرم المتوفى(711هـ)، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى1414هـ، مادة (أصل)ج961/1.

2/ مكي، الهداية ، مصدر سابق، 272/4-273

3/ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلى الشافعي المتوفى (864هـ)، شرح الورقات للجويني، تحقيق: حسام الدين موسى عفانة، جامعة القدس – فلسطين، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م66/1.

4/ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (نحو)1337/1.

5/ شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد بن محمد المتوفى (860هـ)، الحدود في النحو، تحقيق نجاة حسن عبد الله، الجامعة الإسلامية، طبعة العدد 122/ 1421هـ 435/1.

الثاني: بصفته لقب لهذا الفن: هو علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل[1].

وأدلة النحو الغالبة أربعة: قال السيوطي نقلًا عن ابن جني: أدلة النحو ثلاثة: السماع، والإجماع، والقياس[2].

وقال ابن الأنباري: أدلة النحو ثلاثة: نقل وقياس واستصحاب حال[3]. وزاد الاستصحاب ولم يذكر الإجماع، فكأنه لم ير الاحتجاج به في العربية، كما هو رأي قوم. وقد تحصَّل مما ذكراه أربعة، وقد عقدتُ لها مباحث:

السماع في اللغة: السَّمْعُ: حِسُّ الأُذن. والجمع: أسماعٌ وأسمُعُ[4]. وأما السماع في اصطلاح النحويين: فقد سماه ابن الأنباري النقل وعرفه بأنه: (الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج من حد القلة إلى حد الكثرة)[5]

والناظر في هذا التعريف يجد أنه قد وصف الكلام العربي بالفصاحة وصحة النقل والتواتر.

وأما السيوطي فيعرفه: (ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله، وهو القرآن، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وفي

1/ السيوطي، الاقتراح ، ص21.

2/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3/ المصدر نفسه، ص39.

4/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى(817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة 1426هـ-2005م، مادة (سمع) 370/1.

5/. السيوطي، الاقتراح ، ص21.

زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر[1]. ففي هذا التعريف اعتمد السيوطي فصاحة الكلام المروي، ثم عمد الى ذكر أركانه.

استشهد مكي- رحمه الله- على ما يرد من المسائل النحوية بكل مصادر الاحتجاج اللغوي على النحو التالي:

أولاًــ القرآن الكريم: سأذكر بعض مواقف النحاة من القران وقراءته، في جانبه النظري ممثلًا في أقوال بعض الأئمة:

- سيبويه المتوفى(188هــ) يقول: (أن القراءة لا تخالف لأن القراءة سنة)[2]

- الفراء المتوفى(207هــ) يقول: (أن القرآن أعرب وأقوى في الحجة من الشعر)[3]

- وجاء عن الزجاج المتوفى(310هــ) أن: (الحمدُ رفع بالابتداءِ، وقوله: (لِلَّهِ) إِخبار عَنِ الْحمْدِ والاختيارُ في الكلَامِ الرفْعُ، فَأَمَّا القُرآنُ فلا يُقْرأ فِيه (الحمدُ) إِلا بالرفع، لأن السُّنة تتبع فِي القرآن، ولَا يُلْتَفَتُ فِيَه إِلى غَير الرِّوايةِ الصحِيحَةِ التي قدْ قرأ بها القُراءُ المشْهُورُونَ بالضَبطِ والثِّقةِ)[4]

---

[1]/ السيوطي، الاقتراح ، مصدر سابق، ص39.

[2]/ سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى (180هــ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة 1408هــ /1998م 148/1

[3]/ الفراء، يحيى بن زكريا المتوفى(207هــ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح شلبي،دار المصرية للترجمة والتاليف،الطبعة الأولى(ت)14/1

[4]/ الزجاج، ابراهيم بن السري بن سهل المتوفى(310هــ)، معاني القرآن، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولي1408هــ /1988م، 45/1

– وأما النحاس المتوفى(338هـ) فيصرح في تعقيبه على قراءة: (فك رقبة) – بفعليين ماضيين– بأن الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قراء بها الجماعة[1].

– وجاء عن ابن جني المتوفى(392هـ) : أن لغة القران أفصح اللغات[2]

– أما مكي– رحمه الله– فقد أولاه المرتبة الأولى على غيره، وسأذكر لذلك ثلاثة نماذج:

الأنموذج الأوَّل:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (83). قال مَكِّيّ رحمه الله: قوله: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}. مَن قرأه بالضم، فمعناه عند الزجاج قولاً ذا حسن. وقال الأخفش: " الضم والفتح بمعنى واحد بمنزلة البُخْلُ والبَخَلُ والسُّقْمُ والسَّقَمُ ". وقيل: إن مَن قرأ بالفتح فهو نعت لمصدر محذوف. واستقبح المبرد: " مَرَرْتُ بِحَسَنٍ " على إقامة الصفة مقام الموصوف. وقد جاء هذا في القرآن بإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ سورة فصلت الآية: (10) ، ولم يقل جِبَالاً رَوَاسِيَ. وقال: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ

---

[1]/ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن اسماعيل المتوفى(338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبدالمنعم خليل ابراهيم، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1427هـ ، 143/5

[2]/ ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1421هـ/2000م، 325/1

وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ سورة سبأ الآية: (11)، ولم يقل: " دُرُوعاً سَابِغاتٍ"[1].

الأنموذج الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (3). قال مَكِّيّ رحمه الله: وأصل " ما " في قوله: {وَممَّا} أن تكتب منفصلة، لأنها بمعنى " الذي ". والهاء محذوفة من {رَزَقْنَاهُمْ}، أي وبعض الذي رزقناهم ينفقون منه. فحذفت من صلة " ما " لطول الاسم. فإن كانت " ما " بغير معنى " الذي "، وإنما هي صلة، كان أصلها أن تكتب متصلة بما قبلها نحو قوله: ﴿... إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ سورة النساء الآية: (171) ، وقوله: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ سورة الحج الآية: (49)، وشبهه. وقد وقعت " ما " متصلة بما قبلها من الجار في الخط، وهي بمعنى (الذي)، وأصلها الانفصال، وإنما جاز ذلك فيها لأن الجار والمجرور كالشيء الواحد، وذلك نحو " مما " و " عما "

وأيضاً فإنه لما كان حرف الجر الذي على حرف واحد لا ينفصل مما جرى ما كان على حرفين على ذلك لأنها كلها حروف الجر، فوصلن بما قبلهن من الجار في الخط لارتباط الجار بالمجرور مع كثرة الاستعمال.

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 331/1

وقيل: إنه لما أدغمت النون في الميم فلم يظهر للنون لفظ لم يثبت في الخط في مواضع وثبت في الخط في مواضع لبقاء الغنة ظاهرة، فمرة حمل على زوال لفظ النون ومرة حمل على بقاء الغنة في اللفظ[1].

الأنموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ سورة النساء الآية: (62) قال مَكِّيّ رحمه الله: قوله: {فَكَيْفَ إِذَآ أصابتهم مُّصِيبَةٌ} الآية.معنى: كيف في هذا: الاستفهام، ولها معان أخرى. تكون بمعنى التحذير، والتخويف نحو قوله: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة النمل الآية: (51) ، وتكون بمعنى الجحود فتتبعها إلى نحو قوله: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة التوبة الآية: (7) ألا ترى بعده {إِلاَّ الذين} سورة التوبة الآية: (7) تقديره ما يكون للمشركين عهد، وتكون كيف استفهام بمعنى التوبيخ والتعجب، نحو قوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ سورة البقرة الآية:(28)، وقوله: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية: (101)، وتكون تنبيهاً نحو قوله: ﴿ ٱنظُرْ

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،129/1

كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ سورة الإسراء الآية: (21) ،وقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ سورة الإسراء: (48)]، وتكون توكيداً لما قبلها، وتحقيقاً له، نحو قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ سورة النساءالآية: (41) فهذا كله من تفسير الكوفيين النحويين وهو صحيح. والمعنى كيف يكون حال هؤلاء الذين يتحاكمون إلى الطاغوت ويزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، ويمتنعون أن يأتوا حكمك إذا أصابتهم مصيبة أي: نزلت بهم نقمة من الله تعالى {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} أي: بذنوبهم التي تلفت منهم {ثُمَّ جَآءُوكَ} حالفين بالله {إِنْ أَرَدْنَآ إِلاَّ إِحْسَانا وَتَوْفِيقَا}[1]

ثانياً موقفه من القراءات:

القراءة مصدر قرأ، قرأه، يَقْرُوهُ، ويُقْرُوهُ، الأخير عن الزجاج، قَرْءًا، وقرَاءَةً، وقُرْآنًا، الأولى عن اللحياني[2]، فهو مقروءٌ[3].

أما القراءة في الاصطلاح: فهي العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها، معزوًا إلى ناقله[4]، وهو ما أشار إليه ابن الجزري بقوله:

1/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 1374/2

2/ اللحياني: أبو الحسن علي بن حازم اللحياني، كان أحفظ الناس بالنوادر عن الكسائي والفراء والأحمر، ومن نوادره أنه حكى عن بعض العرب، كان يجزمون بـــ"لم" وينصبون بـــ"لم"، ومن هذه اللغة قراءة من قرأ (ألم نشرحَ لك صدرك) بفتح الحاء. ينظر: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص137.

3/ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرأ)، مصدر سابق،128/1

4/ محمد أحمد مفلح القضاة وأحمد خالد شكري وخالد منصور، مقدمات في علم القرآن، دار عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1422هـــ-2001م، ص47.

فليحرص السعيد في تحصيله ولا يمـل قـــطّ مــن ترتيلـــه

وليجتهد فيه وفي تصحيحـــه على الذي نقل من صحيحـــــه

فكل ما وافق فيه وجـــه نحو وكان للرســـــم احتمالًا يحوي

وصـــحّ إسنادًاهـــو القـــــرآن فهـــــذه الثلاثـــة الأركان[1]

لقد اعتمد مَكِّيّ رحمه الله أركان القراءات الثلاثة ، ويقوم موفقه في اختيار القراءات على الآتي:

أولاً: يرى مَكِّيّ أن القراءة الصحيحة المختارة لديه، هي التي أجمع عليها الحجة من القراء، وهي التي تكون موافقة مع أسلوب القرآن الكريم وكلام العرب؛ وسأذكر لذلك ثلاثة نماذج:

الأنموذج الأوَّل:

في قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (7) قال مَكِّيّ رحمه الله: و {غَيْرِ المغضوب} " خفض على النعت " للذين " من قوله {صِرَاطَ الذين}، وحَسَنٌ ذلك لأنه شائع لا يراد به جمع بعينه فصار كالنكرة، فجاز نعته " بغير"، و " غير" نكرة وإن أضيفت إلى معرفة. ويجوز أن تخفض " غير " على البدل من الذين. وقد قرئ بالنصب على الحال أو على الاستثناء، وقد شرحت هذا في كتاب: " مشكل الإعراب " بأشبع من هذا[2].

1/ شمس الدين أبو الخير بن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف، شرح طيبة النشر في القراءات، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ-2000م، 7/1.

2/ مكي،الهداية، مصدر سابق،114/1

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (3). قال مَكِّيّ رحمه الله: وقيل: إنما سميت الصلاة صلاة لأنها مشتقة من الصلويْن وهما عرقان في الردف، ينحنيان في الصلاة. وكتبت الصلاة في المصاحف بالواو لتدل على أصلها، لأن أصل الألف الواو، وأصلها صلوة. فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت في اللفظ ألفاً؛ دليله قولهم في الجمع: " صَلَواتٌ ". وقد ذكرنا أن الجمع يرد الأشياء إلى أصولها ولذلك قلنا: إن أصل "ماء": مَوْهٌ " وإن الألف بدل من الواو، والهمزة بدل من الهاء. ودل على ذلك قولهم في الجمع: أمْوَاهٌ، فرد إلى أصله. وقيل: إنما كتبت بالواو لأن بعض العرب يفخم اللام والألف حتى تظهر الألف كأن لفظها يشوبه شيء من الواو. والقول الأوّل والآخر، به يعلل ما كتبوه من " الزكوة " و " الحيوة " وشبهه بالواو، فأعلمه[1].

الأنموذج الثالث:

وهو قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (9)، وقوله: {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم}. أي وباله يرجع عليهم.

واختار جماعة من العلماء: (وَمَا يَخْدَعُون) – بفتح الياء وسكون الخاء – من غير ألف، وهي قراءة ابن عامر وأهل الكوفة، وإنما اختاروا ذلك لأن الله جل ذكره أخبر عنهم أولاً أنهم {يُخَادِعُونَ الله}. ولفظ قوله: {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم}، نفي ذلك، فيصير في ظاهر اللفظ قد أوجب شيئاً ثم نفاه بعينه، فوجب أن يختاروا {وَمَا يَخْدَعُونَ} ليكون المنفي على معنى مخالفاً للموجب.

---

[1]/ مكي،الهداية، مصدر سابق، 133/1

فأما وجه قراءة من قرأ الثاني " {وَمَايُخَادِعُوْنَ} بألف فهو على معنى: وما يخادعون تلك المخادعة المذكورة عنهم إلا أنفسهم، إذ وبالها راجع عليهم.و" خادع" في اللغة، يجوز أي يكون معناه : " خدع " من واحد. ومعنى " خدع " بلغ مراده. فلذلك أجمع القراء على {يُخَادِعُونَ} في الأوَّل لأنه ليس بواقع، وفي الثاني {يَخْدَعُونَ} بغير ألف لأنه أخبر تعالى أنه واقع بهم وراجع عليهم.

وأصل المفاعلة أن تكون من اثنين، لكن قد أتت من واحد، قالوا: " عَاقَبْتُ اللِّصَّ"، " وَطارَقْتُ النَّعْلَ " و " جَازَيْتُ فُلاناً وَحَادَيْتُهُ وَوَادَعْتُهُ وَدارَيْتُهُ ".

والمخادعة في هذا المعنى إنما هي للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أي يخادعون نبي الله وأولياءه. و " خدع " فعل واقع، و " خادع " فعل يجوز أن يقع، ويجوز ألا يقع، فلذلك اختار بعض العلماء، {وَمَا يَخْدَعُونَ} إلا أنفسهم لأنه فعل واقع بهم بلا شك، " فَيَخْدَعُون " أولى من " يخادعون " الذي يجوز أن يقع، ويجوز ألا يقع[1].

ثانيًاــ موافقة القراءة لخط المصحف العثماني، وقد عقد بابًا في كتابه الإبانة عن ذكراختلاف الأئمة المشهورين، غير السبعة في سورة الحمد مما يخالف خط المصحف، فلا يقرأ به اليوم[2].

قال مَكِّيّ رحمه الله: (فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به؛ لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد، ولا يقطع على صحة ذلك، ولا على غيبه، وهو مخالف لخط المصحف الذي

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،152/1

[2]/ مكي، الإبانة، مصدر سابق، ص124

عليه الإجماع، ويقطع على صحته وعلى غيبه، فخط المصحف أولى؛ لأنه يقين والخبر غير يقين، فلا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين)[1]،وسأذكر أنموذجين لذلك:

الأنموذج الأوَّل:

لا يعتمد ما خالف خط المصحف وإن وافق أقيسة العربية، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (6) قال مَكِّيّ رحمه الله: وقوله: {ءَأَنذَرْتَهُمْ}، فيه عشرة أوجه: (... والعاشر ذكره الأخفش أيضاً؛ قال: " يجوز أن تبدل من الأولى هاء، فتقول: " هانْذَرْتَهُمْ ". ولم يقرأ به أحد ومخالف للخط، وقياسه في العربية جيِّد)[2].

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ سورة آل عمران الآية: (104)

قال مكي– رحمه الله–: وقرأ عثمان بن عفان رضي الله عنه: [وينهون عن المنكر ويستعينون بالله [على] ما أصابهم " زاد خمس كلمات، وما يقرأ بذلك اليوم لأنه خلاف لخط المصحف المجمع عليه][3]

ثالثاًــ حيث تحدث عن القراءة، أعاد القارئ في كثير من الأحيان إلى لهجات العرب واستعمالها مفردات اللغة واشتقاقاتها، وسأذكر أنموذجين لذلك:

---

[1]/ مكي، الإبانة، مصدر سابق، ص127

[2]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 145/1

[3]/ المصدر نفسه، 189/2

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (6) قال مَكِّيّ رحمه الله: وقوله: {ءَأَنذَرْتَهُمْ}، فيه عشرة أوجه: الأوَّل: تحقيق الهمزة الأولى، وتخفيف الثانية بين الهمزة والألف. وهي لغة قريش وكنانة، وهي قراءة ورش عن نافع وابن كثير[1].

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ سورة الأنعام الآية: (138)

قال مَكِّيّ رحمه الله: قوله: {وَقَالُواْ هذه أنعام وَحَرْثٌ حِجْرٌ} الآية. قرأ أبان بن عثمان (حُجُر) بالضم (للحاء والجيم). وقرأ قتادة والحسن (حُجْر) بضم الحاء وإسكان الجيم. وهي لغات في (حِجْر). والحِجْرُ: الحرام، يقال: حُجُرٌ وحُجْرٌ وحِجْرٌ، وفيها لغة أخرى وهي " حِرْجٌ " بتقديم الراء، مثل: " جَبَذَ " و "جذب "[2].

رابعًا_ يقدم القراءة بالرواية مع احتمال أقيسة اللغة وسأبين ذلك في أنموذجين

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 143/1

[2]/ المصدر نفسه، 299/3

سورة البقرة الآية: (6) قال مَكِّيّ رحمه الله: {ءَأَنذَرْتَهُمْ}، فيه عشرة أوجه: (...والثامن: ذكره الأخفش قال: " يجوز أن تخفف الأولى منهما وتحقق الثانية "، ولم يقرأ بهذا أحد، وهو بعيد ضعيف لأن الاستثقال لا يقع في أول الكلام، ولأن الهمزة المخففة بين بين، لا يبتدأ بها إلا أن تريد أن تصل الهمزة بما قبلها وتلقي حركتها على الميم الساكنة قبلها، فهو قياس، وليس عليه عمل، والتاسع: ذكره أبو حاتم أيضاً قال: " يجوز أن تخفف الهمزتين ". وهو بعيد، ولم يقرأ به أحد، وله قياس إذا وصلت كلامك، فتلقي حركة الأولى على الميم الساكنة قبلها، وتخفف الثانية بين بين، وهو بعيد جداً)[1].

الأنموذج الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ سورة الأعراف الآية: (111) قال مكي– رحمه الله– : وقد أنكر جماعة النحويين: الإسكان في الهاء. وقد ثبت ذلك عن الأئمة من القراء. ووجه ذلك: أن " الهاء " هي الاسم، و " الياء " والواو إنما هي صلة " للهاء " وليس من الاسم؛ وإنما زيدت عند الخليل؛ لأن [الهاء] خفيفة، فقويت بحرف جلد تباعد منها وهو " الواو "، لا يأتي بها فمن أسكن هذه " الهاء " أسكنها على أصلها، وردها إليه.

وفيها علة أخرى، وذلك أن هذه " الهاء " صارت في موضع اللام. وكان من حق اللام لو كان من حروف السلامة أن يسكن. والهاء من حروف السلامة فسكنت، إذ حلت محل اللام، فصارت بمنزلة ميم " أكرم ".

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،145/1

وفيها علة أخرى، وهي أن " الواو " جائز حذفها بعد " الهاء " فصارت بمنزلة الواو في "عليهمو"، في جواز حذفها، فلما كانت " الميم " من عليهم تسكن إذا حذفت الواو ويحسن سكونها، كان (مثل) ذلك في الهاء، إلا أن الميم أحسن من الهاء في السكون لخفاء الهاء.

وفيها علة رابعة، وذلك أنهم قد شبهوا هاء السكت بهاء الإضمار، فأثبتوها في الوقف. وبعضهم وصلها بياء كهاء الإضمار، فلما شبهت بهاء، جاز تشبيه هاء الإضمار بهاء السكت في السكون؛ لأن من حق هاء السكت السكون فشبهت بها، فجاز إسكانها[1].

خامسًا: عندما يتكلم عن القراءات ربما يذكر القراءات الشاذة، مبينًا لها وعدم القراءة وسأذكر ذلك في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة الآية: (148). قال مكي- رحمه الله- ورويت قراءة شاذة بإضافة " كل " إلى " وجهة "، وهي قراءة لاتجوز لأنه لا فائدة في الكلام إذا لم يتم الخبر "، ولو ثَنيتَ على قراءة الجماعة لقلت: " هُمَا مُوَلِّياهَا "، وفي الجمع هُمْ مَوَلُّوهَا[2].

الأنموذج الثاني:

قول تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ سورة الفرقان الآية: (61)

قال مكي- رحمه الله- قال تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً}، يعني الشمس {وَقَمَراً مُّنِيراً}: مضيئاً. ومن قرأ " سُرُجاً " بالجمع جعل البروج: القصور،، والسروج: النجوم. ومن قرأ سراجاً

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 246/4

[2]/ المصدر نفسه، 505/1

بالتوحيد جعل البروج المنازل والسراج: الشمس، والضمير في " فيها " على القراءة، من قرأ: " سرجاً " بالجمع يعود على البروج التي هي القصور، ومن قرأ " سرجاً " بالتوحيد كان الضمير يعود على السماء، وإن شئت على البروج، ويكون السراج يؤدي على الجمع كما قال: {يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} سورة غافرالآية: (67) أي: جعل فيها مضيئة، وقرأ الأعمش و " قُمرا " بضم القاف وإسكان الميم، جعله جمعاً وهي قراءة شاذة[1].

سادسًا: موفق مَكِّيّ من بعض القراءات التي أثارت جدلًا بين النحاة سلفًا وخلفًا وذلك في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ سورة النساء الآية:(1) قال مكي– رحمه الله– : ومن قرأ " الأرحام " بالخفض، فهو غير جائز عند البصريين، وقبيح عند الكوفيين، لأنه عطف ظاهر على مضمر مخفوض[2].

اكتفى مكي– رحمه الله– بذكر المذهبين المتمثلين في رأي سيبويه والفراء، فجوز مذهب البصريين وقبح مذهب الكوفيين، أماالزجاج فيقول: (أمَّا العربية فإجماع النحويين أنه يَقْبحُ أنْ يُنْسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار، يَسْتَقْبح النحوُيون: مررت به وزيدٍ. وبك وزيدٍ، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد، فقال بعضهم: لأن المخفوض حرف مُتَصِل غيرُ منفصل، فكأنَّه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسم يقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقد فسر المازي هذا تفسيراً مُقْنِعاً فقال: الثاني في العطف شريك

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،، 524/8

[2]/المصدر نفسه، 1211/2

للأول، فإن كان الأوّل يصلح شريكاً للثاني وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له. قال: فكما لا تقول مررت بزيد وكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ، وقد جاز ذلك في الشعر.أنشد سيبويه:

فاليوم قربْت تهجُونا وتشتُمنا فاذْهب فما بك والأيَّامِ من عجب[1]

قال ابن مالك– رحمه الله– وكلتا الحجتين ضعيفتين:

أما الأولى فيدل على ضعفها أن شبه الجر بالتنوين لو منع من العطف عليه لمنع توكيده، والإبدال منه لان التوكيد لا يوكد ولا يبدل منه، وضمير الجر يبدل ويوكد منه بإجماع، فللعطف أسوة بهما.

وأما الثانية فيدل على ضعفها انه لو كان حلول كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه– يعني في محل الآخر– شرطًا في صحة العطف لم يجز (رب رجل وأخية) وأمثال ذلك من المعطوفات الممتنع تقديمها وتاخير ما عطفت عليه كثيرة، فكما لا يمتنع فيها العطف لا يمتنع في نحو:(مررت بك وبزيد). وإذا بطل كون ما تعللوا به مانعًا وجب الإعتراف بصحة الجواز)[2]

وما ذهب إليه ابن مالك هو الرأي السديد والراجح عند الدارس؛ لورود ما يويد ذلك من النثر والشعر. ولم لم يكن في اختيار ابن مالك غير أنه يدافع عن قراءة سبعية متواترة لكان ذلك كافيًا في تاييد ماذهب إليه.

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ

---

[1]/ الزجاج، معاني القرآن، مصدر سابق، 7/2

[2]/ابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى(672هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، الطبعة الأولى(ت)،1246/3–1248

شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية: (137) قال مكي- رحمه الله- قوله: {وكذلك زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ المشركين قَتْلَ أولادهم شُرَكَآؤُهُمْ} الآية. روي عن ابن عامر (زُيِّنَ) بالضم، (قَتْلُ) بالرفع: اسم ما لم يسم فاعله، (أَوْلادِهِم) بالخفض على الإضافة، (شركاؤُهم) بالرفع على إضمار فعل دل عليه (زُيِّنَ)، كأنه قيل: زَيَّنَهُ شركاؤهم، وحكى النحويون أنه يجوز: " ضُرِبَ زَيْدٌ عَمْرُو "، كأنه قيل: " ضَرَبَهُ عَمْرُو ".

وروى أبو عبيد عن ابن عامر (زُيّنَ) بالضم مثل الأوّل، (قَتْلُ) بالرفع، (أولادَهم) بالنصب، (شركائِهم) بالخفض على التفريق بين المضاف والمضاف اليه، وهو بعيد في الكلام، وبذلك قرأنا لابن عامر، وهي رواية الشاميين عنه[1]

وجوز ابن مالك الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف في لغة الاختيار بناء على ما جاء في القراءة فقال:

وعمدتي قراءة ابن عامر وكم لها من عاضد وناصر[2]

والذي ترجح للدارس ما ذهب إليه ابن مالك- رحمه الله- هو الصحيح في المسالة؛ لأجل قراءة ابن عامر التي أجمع الصدر الأوّل على تلقيها بالقبول، ولأن الفاصل في هذه الحال لا يعد أجنبيًا؛ لأنه متعلق بالمضاف، ونظرًا لورود ذلك في لسان العرب، كما أن القراءة لا تتبع العربية بل العربية تتبع القراءة لانها مسموعة عن أفصح العرب بإجماع وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده.

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 3/295-296

[2] / ابن مالك، شرح الكافية، مصدر سابق، 979/2

ثالثاً: الحديث النبوي الشريف:

إذا أطلق لفظ الحديث الشريف في اصطلاح المحدثين أُريد به ما أضيف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– من قول، أو فعل، أو تقرير، وقد يُراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي. ولكن الغالب أن يقيد إذا ما أريد به غير النبي – صلى الله عليه وسلم[1].

أما الحديث الشريف عند النحاة: فهو قول الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليه– وإنما يهتمّ النحويون بالقول؛ لأنه موضوع النحو، ومنبع استدلالهم، ومرجع أحكامهم، وكذلك الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين متى جاءت من طريق المحدثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي، أو قاعدة نحوية.

وقضية الاحتجاج بالحديث الشريف من القضايا المهمّة في النحو العربي، وقد انقسم النحاة فيها إلى مانعين ومُجيزين، ومتوسطين. ومن اللافت للنظر أن أكثر النحاة اهتمامًا بهذه القضية من الأقسام الثلاثة هم ممَّن ينتمون إلى المدرسة الأندلسية، فأوَّل من رفع لواء منع الاستشهاد بالحديث في مجال الدراسات النحوية –فيما أعلم– هو ابن الضائع، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي الكتامي المتوفى سنة ثمانين وستمائة من الهجرة[2]، ثم تلميذه من بعده أبو حيان محمد أثير الدين بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة، الذي كان على مذهب أستاذه ابن الضائع في منع الاستشهاد بالحديث[3]، قال–

---

[1]/ الجرجاني علي بن محمد بن علي المتوفى(816هـ)، رسالة في أصوال الحديث، تحقيق علي زوين، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1407هـ ، ص65.

[2]/ السيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، 204/2

[3]/ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهره، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،مصر، الطبعة الأولى،1387هـ/1967م، 534/1

رحمه الله- :(وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لئلا يقول المبتدئ: ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأضرابهما؟ فمن طالع ما ذكرنا أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث)[1]، ثم جاء من بعدهما جلال الدين السيوطي المصري المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة، وهو صاحب كتاب (الاقتراح) فوجدته أقرب إلى المنع منه إلى الإجازة، يقول رحمه الله: (وأمَّا كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي ، وذلك نادرجدًا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضًا فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولها المولدون والأعاجم فرووها بما أدت اليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظ مكان ألفاظ ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويًّا على أوجه شتى، بعبارات مختلفة ومن ثَّم أنكر على ابن مالك)[2]، ولعله في هذا كان متأثرًا بأستاذه أبي حيان الذي يُعدُّ كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب) من أهم المصادر العلمية التي استقى منها السيوطي كمادة كتابه (همع الهوامع).

أما المجيزون للاستشهاد بالحديث الشريف فهم- بحمد الله- أكثر من المانعين، وعلى رأسهم ابن مالك المتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة من الهجرة- رحمه الله تعالى- وهو إمام النحاة واللغويين لعصره، وأكبر عالم نحويّ اهتمَّ بالحديث الشريف، وجعله المصدر الثاني للتقعيد بعد القرآن الكريم، كما أنه المصدر الثاني للتشريع. ومن ثَمَّ وجه إليه المانعون نقدهم وإنكارهم، وكان قد سبقه إلى الاحتجاج بالحديث علماء أجلاء من علماء الأندلس، منهم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المتوفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة، وابن

---

[1]/ السيوطي، الإقتراح ، مصدر سابق، ص45

[2]/ المصدر نفسه، ص43

خروف وهو علي بن محمد بن علي الأندلسي المتوفى سنة تسع وستمائة من الهجرة، ثم قيَّد الله للحديث الشريف بعد ابن مالك من يسير على دَرْبه، ويُعيد رفع لواء الاحتجاج به، ومن هؤلاء جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن هشام الأنصاري المصري المتوفى سنة إحدى وستين وسبعمائة من الهجرة[1].

أما المتوسطون المعتدلون ففي مقدماتهم أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي، المتوفى بالأندلس سنة تسعين وسبعمائة من الهجرة[2].

وقد سبق مَكِّيّ – رحمه الله– هولاء الأعلام زمنًا، ولعله كان من المتوسطين، فلم يقف الدارس في هذا الجزء المدروس إلاَّ على شاهد واحد في قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ سورة البقرة من الآية: (196)

قال مَكِّيّ رحمه الله: قوله: {ذلك لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المسجد الحرام}. قيل: اللام بمعنى " على " أي ذلك الحكم على من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، كما قال: {لَهُمُ اللعنة} سورة

---

[1]/ السيوطي، بغية الوعاة ،مصدر سابق، 68/2

[2]/ الزركلي خير الدين بن محمود بن محمدالمتوفى(1369هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر2002م، 152/3

الرعد الآية: 25 أي: وعليهم. ومنه قول النبي عليه السلام لعائشة: " اشتَرِطِي لَهُمْ الوَلاءَ " أي عليهم. وقيل: اللام على بابها، وأن المعنى: أن التمتع لم هو من غير أهل مكة[1]

رابعًا: كلام العرب نظمًا ونثرًا :

استشهد – مَكِّيّ رحمه الله– بكلام العرب نظمًا ونثرًا، لإثبات القواعد النحوية ، فإنه كما قال ابن خلكان: (كان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه وإعرابه متفنناً في سائر علوم الأدب)[2]، وسأذكر لذلك أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قال تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾سور النحل الآية: (44) .

قال– مَكِّيّ رحمه– : {بالبينات والزبر}.أي: بالدلالة الواضحة، والزبر الكتب. جمع زبور. مأخوذ من زبرت الكتاب إذا كتبته، فالباء من {بالبينات} متعلقة بفعل مضمر. التقدير: أرسلناهم بالبينات ودل " أرسلنا " الأوَّل على هذا المحذوف، وقال قوم: الباء متعلقة بأرسلنا المذكور. وأجازوا تقدم الإيجاب على أن تكون " إلا " بمعنى: " غير ". فأجازوا: ما ضرب إلا أخوك عمراً، وما كلم إلا أبوك بكراً، على معنى: " غير "، وعلى ذلك أنشدوا:

ابني لُبَيْنَى لَسْتُم بيد إلا يد ليست لها عضد[3]

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،657/1

[2]/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق،277/5

[3] /طرفة بن العبد بن سفيان، الديوان، تحقيق محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1423هـ 2002م، 33/1

وأنشدوه بخفض يد بعد " إلا " على معنى " غير يد ". ولا يحسن أن تكون " إلا " هنا بغير معنى: " غير " لأنه يفسد الكلام، إذ الذي خفض اليد قبل " إلا " لا يمكن إعادته بعد " إلا "، ومنه قول الله [عز وجل] :﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سورة الأنبياء الآية: (22) أي: غير الله، ومن لا يجيز هذا، ينشد البيت بالنصب " إلا يدا " على البدل من موضع بيد. ويجوز عندهم: ما ضرب إلا أخوك عمراً على كلامين كأنه قال ضرب عمر[1]

الأنموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ سورة النحل الآية: (73) قال مَكِّيّ – رحمه الله – و {رِزْقاً} نصب بيملك. و {شَيْئاً} نصب برزق. وكان أصله: رزق شيء كما يقول: ضرب زيد فلما فرق بينهما انتصب شيء لأنه مفعول به برزق. وهو مثل قول الشاعر:

لَقَدْ عَلِمَتْ أُولَى المُغيرَةِ أَنَّني لحِقتُ فَلم أَنْكُلْ عَن الضَّرب مِسْمَعا[2]

كان أصله: عن ضرب مسمع، فلما أدخل الألف واللام امتنعت الإضافة فانتصب المفعول به ومثله في التنوين: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأرض كِفَاتاً (25) أَحْيَآءً وأمواتا} سورة المرسلات: (25 – 26) كان أصله كفاتاً إحياء وأموات [أي جمع أحياء وأموات]. والكفت الجمع والضم، أي: تجمعهم

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،4001/6

[2]/ البيت للمرار الأسد، ينظر: شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1394 هـ – 1974م، 46/1.

وتضمهم على ظهرها أحياءً وفي بطنها أمواتاً فلما نون {كِفَاتاً} انتصب {أَحْيَآء وأموات} على المفعول به، والعطف عليه، وله نظائر، وهو أصل من أصول العربية.

وقد منع بعض البصريين أن يعمل " رزق " في " شيء " لأنه اسم، وليس بمصدر، وقال ينتصب " شيء " على البدل من "رزق"[1]. وبهذا يكون مَكِّيّ رحمه الله قد قد اعتمد كل مصادر الإحتجاج اللغوي السماعي، وسأبين في المبحث القادم موقفه من الإجماع.

---

[2]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،4047/6

المبحث الثاني

موقف مكي من الإجماع والقياس

أولًا الإجماع:

الإجماع يأتي في اللغة على معنيين، أحدهما: العزم "جمع أمره وأجمعه وأجمع عليه: عزم عليه[1]. قال الفراء في قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾ سورة طه الآية: (64). قال: الإجماع والعزيمة على الشيء يعني: أجمعت الخروج، وأجمعت على الخروج[2]. الثاني: والاتفاق (الإجماع: الاتفاق)[3].

أمَّا الإجماع في الاصطلاح النحوي: فإجماع نحاة البلدين (البصرة والكوفة)،

و يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص. والمقيس على النصوص فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه [4]

وأمَّا الإجماع عند مَكِّيّ رحمه الله فيقوم على الأسس الآتية:

أولًا: يرى أنَّ القران من أقوى مصادر الإحتجاج اللغوي، وأن إجماعه أقوى حجة من إجماع كلام العرب، ومن ذلك إنكاره على أبي العباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ

1/ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة(جمع) 53/1.

2/ الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 285/2

3/ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، مادة (جمع)، 710/1

4/ ابن جني، الخصائص، مصدر سابق190/1

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ سورة البقرة الآية:(83) .

قال مَكِّيّ رحمه الله: قوله: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}. مَن قرأه بالضم، فمعناه عند الزجاج قولاً ذا حسن. وقال الأخفش: " الضم والفتح بمعنى واحد بمنزلة البُخْلُ والبَخَلُ والسُّقْمُ والسَّقَمُ ". وقيل: إن مَن قرأ بالفتح فهو نعت لمصدر محذوف. واستقبح المبرد: " مَرَرْتُ بِحَسَنٍ " على إقامة الصفة مقام الموصوف. وقد جاء هذا في القرآن بإجماع، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ سورة فصلت الآية: (10)]، ولم يقل جِبَالاً رَوَاسِيَ. وقال: ﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾سورة سبأ الآية: (11)، ولم يقل: " دُرُوعاً سَابِغاتٍ"[1].

ثانيًا: يرى الاحتجاج بإجماع الفريقيين: نحاة البصرة والكوفة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ...﴾ سورة المائدة الآية: (6) . قال مَكِّيّ –رحمه الله– : قوله : {وَأَرْجُلَكُمْ}: خفض. فهوعند الأخفش وأبي عبيدة على الجوار، والمعنى للغسل، شبه الأخفش بقولهم " هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ "، وهذا قول مردود، لأن الجوار لا يقاس عليه، إنما يسمع ما جاء منه ولا يقاس عليه. وأيضاً فإن الأرجل معها حرف العطف، ولا يكون الإتباع مع حرف العطف [2]

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 331/1

[2]/ المصدر السابق، 164/3

حكى مكي– رحمه الله– في هذا الشاهد إجماع النحاة، وعدم خرق الإجماع خلافًا لابن جني الذي يقول: (فمما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم: هذا حجر ضب خرب. فهذا يتناوله آخر عن أول، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز رد غيره إليه، وأمَّا أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفًا على ألف موضع، وذلك أنه على حذف المضاف لا غير)[1].

ومع أن ابن جني قد جوز الخروج على الإجماع إلا أنه ينصح بعدم الإقدام على مخالفة الجماعة وفي ذلك جاء قوله: (إلا أننا– مع هذا الذي رأيناه وسوغناه مرتكبة– لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدم نظرها، وتتالت أواخر على أوائل وأعجازًا على كلاكل والقوم الذين لا نشك في أن الله –سبحانه وتقدست أسماؤه– قد هداهم لهذا العلم الكريم وأراهم وجه الحكمة في الترجيب له والتعظيم وجعله ببركاتهم وعلى أيدي طاعاتهم خادمًا للكتاب المنزل وكلام نبيه المرسل وعونًا على فهمهما ومعرفة ما أمر به أو نهي عنه الثقلان منهما إلا بعد أن يناهضه إتقانًا ويثابته عرفانًا ولا يخلد إلى سانح خاطره ولا إلى نزوة من نزوات تفكره. فإذا هو حذا على هذا المثال وباشر بإنعام تصفحه أحناء الحال أمضى الرأي فيما يريه الله منه غير معاز به، ولا غاض من السلف – رحمهم الله– في شيء منه. فإنه إذا فعل ذلك سدد رأيه. وشيع خاطره وكان بالصواب مئنة ومن التوفيق مظنة)[2].

وثمة نحاة جعلوا الإجماع في اللغة من الأصول المعتبرة ومنعوا الخروج عليه قال ابن

---

[1]/ ابن جني، الحصائص، مصدر سابق،192/1–193

[2]/ المصدر السابق، 1/ 191

الخشاب مخالفة المتقدمين لا تجوز[1]، وجاء عن العكبري أن خلاف الإجماع مردود[2].

ثالثًا: ينقل إجماع الفريقين إذا احتملت المسالة عنده الجواز دون ميول لمذهب:

ففي قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ سورة الفاتحة الآية: (5) قال مكي– رحمه الله– اختلف النحويون في " إياك وإياه وإياي "؛ فللبصريين فيها قولان:

– أحدهما: أن " إيا " اسم مضمر أضيف إلى ما بعده للبيان لا للتعريف. ولا يعرف في كلام العرب اسم مضمر مضاف إلى ما بعده غير هذا.

وحكى الخليل عن العرب: " إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب ". فأضاف " إيا " إلى الشواب للبيان.

– والقول الثاني: مروي عن المبرد قال: " إن " إيا " اسم مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف، ولا يعرف في كلام العرب اسم مبهم أضيف إلى ما بعده غير هذا ".

وللكوفيين في هذا أيضاً ثلاثة أقوال:

– حكى ابن كيسان وغيره. عنهم أن " إياك " بكماله اسم مضمر، ولا يعرف اسم مضمر يتغير آخره غيره، فتقول: " إياه وإياك وإياي ".

– والقول الثاني: إن الكاف والهاء والياء، هن الاسم المضمر في " إياك وإياه وإياي "، لكنه اسم لا يقوم بنفسه ولا ينفرد ولا يكون إلا متصلاً بما قبله من الأفعال، فلما تقدم على الفعل لم يقم بنفسه فجعل " إيا " عماداً له ليتصل به، ولو أخرت لا تصل المضمر بالفعل واستغنيت عن " إيا " فقلت: " نعبده " و " نعبدك ". وهو اختيار ابن كيسان.

---

[1]/ السيوطي، الأقتراح، مصدر سابق،ص74

[2]/ المصدر نفسه، ص77

– والقول الثالث: حكاه أيضاً ابن كيسان؛ وهو أن " إيا " اسم مبهم يكنى به عن المنصوب وزيدت إليه الكاف والهاء والياء في: إياك وإياه وإياي ". " ليعلم المخاطب من الغائب من المُخْبِر عن نفسه ولا موضع للكاف والهاء والياء من الإعراب، فهي كالكاف في " ذلك " وأرأيتك زيداً ما صنع ". ذكر معنى جميع ذلك ابن كيسان في كتابه في تفسير القرآن وإعرابه ومعانيه[1].

رابعًا: ينقل إجماع الفريقين مع موافقته للراجح عنده:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء الآية:(159) يقول مكي– رحمه الله– قوله: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكتاب إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ. . .} الآية.التقدير عند سيبويه، (وإن من أهل الكتاب أحد). وعند الكوفيين (وإن من أهل الكتاب إلا (من)ليؤمنن به) حذفوا الموصول وهو قبيح. وسيبويه إنما قدر حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، وذلك كثير في القرآن والكلام، قال الله: {أَنِ اعمل سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ} سورة سبأ الآية: (11) أي: دروع سابغات فحذف الموصوف، فقول سيبويه أحسن واختيار جيد، وحذف الموصول وإقامة الصلة مقامه على قول الكوفيين غير جائز ولا موجود لأن الصلة كبعض الموصول، ولا يحسن حذف بعض الاسم، ولأن الصلة لا بد منها للموصول وليس الصفة كذلك فقد يستغنى عنها)[2].

هذه بعض مسائل الاجماع عند مكي– رحمه الله– وسأبين موفقه من القياس .

ثانيًا موقفه من القياس

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،105/1–106

[2]/المصدر نفسه، 154/2

القياس في اللغة: مصدر: قاسَ الشيء: يقيسه قَيْسًا وقياسًا، وقَيَّسَهُ: إذا قدَّرَهُ على مثاله. والمقياس: المقدار، وقاس الشيء يَقُوْسَهُ قَوْسَاً، لغةً في قاسَهُ، يَقِيْسَهُ. ويقال: قِسْتَهُ وقُسْتَهُ أَقُوْسَهُ قَوْسَاً وقِيَاسَاً، ولا يقال: أَقْوَسْتَهُ، والمقياس: ما قِيْسَ به، والمُقَايَسَة: مفاعلة من القياس[1].

والقياس في اصطلاح النحويين:

هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه[2]... عزاه لابن الأنباري.

ولا ينكر مَكِّيّ –رحمه الله– حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه؛ إذ لا يعلم أحد من العلماء أنكره بالدلالة القاطعة[3].

قال الكسائي في وصف النحو:

إنما النحو قياس يُتَّبع وبه في كل أمر يُنتفع
فإذا ما أبصر النحو الفتى مر في المنطق مرا فاتسع [4]

وحكى ابن فارس الإجماع قال: (أجمع أهل اللغة – إلا من شذ عنهم– أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض)[5]، وتقوم مسائل القياس عند مكي– رحمه الله– على الأسس التالية:

1/ مصطلح القياس عند مكي:

ورد مصطلح القياس عند مكي– رحمه الله– كثيرًا، والمتصفح لتفسيره لا يكاد تقع عينه على صفحة ليس بها قياس سواء نص عليه بلفظه أو أجرى عمليته. وساذكر بعض تعبيراته عن لفظ

1/ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 187/6
2/ جلال الدين السيوطي، الاقتراح ، مصدر سابق، ص79.
3/ السيوطي، الإقتراح، مصدر سابق، ص89.
4/ القطفي، إنباه الرواة ،مصدر سابق، 267/2
5/ أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى القزويني المتوفى(395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى1418هـ ،1997م،ص35

القياس في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (6).

قال مكي- رحمه الله-: قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) فيه عشرة أوجه: ...والسابع: ذكره أبو حاتم قال: " يجوز أن تدخل بينهما أيضاً، وتحذف الثانية "، فيصير لفظ هذا الوجه كلفظ الوجه الثاني المذكور، والثامن: ذكره الأخفش قال: " يجوز أن تخفف الأولى منهما وتحقق الثانية "، ولم يقرأ بهذا أحد، وهو بعيد ضعيف لأن الاستثقال لا يقع في أول الكلام، ولأن الهمزة المخففة بين بين، لا يبتدأ بها إلا أن تريد أن تصل الهمزة بما قبلها وتلقي حركتها على الميم الساكنة قبلها، فهو قياس، وليس عليه عمل، والتاسع: ذكره أبو حاتم أيضاً قال: " يجوز أن تخفف الهمزتين ". وهو بعيد، ولم يقرأ به أحد، وله قياس إذا وصلت كلامك، فتلقي حركة الأولى على الميم الساكنة قبلها، وتخفف الثانية بين بين، وهو بعيد جداً، والعاشر: ذكره الأخفش أيضاً؛ قال: " يجوز أن تبدل من الأولى هاء، فتقول: " هانْذَرْتَهُمْ ". ولم يقرأ به أحد ومخالف للخط، وقياسه في العربية جيد[1].

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ سورة هود الآية: (119)

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 145/1

قال مكي– رحمه الله– ففي الكلام على هذا القول تقديم وتأخير، والتقدير: " إلا من رحم ربك، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنّم من الجنة والناس أجمعين، ولذلك خلقهم". وقد كان يجب في قياس العربية على هذا التقدير أن يكون اللفظ: وتمّت كلمته[1].

2/ أوصاف المسموع عند مَكِّيّ حتى يقيس عليه:

جعل علماء اللغة العربية السماع قسمين؛ قسم مطرد وآخر شاذ. والأصل في القياس أن يقاس على المطرد، وأن لا يقاس على الشاذ، فابن أبي اسحاق أوصي يونس بن حبيب بقوله: (عليك بباب يطرد من النحو القياس)[2]

ووصف النحاة المسموع بأوصاف تختلف باختلاف الكثرة والقلة وأوضح هذه التقسيمات ابن هشام الذي يقول فيه: (اعلم أنهم يستعملون غالبًا، وكثيرًا، ونادراً، وقليلًا، ومطردًا، والمطرد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دونه، والنادر أقل من القليل.فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرون غالب، والخمسة والعشرون بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر. فاعلم مراتب مايقال في ذلك)[3]. وهذا التقسيم من ابن هشام إنما على سبيل التقريب لا على سبيل التحديد، ولم يذكر فيه الشاذ؛ لأن الشاذ يطلق على ما خالف المطرد سواء أكان نادرًا أم قليلًا أم غير ذلك، وذكر مكي–رحمه الله– بعض هذه الأوصاف وسأبين ذلك في نماذج:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق 349/5

[2]/ القطفي، إنباه الرواة، مصدر سابق، 108/2

[3]/ السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فواد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1418هـ ، 1998م، 187/1

أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ سورة البقرة الآية: (49)

قال مكي– رحمه الله– قوله: {وآلِ فِرْعَوْنَ}. أصله: أهله، وترجع الهاء في التصغير، وجمعه آلون. وجمع " آل " الذي هو السراب " أَأْوالٌ " كمالٍ وأمْوالٍ، و" آل " المختار فيه ألا يضاف إلا إلى الأسماء المشهورة نحو آل هشام وآل محمد صلى الله عليه وسلم فإن أضفته إلى البلدان والأرضين لم يجز عند جماعة من أهل العربية واللغة لا يقال: آل المدينة ولا آل مصر، وإنما يقال بالهاء، حكاها الكسائي.وسمع الأخفش آل المدينة وآل مكة نادران لا يقاس عليهما[1].

الأنموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (2)

قال مكي– رحمه الله– : قوله: {رَبِّ العالمين} الرب المالك. فمعناه: مالك العالمين، وقيل: الرب السيد، وقيل: المصلح، يقال: " رَبَّه يَرُبُّه رَبّاً " إذا أصلحه. ويقال على التكثير: رَبَّتَهُ ورِبَّاهُ ورَبَّبَهُ. فالذين يقولون: " رَبَّتَه " بالتاء، أصله عندهم رَبَّبَهُ ثم أبدلوا من الباء الثالثة " ياء "، كما يقال، تقَضَّيْتُ " في " تَقَضَّضْتُ " ثم أبدلوا من الياء تاء. كما أبدلوا من الواو تاء في " تُراتٍ "، و " تُجاهٍ " و " تولج " وأصله " وولج " على " فوعل، من " ولجت ". وبدل التاء من الياء قليل شاذ، وهو في الواو كثير[2].

الأنموذج الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ سورة غافرالآية: (67)

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 259/1

[2]/ المصدر السابق،101/1

قال مكي– رحمه الله– : وقوله: {ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً} هذا جمع للعدد الكثير وحكم القليل فيه " أشيخ " كفلس وأفلس. إلا أنهم استثقلوا الضمة على الياء. فشبهوا باب فعل بفعل. وحق فعل في القليل أن يجمع على أفعال كجمل وأجمال فجمعوا فعلاً عند الاستثقال بضمة الياء على " أفعال " فقالوا: أشياخ ". والأصل أشيخ، ومثله زيد وأزياد، والأصل أزيد. فإن اضطر شاعر جاز أن يأتي به على أفعال فيقول أزيد وأشيخ كما قالوا: عين وأعين وإنما حسن في أعين في غير الشعر لأنها مؤنثة. والشيخ ما جاوز الأربعين[1].

3/ لا يرى القياس على الجوار:

في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ...﴾ سورة المائدة الآية:(6) .

قال مكي– رحمه الله– : قوله : {وَأَرْجُلَكُمْ}: خفض. فهوعند الأخفش وأبي عبيدة على الجوار، والمعنى للغسل، شبه الأخفش بقولهم " هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ "، وهذا قول مردود، لأن الجوار لا يقاس عليه، إنما يسمع ما جاء منه ولا يقاس عليه. وأيضاً فإن الأرجل معها حرف العطف، ولا يكون الإتباع مع حرف العطف [2]

خلافًا لابن جني الذي يقول: (فمما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم: هذا حجر ضب خرب. فهذا يتناوله آخر عن أول، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه وأنه من الشاذ الذي لا يحمل

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق 10/657–658

[2]/ المصدر نفسه، 3/144،

عليه ولا يجوز رد غيره إليه، وأمَّا أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفًا على ألف موضع، وذلك أنه على حذف المضاف لا غير)[1].

4/ ما حمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، إنما يتقدم أولاً الحمل على اللفظ: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَـةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَـرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَاجِنَـا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْـتَةً فَهُمْ فِيـهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيـمٌ ﴾ سورة الأنعام الآية: (139).

قال مكي– رحمه الله– قوله: {خَالِصَةٌ}: أُنّثت (ما) لتأنيث (الأنْعَامِ)، لأن ما في بطونها ملتبس بها، كما قال:

مشين كما اهتزّت رماح تَسَفّهَتْ أعاليها مَرُّ الرِيّاح النواسم[2]

فأنِّث، لأن المَرُّ من الرياح، هذا قول الفراء. وقال الكسائي والأخفش: دخل التأنيث للمبالغة. وقيل: " التأنيث على معنى (ما)، والتذكير على اللفظ "، كذا قرأ ابن عباس (خَالِصُهُ) بالتذكير، والمعنى: ما خلص منه حياً لذكورنا. {وَمُحَرَّمٌ على أزواجنا} يعني الإناث "، وقرأ الأعمش (خَالصٌ) بغير هاء، على التذكير على اللفظ، ولأن {وَمُحَرَّمٌ}، وهذه الآية – في قراءة الجماعة – أتت على خلاف نظائرها في القرآن، لأن ما يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، إنما يتقدم أولاً الحمل على اللفظ ثم يليه الحمل على المعنى، نحو: {مَنْ آمَنَ بالله} سورة البقرة الآية: (62) ثم قال: {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ} سورة البقرة الآية: (62)، ونحو {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السماوات والأرض طَوْعاً وَكَرْهاً} سورة الرعد: (15) ثم قال: {وَظِلالُهُم} سورة الرعد الآية: (15)، وهو كثير،

---

[1]/ ابن جني، الحصائص، مصدر سابق،192/1–193

[2] / البيت لذي الرُّمَّة، انظر: عبد السلام محمَّد هارون، معجم شواهد العربيَّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثَّالثة، 1433هـ – 2002م، ص: 471.

هكذا يأتي في القرآن وكلام العرب، يتقدم الحمل على اللفظ، ثم يحمل بعد ذلك على المعنى. وهذه الآية تقدم الحمل (فيها) على المعنى فقال: (خالِصَة)، ثم حمل بعد ذلك على اللفظ فقال {وَمُحَرَّمٌ}. ومثله قوله: {كُلُّ ذلك كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} سورة الإسراءالآية: (38) ، فقال أولاً (سَيئةً) فأنث وحمل على معنى (كل)، لأنها اسم لجميع ما تقدم مما نهى عنه من الخطايا، ثم قال بعد ذلك (مَكْروهاً)، فذكّر على لفظ (كل)، وهذا إنما هو على قراءة نافع ومن تابعه[1].

وبنحو الذي قال يقول ابن جني في أكثر من باب فيقول في التفسير بالمعنى دون اللفظ: (اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيرًا من الناس واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذلوا به وتتابعوا فيه؛ حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة، والأقوال المستشنعة، إنما دعا إليها القائلين بها تعلقهم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سر معانيها، ومعاقد أغراضها)[2].

وفي باب قوة اللفظ لقوة المعنى يقول: (هذا فصل من العربية حسن. منه قولهم: خشن واخشوشن. فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو. ومنه قول عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا...)[3]

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،222/2-224

[2]/ ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، 263/3

[3]/ المصدر السابق، 268/3

المبحث الثالث

الاستصحاب وقواعد الاستدلال عند مكي

أولًا الاستصحاب:

عرف ابن الأنباري استصحاب الحال بأنه: (إبقاء اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل)[1]، مثال ذلك قولهم في فعل الأمر: (إنما كان مبنيًا؛ لأن الأصل في الأفعال البناء، وأن ما يعرب منها لشبه الاسم، ولا دليل على وجود الشبه، فكان باقيًا على الأصل)[2].

والمتمسك باستصحاب الحال خارج عن عهدة المطالبة بالدليل، قال ابن الأنباري: (ومَنْ تمسك بالأصل خرج عن عُهْدَة المطالبة بالدليل، ومَنْ عَدَلَ عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل؛ لعدوله عن الأصل، واستصحابُ الحال أحد الأدلة المعتبرة)[3]

واستصحاب الحال وإن كان من الأدلة المعتبرة إلا أنه دليل ضعيف، يقول ابن الأنباري: (ولا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل؛ ألا ترى أنه لا يجوز التمسك به في إعراب الاسم مع وجود دليل البناء من شبه الحرف أو ما تضمن معناه، وكذلك لا يجوز التمسك به في بناء الفعل مع وجود دليل الإعراب من مضارعته الاسم)[4]

يقول أحمد شعبان نقلًا عن عفاف حسانين: (من الملاحظ أن البصريين وحدهم هم الذين يعتمدون على استصحاب الحال في الاستدلال، وأما الكوفيين فلم يرد عنهم- فيما قرأت من

---

[1]/ ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ /1957م ص81

[2]/ ابن الأنباري، أسرار العربية، تحقيق يوسف بركات هبود، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/1999م ص227

[3]/ ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 254/1

[4]/ ابن الأنباري، لمع الأدلة، مصدر سابق، ص43

أدلتهم- الاستدلال به على مسألة من المسائل، كما يلاحظ أيضًا قلة مواضع الاعتماد عليه في الاستدلال، ففي مسائل الانصاف التي يبلغ عددها مائة وإحدى وعشرين مسألة كان نصيبه من الاستدلال سبعة مواضع منها فقط)[1]

اعتمد مَكِّيّ على دليل الاستصحاب في كثير من المواضع، وعده من الأدلة المعتبرة في إثبات القواعد وسأذكر ثلاثة نماذج من المسائل التي استدل بها على هذا الأصل:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾سورة البقرة من الآية: (85)

قال مكي- رحمه الله- : ومن قال: {أسارى} شبهه بـــ " سكارى "، كما قالوا " سكرى " على التشبيه " بأسرى "، فكل واحد مشبه بالآخر في بابه، ولم يُجز أبو حاتم " أسارى ". وإنما يقال " فَعْلاَن " فيما كان آفة تدخل على العقل كما قال سيبويه. والفتح في " سُكَارَى " الأصل، والضم داخل عليه كأنه لغة، ويقال أُسَرَاءُ كَظُرفَاءَ. وَفَرَّقَ أبو عمرو بين أَسْرَى وأُسَارَى: فقال: " ما صار في أيديهم فهو أسارى كأنه آفة دخلت عليهم " كسَكْرَانَ "، وما أتى مستأسراً فهم الأسرى. وواحد " الأسرى " و " الأسارى " أسير؛ بمعنى مأسور، كجريح وقتيل[2].

---

[1]/ أحمد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ /2005م ص286

[2]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 337/1

الأنموذج الثاني:

قال أبو محمد: نذكر في هذا الموضع جملة من علل النحويين في {بِسمِ الله الرحمن الرَّحِيمِ}، ونستقصي إن شاء الله ذلك في سورة النمل إذ هي بعض آية هناك بإجماع.

فمن ذلك أن في كسر الباء قولين:

- أحدهما: إنها كسرت لتكون حركتها مشبهة لعملها.

القول الثاني: إنها كسرت ليفرق بين ما لا يكون إلا " [حرفاً وبين ما] قد يكون اسماً نحو الكاف، وكذلك لام الجر. وأصل الحروف التي تدخل للمعاني أن تكون مفتوحة لخفة الفتحة نحو حروف العطف وألف الاستفهام وشبهه، ولكن خرجت الباء واللام عن الأصل للعلة التي ذكرنا[1].

الأنموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾سورة البقرة الآية: (30)

قال مكي- رحمه الله- وعلى القول الثاني يكون " مَلأَكٌ " مقلوباً وأصله: " مَأْلَكٌ"، والهمزة فاء الفعل، ثم قلبت الهمزة، فصارت بعد اللام، ثم خففت الهمزة فألقيت حركتها على اللام قبلها كالأوَّل فصار ملكاً، فجمع على قلبه، ولم يرده الجمع إلى أصله لقلة استعماله بالهمز في الواحد. ولو جمع على أصله لقال: " مَآلِكَة "، ولكن لم يسمع جمعه على الأصل[2].

---

[1] / مَكِّيّ ، الهداية، مصدر سابق، 87/1

[2] / المصدر نفسه، 214/1

بهذا يكون قد اتضح موقف مكي- رحمه الله- من أصول النحو باعتماده أدلة النحو المعتبرة، وسأذكر في المبحث القادم بعض قواعد الاستدلال عنده إن شاء الله.

ثانيًا قواعد الاستدلال عند مكي:

قواعد الاستدلال عند مكي- رحمه الله- هي قواعد عامة تشمل أكثر من أصل نحوي وقد آثرت جمعها في هذا المبحث حتى يسهل الانتفاع بها، وهذه الأصول لا تنتمي لباب واحد من أبواب النحو، وإنما هي ضوابط عامة تشمل الأبواب والجزئيات، وتنم عن فهم واع دقيق لكلام العرب، فهي عصارة فكره وخلاصة ما توصل إليه بعد طول بحث ومدارسة في هذا العلم، لحظت من خلالها مشابهتا للقواعد الفقهية وهي:

1/الاستثقال يبيح التغيير: في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ سورة غافرالآية: (67)

قال مكي- رحمه الله- : وقوله: {ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً} هذا جمع للعدد الكثير وحكم القليل فيه " أشيخ " كفلس وأفلس. إلا أنهم استثقلوا الضمة على الياء. فشبهوا باب فعل بفعل. وحق فعل في القليل أن يجمع على أفعال كجمل وأجمال فجمعوا فعلاً عند الاستثقال بضمة الياء على " أفعال " فقالوا: أشياخ ". والأصل أشيخ، ومثله زيد وأزياد، والأصل أزيد. فإن اضطر شاعر جاز أن يأتي به على أفعال فيقول أزيد وأشيخ كما قالوا: عين وأعين وإنما حسن في أعين في غير الشعر لأنها مؤنثة. والشيخ ما جاوز الأربعين[1].

2/ كثرة الاستعمال تبيح التخفيف:

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 10/657-658

قال مكي– رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ سورة البقرة الآية: (3). وأصل " ما " في قوله: {وَممَّا} أن تكتب منفصلة، لأنها بمعنى " الذي "، والهاء محذوفة من {رَزَقْنَاهُمْ}، أي وبعض الذي رزقناهم ينفقون منه. فحذفت من صلة " ما " لطول الاسم، فإن كانت " ما " بغير معنى " الذي "، وإنما هي صلة، كان أصلها أن تكتب متصلة بما قبلها نحو قوله: ﴿...إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ سورة النساء الآية: (171) ، وقوله: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ سورة الحج الآية: (49)، وشبهه، وقد وقعت " ما " متصلة بما قبلها من الجار في الخط، وهي بمعنى (الذي)، وأصلها الانفصال، وإنما جاز ذلك فيها لأن الجار والمجرور كالشيء الواحد، وذلك نحو " مما " و " عما "[1]

وأيضاً فإنه لما كان حرف الجر الذي على حرف واحد لا ينفصل مما جرى ما كان على حرفين على ذلك لأنها كلها حروف الجر، فوصلن بما قبلهن من الجار في الخط لارتباط الجار بالمجرور مع كثرة الاستعمال[2].

3/ ما أدى الى اللبس يجب اجتنابه:

قال أبو محمد: نذكر في هذا الموضع جملة من علل النحويين في {بِسمِ الله الرحمن الرَّحِيمِ}، ونستقصي إن شاء الله ذلك في سورة النمل إذ هي بعض آية هناك بإجماع.

فمن ذلك أن في كسر الباء قولين:

– أحدهما: إنها كسرت لتكون حركتها مشبهة لعملها.

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق،129/1

[2]/ المصدر نفسه،129/1.

– القول الثاني: إنها كسرت ليفرق بين ما لا يكون إلا " حرفاً وبين ما قد يكون اسماً نحو الكاف، وكذلك لام الجر.

وأصل الحروف التي تدخل للمعاني أن تكون مفتوحة لخفة الفتحة نحو حروف العطف وألف الاستفهام وشبهه، ولكن خرجت الباء واللام عن الأصل للعلة التي ذكرنا، وقيل: إنما كسرت لام الجر للفرق بينها، وبين لام التأكيد في قولك: " إن هذا لزيد " إذا أردت أن المشار إليه هو زيد، وإذا أردت أن المشار إليه في ملك زيد كسرت اللام، ويدل على أن أصلها الفتح أنها تفتح مع المضمر إذ قد أمن اللبس لأن علامة المجرور خلاف علامة المرفوع. تقول: " هذا له وهذا لك "، وأيضاً فإن الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها. هذا أصل مجمع عليه في كلام العرب، وسترى منه أشياء فيما بعد إن شاء الله[1].

وقد درج ابن مالك– رحمه الله– على نهجه حيث قال:

وأخِّرِ الْمفْعُوْلَ إنْ لَبْسٌ حُذِرْ أوْ أُضْمِرَ الْفَاْعِلُ غَيْرَ مُنْحَصِرْ[2]

يجب تقديم الفاعل على المفعول إذا خيف التباس أحدهما بالآخر كما إذا خفي الإعراب فيهما ولم توجد قرينة تبين الفاعل من المفعول وذلك نحو ضرب موسى عيسى فيجب كون موسى فاعلا وعيسى مفعولا، وهذا مذهب الجمهور وأجاز بعضهم تقديم المفعول في هذا ونحوه قال لأن العرب لها غرض في الالتباس كما لها غرض في التبيين[3].

4/ ما حمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، إنما يتقدم أولاً الحمل على اللفظ: في قوله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَـةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَـرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَاجِنَـا ۖ وَإِن يَكُن

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 87/1–88

[2]/ ابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى(672هـ)، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى1414هـ ص

[3]/ ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي المتوفى(769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين، دار التراث القاهرة، الطبعة العشرون 1400هـ ، 1980م، 99/2

مَّيْـتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة الأنعام الآية: (139)

قال مكي– رحمه الله– قوله: {خَالِصَةٌ}: أُنّثت (ما) لتأنيث (الأنْعَامِ)، لأن ما في بطونها ملتبس بها، كما قال:

مَشَيْنَ كَمَا اهتزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهتْ أَعَاليها مَرَّ الرِّياحِ النَّواسِمِ[1]

فأنِّث، لأن المَرَّ من الرياح، هذا قول الفراء. وقال الكسائي والأخفش: دخل التأنيث للمبالغة. وقيل: " التأنيث على معنى (ما)، والتذكير على اللفظ "، كذا قرأ ابن عباس (خَالِصُهُ) بالتذكير، والمعنى: ما خلص منه حياً لذكورنا. {وَمُحَرَّمٌ على أزواجنا} يعني الإناث ".، وقرأ الأعمش (خَالصٌ) بغير هاء، على التذكير على اللفظ، ولأن {وَمُحَرَّمٌ}، وهذه الآية – في قراءة الجماعة – أتت على خلاف نظائرها في القرآن، لأن ما يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، إنما يتقدم أولاً الحمل على اللفظ ثم يليه الحمل على المعنى، نحو: {مَنْ آمَنَ بالله} سورة البقرة الآية: (62) ثم قال: {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ} سورة البقرة الآية: (62)، ونحو {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السماوات والأرض طَوْعاً وَكَرْهاً} سورة الرعد: (15) ثم قال: {وَظِلالُهُم} سورة الرعد الآية: (15)، وهو كثير، هكذا يأتي في القرآن وكلام العرب، يتقدم الحمل على اللفظ، ثم يحمل بعد ذلك على المعنى. وهذه الآية تقدم الحمل (فيها) على المعنى فقال: (خالِصَة)، ثم حمل بعد ذلك على اللفظ فقال {وَمُحَرَّمٌ}. ومثله قوله: {كُلُّ ذلك كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} سورة الإسراءالآية: (38) ، فقال أولاً (سَيئةً) فأنث وحمل على معنى (كل)، لأنها اسم لجميع ما تقدم مما نهى عنه من الخطايا، ثم قال بعد ذلك (مَكْروهاً)، فذكّر على لفظ (كل)، وهذا إنما هو على قراءة نافع ومن تابعه[2].

1/ سبق التوثيق ص61

2/ مكي، الهداية، مصدر سابق،2/222–224

وبنحو الذي قال يقول ابن جني في أكثر من باب فيقول في التفسير بالمعنى دون اللفظ: (اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيرًا من الناس واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذلوا به وتتابعوا فيه؛ حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة، والأقوال المستشنعة، إنما دعا إليها القائلين بها تعلقهم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سر معانيها، ومعاقد أغراضها)[1].

وفي باب قوة اللفظ لقوة المعنى يقول: (هذا فصل من العربية حسن. منه قولهم: خشن واخشوشن. فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو. ومنه قول عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا...)[2]

5/ مخالفة النظائر يجب اجتنابها: وسأذكر لذلك ثلاثة نماذج

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ سورة البقرة الآية: (34) قال مكي- رحمه الله- وإبليس إفعيل من " أبلس " إذا يئس كأنه يئس من الرحمة، لم يصرف لقلة، وقيل: هو أعجمي، ولذلك لم يصرف في المعرفة. قال أبو عبيد: " لم يصرف لأنه لا نظير له في الأسماء "، وهو عنده " فِعْلِيل " أو " إِفْعِيل"[3].

---

[1]/ ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، 263/3

[2]/ المصدر نفسه، 268/3

[3]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 231/1

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ سورة أل عمران الآية: (37) قال مكي– رحمه الله– : وقوله: {بِقَبُولٍ} أتى مصدراً على غير المصدر، وكان القياس ضم القاف كالجلوس، ولكن أتى بالفتح فلا نظير له عند سيبويه. وقال غيره، قد أتى منه الولوع والوجود والسعوط كل مصدر على فعول بالفتح[1]

الأنموذج الثالث:

وهو قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ سورة هود الآية: (1)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {الر} قد تقدم الكلام عليها. وقولهم: " قَرَأتُ هوداً ": من صرفه أراد به سورة هود، ومن لم يصرفه جعله اسماً للسورة.

ولو قلت: " قرأت الحمد (لله) ". فإنما جاز النصب: تُعْمِلُ الفعل فيه، وجاز الرفع على الحكاية، فإن قلت: قرأتُ {الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين} [الفاتحة: 2، يونس: 10، الزمر: 75، غافر: 65]، حكاية لا غير، وكذلك {بَرَآءَةٌ} [التوبة: 1، القمر: 43]، ترفع على الحكاية، وتنصب على العمل. وتنوِّنُ إذا أردت الحذف، ولا فإن قلت: قرأتَ {بَرَآءَةٌ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ} [التوبة: 1]، حكاية لا غير، وتقول: قرأت " ألم البقرة ": فتنصِبُ على النعت لقولك: " ألم "، لأنه مفعول به بقراءةٍ، وإن شئت خفضتَ " البقرة "، وتقدّر إضافة " ألم " إليها، فإن قلت: " قرأت: {المص} سورة

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 998/2

الأعراف الآية: (1)، و {كهيعص} سورة مريم الآية: (1)، لم يجز الإعراب، لأنه ليس في الأسماء نظير لهذا[1].

6/ إذا حَسُنَ استعمال اللفظ على سياقه لم يقدر به غير ترتيبه:

في قوله تعالى:﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ سورة براءة الآية: (62)

قال مَكِّيّ – رحمه الله– : قوله تعالى: {والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ}.:التقدير عند سبيويه: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حذف الأوَّل لدلالة الكلام عليه، التقدير عند المبرد: أنَّه لا حذف في الكلام، وأنَّ فيه تقديماً وتأخيراً، والمعنى عنده: والله أحق أن يرضوه ورسوله، وقد رُدّ هذا القول؛ لأن التقديم والتأخير إنما يلزم إذا لم يكن استعمال اللفظ على ظاهره، فإذا حَسُنَ استعمال اللفظ على سياقه لم يقدر به غير ترتيبه[2].

7/ إذا جاز استعمال اللفظ بظاهره لم يجز الإضمار:

في قوله تعالى:﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ سورة براءة الآية: (62)

قال مكي– رحمه الله– التقدير عند سبيويه: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حذف الأوَّل لدلالة الكلام عليه، وقد رُدَّ أيضاً قول سيبويه بأن قيل: الإضمار إنما يلزم إذ لم يجز استعمال اللفظ بظاهره من سياقه، أو من تقدير فيه، فأما إذا جاز استعماله بغير زيادة على وجه ما، لم يجز تقدير إضمار وحذف[3].

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 3339/5

[2]/ المصدر نفسه ،353/4

[3]/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

8/ الإخراج عن الأصل لا يقبل إلا بدليل: وسأبين ذلك في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قال أبو محمد: نذكر في هذا الموضع جملة من علل النحويين في {بِسمِ الله الرحمن الرَّحِيمِ}، ونستقصي إن شاء الله ذلك في سورة النمل إذ هي بعض آية هناك بإجماع.

فمن ذلك أن في كسر الباء قولين:

– أحدهما: إنها كسرت لتكون حركتها مشبهة لعملها.

– القول الثاني: إنها كسرت ليفرق بين ما لا يكون إلا " [حرفاً وبين ما] قد يكون اسماً نحو الكاف، وكذلك لام الجر. وأصل الحروف التي تدخل للمعاني أن تكون مفتوحة لخفة الفتحة نحو حروف العطف وألف الاستفهام وشبهه، ولكن خرجت الباء واللام عن الأصل للعلة التي ذكرنا[1].

الأنموذج الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (184)

قوله: " يَتَطَيَّقُونَهُ ".

قال مكي– رحمه الله– وعن ابن عباس أنه قرأ: " يُطَيَّقُونَهُ " بضم الياء الأولى وتشديد الثانية. قال ابن الأنباري: في هاتين القراءتين لحن، لأن الفعل من الواو مأخوذ من الطوق، فلا معنى لقلب الواو ياء بغير علة ولا أصل ". وروي أيضاً عن مجاهد: " يَطَوَّقُونَهُ " بفتح الياء

[1]/مَكِّيّ الهداية، مصدر سابق، 87/1

وتشديد الطاء والواو بمعنى " يَتَكَلَّفُونَهُ ". يعني الشيخ الكبير والعجوز لا يقدران على ذلك، فتكون الآية على هاتين القراءتين محكمة في الشيخ والعجوز والحامل ومن لا يقدر على الصوم لعذر يعرض له، وتكون الآية الثانية لجميع الأصحاء، فهما محكمتان[1].

كان هذا الفصل محاولة لإلقاء الضوء على موقف نحوي من أصول النحو قد احتل مكان الصدارة بين متاخري النحاة، وقد وضع الدارس نصب عينيه مهمة كشف الغموض الذي اكتنف منهج التناول لأدلة النحو الإجمالية لدى هذا النحوي، وبعد ذلك سعى الدارس نحو تحقيق هذه المهمة، فتناول أصول النحو عند مكي– رحمه الله– أصلًا أصلًا من خلال أهم أثاره.

وإذا تراءى لي أن الفصل قد أوفى على الغاية التي كتبت من أجلها فإني اختمه بخلاصة وافية يمكن إجمالها في الأتي:

وضع مَكِّيّ القران في الصدارة على غيره في الاستدلال

اعتمد الحديث النبوي من مصادر الاستشهاد، ولعله في ذلك من المتوسطين، فلم يقف الدارس إلا على شاهد واحد في الجزء المدروس

المسموع المخالف للقياس يقبل ولا يقاس عليه

للإجماع دور بارز عند مَكِّيّ فهو يأتي في المرتبة التى تلي السماع والقياس، كما أنه احتج بأنواع أخرى من الإجماع، منها إجماع العرب، وإجماع أهل اللغة، وإجماع القراء.

عد مَكِّيّ الاستصحاب من الأدلة المعتبرة في إثبات القواعد ، كما أنه دائم التنبيه على الأصل مما جعله كثير الاستصحاب له.

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 596/1

وضع مَكِّيّ قواعد عامة للتوجيه، تشمل جميع الأصول النحوية، لا تختص بباب واحد، يصلح تطبيقها على الأبواب والجزئيات. وسأبين في الفصل القادم موقفه من المذاهب النحوية واعتراضاته على بعض آراء النحاة – إن شاء الله–.

الفصل الثالث: موقف مَكِّيّ من المذاهب النحوية و اعتراضاته على بعض آراء النحويين

المبحث الأوَّل: مفهوم المذهب

المبحث الثاني: موقف مكي من البصريين

المبحث الثالث: موفق مكي من الكوفيين

المبحث الرابع: موقف مكي من المصطلحات النحوية

المبحث الخامس: اعتراضات مكي على بعض آراء النحويين

المبحث الأوَّل

مفهوم المذهب

المذهب في اللغة:

ذهب: الذَّهابُ: السَّيرُ والمُرُورُ؛ ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهاباً وذُهوباً فَهُوَ ذاهِبٌ وذَهُوبٌ. والمَذْهَبُ: مَصْدَرٌ، كالذَّهابِ. وذَهَبَ بِهِ وأَذهَبَه غَيْرُهُ: أَزالَه. وَيُقَالُ: أَذْهَبَ بِهِ، قَالَ أَبو إِسحاق: وَهُوَ قَلِيلٌ. فأَمَّا قراءَةُ بَعْضِهِمْ: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ سورة النورالآية: (43)، فنادِرٌ. وَ قَالُوا: ذَهَبْتُ الشَّامَ، فعَدَّوْهُ بغيرِ حرفٍ، وإِن كَانَ الشامُ ظَرْفاً مَخْصُوصاً شَبَّهوه بِالْمَكَانِ المُبْهَم، إِذ كَانَ يَقَعُ عَلَيْهِ المكانُ والمَذْهَبُ. وَحَكَى اللِّحْيَانِيُّ: إِنَّ الليلَ طويلٌ، ولَا يَذْهَبُ بنَفْسِ أَحدٍ منَّا، أَي لَا ذَهَب. والمَذْهَب: المُتَوَضَّأُ، لأَنَّهُ يُذْهَبُ إِليه. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذا أَراد الغائطَ أَبْعَدَ فِي المَذْهَبِ، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنَ الذَّهابِ. قال الْكِسَائِيُّ: يقالُ لمَوضع الغائطِ: الخَلاءُ، والمَذْهَب، والمِرْفَقُ، والمِرْحاضُ. و المَذْهَبُ: المُعْتَقَد الَّذِي يُذْهَبُ إِليه؛ وذَهَب فلانٌ لِذَهَبِه أَي لمَذْهَبِه الَّذِي يَذْهَبُ[1]

وبعد، فماذا يراد من كلمة "مذهب" أو "مدرسة" حين يقال في علم النحو: مذهب البصريين أو مدرسة الكوفيين؟ لمعرفة هذين المصطلحين لا بد من الآتي:

أولًا نشأة علم النحو: لا شك أن الدافع الأساسي من نشأة هذا العلم هو تفشي اللحن عند انتشار الإسلام في مشارق الأرض، واختلاط العرب بالأعاجم، فقد ظهرت بوادره، في عهد النبوة ،

1/ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة "ذهب"، 394/1

فقد رووا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سمع رجلًا يلحن في كلامه فقال: "أرشدوا أخاكم، فإنه قد ضل" [1]، وأخطر من ذلك تسرب اللحن الى قراءة القران الكريم، فقد روى السيوطي بسنده عن ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال: (قدم أَعْرَابِي فِي زمَان عمر فَقَالَ من يُقْرِئُنِي مِمَّا انْزِلْ الله على مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَأَقْرَأَهُ رجل سُورَة بَرَاءَة فَقَالَ: {أَن الله بَرِيء من الْمُشْرِكين وَرَسُوله} بِالْجَرِّ فَقَالَ الْأَعرَابِي أَو قد برئ الله من رَسُوله إِن يكن الله قد برئ من رَسُوله فَأَنا أَبْرَأ مِنْهُ فَبلغ عمر مقَالَة الْأَعرَابِي فَدَعَاهُ فَقَالَ يَا أَعْرَابِي أَتَبرأ من رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِنِّي قدمت الْمُشْرِكين وَلَا علم لي به فَسَأَلت من يُقْرِئُنِي فأقرأني هَذَا سُورَة بَرَاءَة فَقَالَ {أَن الله بَرِيء من الْمُشْرِكين وَرَسُوله} فَقلت أَو قد برئ الله من رَسُوله إِن يكن الله قد برئ من رَسُوله فَأَنا أَبْرَأ مِنْهُ فَقَالَ عمر لَيْسَ هَكَذَا يَا أَعْرَابِي قَالَ فَكيف هِيَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فَقَالَ {أَن الله بَرِيء من الْمُشْرِكين وَرَسُوله} فَقَالَ الْأَعرَابِي وَأَنا وَالله أَبْرَأ مِمَّا برئ الله وَرَسُوله مِنْهُ فَأمر عمر بن الْخطاب أَلا يقرئ الْقُرْآن الا عَالم باللغة[2]

وفي عهد علي رضى الله عنه أن ابا الْأسود الدؤَلِي رَضِي الله عَنهُ دخل إِلَى ابْنَته بِالْبَصْرَةِ فَقَالَت لَهُ يَا أَبَت مَا أَشد الْحر رفعت أَشد فظنها تسأله وتستفهم مِنْهُ أَي زمَان الْحر أَشد فَقَالَ لَهَا شهر ناجر يُرِيد شهر صفر، والْجَاهِلِيَّة كَانَت تسمي شهور السّنة بِهَذِهِ الْأَسْمَاء فَقَالَت يَا أَبَت إِنَّمَا أَخْبَرتك وَلم أَسأَلك فَأتى أَمِير الْمُؤمنِينَ عَليّ بن أبي طَالب رضى الله عنه فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِين: (ذهبت لُغَة الْعَرَب لما خالطت الْعَجم وأوشك إِن تطاول عَلَيْهَا زمَان أَن تضمحل فَقَالَ لَهُ وَمَا ذَلِك فَأَخْبرهُ خبر ابْنَته فَأمره فَاشْترى صحفا بدرهم وأملى عَلَيْهِ الْكَلَام كُله لَا يخرج عَن اسْم وَفعل وحرف جَاءَ لِمَعْنى وَهَذَا القَوْل أول كتاب سِيبَوَيْهِ ثمَّ رسم أصُول النَّحْو كلهَا فنقلها النحويون

---

[1]/ ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، 10/2

[2]/ السيوطي، سبب وضع العربية، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ/ 1988م ص30

وفرعوها[1] فكان لأبي الأسود فضل السبق، وشرف القدم في هذا الفن، وتخرج على يديه مجموعة من طلبة العلم وأسست المدارس.

ثانيًا المدارس النحوية[2]:

1/ المدرسة البصرية:

عُنيت البصرة قبل غيرها بالنحو، فوضعت قواعده وأصوله، و كان ابن أبي إسحاق الحضرمي[3] المتوفى سنة 117هـ أول نحوي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، اشتق قواعده، وقاس وعلل.

ثم جاء عيسى بن عمر الثقفي[4] المتوفى سنة 149هـ، وأبو عمرو بن العلاء[5] المتوفى سنة154هـ، ويونس بن حبيب[6] المتوفى سنة 182 هـ الذين تقدموا خطوات هامة في هذا المجال.

---

[1]/ السيوطي، سبب وضع العربية، مصدر سابق، ص42

[2] / الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب المتوفى(817هـ)،البلغة في تراجم النحو واللغة ، دار سعد الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م ص9-16

[3] / عيسى بن عمر الثقفي البكر من مقدمي نحويي أهل البصرة وكان أخذه من عبد الله بن أبي إسحاق وغيره. وعن عيسى بن عمر الثقفي أخذ الخليل بن أحمد. ينظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين، مصدر سابق، ص26

[4] / فهو العلم المشهور في علم القراءة واللغة والعربية، كان من الشأن بمكان. واسمه زبان. ينظر : ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص30

[5] / فمن أكابر النحويين؛ أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وسمع من العرب كما سمع من قبله، وأخذ عنه سيبويه، وحكى عنه في كتابه، وأخذ عنه أيضاً أبو الحسن بن حمزة الكسائي، وأبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء. وكان له مذاهب وأقيسة تفرد بها. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق ص 47

[6]/ أبو عبد الرحمن الضبي، وقيل الليثي بالولاء: إمام نحاة البصرة في عصره ومصدر الأدباء والنحويين في المشكلات. كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب.ينظر ياقوت الحموي المتوفى(626هـ)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الشرق العرربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1414هـ-1993م، 280/6

ويعود الفضل إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] المتوفى سنة 175هـ في إقامة صرح النحو والصرف وأصولهما ورفع قواعدهما التي ثبتت رغم الاختلاف الذي ظهر بين النحاة والمدارس، وقد اعتمد الخليل على السماع والتعليل والقياس.

ومن ثم إلى سيبويه[2] المتوفى سنة 180هـ الذي سجل في كتابه تلك الأصول والقواعد واستعمالاتها وأساليبها في كلام العرب.

ثم أتى الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة[3] المتوفى سنة 211هـ الذي لزم سيبويه وروى عنه كتابه وخالفه في كثير من المسائل، وتبعه محمد بن المستنير قطرب[4] المتوفى سنة 206هـ في كثير من الآراء و أبو عمر الجرمي[5] المتوفى سنة 225هـ الذي لزم الأخفش، وأخذ عنه كل ما عنده، وكانت له بعض الآراء الصرفية خالف فيها سيبويه.

---

[1] / الخليل ابن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري اللغوي صاحب العروض والنحو صدوق عالم عابد من السابعة مات بعد الستين وقيل سنة سبعين أو بعدها . ينظر ابن حجر العسقلاني المتوفى(845هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق محمد العومة، دار الرشيد سو يا، الطبعة الأولى 1806هـ- 1986م ص195.

[2] / عَمْرو بن عُثْمَان بن قنبر يُكنى أَبَا بشر، مولى لبني الْحَارِث. ينظر: أبو المحاسن الفضل بن محمد التنوخي المتوفى(442هـ)، تاريخ العلماء، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة القاهرة، الطبعة الثانية 1412هـ- 1992م ص90

[3] / أَبُو الْحسن سعيد بن مسْعدَة الْأَخْفَش مولى بني مجاشع بن دارم، وإليهم ينْسب، فَيُقَال الْمُجَاشِعِي، ويُلقب أَيْضا بالراوية. وَهُوَ أحذق أَصْحَاب سِيبَوَيْهِ. ينظر: التنوخي، تاريخ العلماء، مصدر سابق، ص85.

[4] / محمد بن المستنير أبو علي البصري المعروف بقطرب كان أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه، وعن جماعة من علماء البصريين، ويقال: إن سيبويه لقبة قطربا لمباكرته إياه في الأسحار قَالَ له يوما: ما أنت إلا قطرب ليل. والقطرب: دويبة تدب ولا تفتر. ينظر الخطيب البغدادي المتوفى(463هـ)، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى1422هـ- 2002م ص 480

[5] / أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي النحوي؛ فهو مولى لجرم بن ربان، وجرم من قبائل اليمن. وقال المبرد: المبرد: هو مولى لبجيلة بن أنمار. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص114

وأما أبو عثمان المازني [1]المتوفى سنة 249هـ فقد أصبح بعد وفاة الأخفش والجرمي عالم البصرة، وقام بالفصل بين النحو والصرف، فنظم قواعد الصرف ومسائله الخاصة، حتى جعله علما مستقلا بأبنيته وقياساته، بعد أن كان مختلطا بعلم النحو في كتاب سيبويه.

ثم لمع نجم تلميذه المبرد[2] المتوفى سنة 285هـ وأصحابه أبي إسحاق الزجاج[3] المتوفى سنة 310هـ وأبي بكر بن السراج[4] المتوفى سنة 316هـ وأبي سعيد السيرافي[5] المتوفى سنة 368هـ الذين أصلوا جذور المدرسة البصرية ومدوا فروعها للغاية.

2/ المدرسة الكوفية:

انشغل علماء الكوفة بادئ الأمر بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه، وعنوا بالقراءات ورواياتها، واهتموا أيضا برواية الأشعار، فتركوا المجال لعلماء البصرة الذين حازوا فضل السبق في علم النحو والصرف، ولكن سرعان ما رغب علماء الكوفة بهذين العلمين، فكان أبو جعفر الرواسي[6] المتوفى سنة 187هـ أول كوفي ألف في النحو، والذي أخذ العلم في البصرة عن

---

[1] / أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية –وقيل بكر– بن محمد بن عدي بن حبيب المازني العدوي؛ من بني مازن بن شيبان من أهل البصرة، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي، وأخذ عنه أبو العباس المبرد، والفضل بن محمد البريدي، وغيرهم. ينظر المصدر السابق، ص141.

[2] / أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد، فكان شيخ أهل النحو والعربية، وإليه انتهى علمها بعد طبقة أبي عمر الجرمي. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص164

[3] / أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج؛ فإنه كان من أكابر أهل العربية، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة. ينظر: المصدر السابق، ص183

[4] / أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج؛ كان أحد الأئمة المشاهير، المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 339/3

[5] / أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق،78/2

[6] / أبو جعفر محمد بن أبي سارة، ابن أخي معاذ الهراء، وإنما سمي الرؤاسي لعظم رأسه.ينظر ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص 50

أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي.

ثم ظهر الكسائي المتوفى[1] سنة 189هـ الذي أخذ العلم من حلقات أئمة البصريين، ثم رجع إلى الكوفة فوضع أسس المدرسة الكوفية التى اعتمدت على الاتساع في رواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة والقياس على الشاذ والنادر في اللغة، مخالفا بذلك البصريين في القواعد بآراء لا يقويها شاهد وربما رفض المسموع والشائع.

وتبعه بذلك تلميذه الفراء[2] المتوفى سنة 207هـ متسعا بهذه الجوانب ومتزودا بقدرة ثقافية كلامية فلسفية، أقدرته على الاستنباط والتحليل والاحتيال للآراء، وهشام بن معاوية الضرير[3] المتوفى سنة 209هـ.

ثم جاء ثعلب أحمد بن يحيى[4] المتوفى سنة 291هـ الذي أخذ عن الفراء كل ما كتب وقرأ كتاب سيبويه، وأخذ عن الأخفش الأوسط، حتى تبحر في مذهبي البصرة والكوفة. واشتهر بعد وفاته من تلاميذه كثيرون، من أمثال أبي موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض[5]، الذي جلس بعد موت أستاذه مجلسه، حتى توفي سنة 305هـ .

---

[1] / أبو الحسن محمد بن علي، أخذ عن أبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ الهراء، وكان أحد أئمة القراء السبعة؛ وكان قد قرأ على حمزة الزيات وأقرأ بقراءته ببغداد، ثم اختار لنفسه قراءة. ينظر: المصدر السابق، ص59

[2] / أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء؛ فإنه كان مولى لبني أسد، من أهل الكوفة، وأخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي. ينظر: ابن الأنباري، نزهةالألباء، مصدر سابق، ص81

[3] / هشام بن معاوية الضرير، فكان يكنى أبا عبد الله، أخذ عن الكسائي، ينظر المصدر السابق، ص 129

[4] / أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب، فإنه كان إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه. ينظر ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق،ص173

[5] / أبو موسى المعروف بالحامض البغدادي: أحد ائمة النحاة الكوفيين، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلفه في مقامه وتصدّر بعده.ينظر ياقوت الحموي المتوفى(626هـ)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى1414هـ- 1993م،1400/3

ثم جاء أحمد بن فارس[1] المتوفى سنة 395هـ ، الذي مد ظلال المدرسة الكوفية إلى حين ابن آجروم[2] الصنهاجي المتوفى سنة 723هـ، الذي كان آخر النحاة، الذين استظهروا آراء المدرسة الكوفية.

3/ المدرسة البغدادية:

إن أوائل النحاة الذين ظهروا في بغداد كانوا ممن أخذ عن المبرد وثعلب وبذلك نشأ جيل يحمل آراء كلتا المدرستين، وكان منهم من مال في أغلب آرائه إلى أهل الكوفة، كابن كيسان [3]المتوفى سنة 299هـ وابن شقير[4] المتوفى سنة 315 هـ، والزجاجي المتوفى [5] سنة 337هـ .

ومنهم من اتجه إلى الآخذ بأراء أهل البصرة كأبي علي الفارسي [6]المتوفى سنة 377هـ، 377هـ،

---

[1] / أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي الرازي، أحد رجال خراسان وعلمائها وأئمة أدبائها، غلب عليه علم الفقه ولسان العرب، فشهر به. ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مصدر سابق، 7/ 84

[2] / مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن دَاوُد الصنهاجي أَبُو عبد الله النَّحْوِيّ الْمَشْهُور بِابْن آجروم بِفَتْح الْهمزَة الممدودة، وَضم الْجِيم وَالرَّاء الْمُشَدّدَة، وَمَعْنَاهُ بلغَة البربر " الْفَقِير الصُّوفِي "، صَاحب الْمُقدمَة الْمَشْهُورَة بالجرومية. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية لبنان صيدا، 238/1

[3] / أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، فإنه كان أحد المشهورين بالعلم، والمعروفين بالفهم؛ أخذ عن أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب، وكان قيما بمعرفة البصريين والكوفيين، وكيسان لقب لأبيه كذلك. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، مصدر سابق، ص 178

[4] / أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج النحوي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وكان مشهورا برواية كتب الواقدي عن أحمد بن عبيد عنه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر سابق،232/1

[5] /أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، فإنه كان من أفاضل أهل النحو، أخذ عن أبي إسحاق الزجاج وأبي بكر بن السراج وعلي بن سليمان الأخفش. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص 227

[6] / أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي؛ فإنه كان من أكابر أئمة النحويين؛ أخذ عن أبي بكر بن السراج، وأبي إسحاق الزجاج؛ وعلت منزلته في النحو حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد. ينظر: المصدر السابق، ص232

الذي عكف على حلقات البصريين، وابن جني [1]المتوفى سنة 392هـ، الذي يعد أول أئمة المدرسة البغدادية، وكان ظهور هذين العالمين إيذانا بنشوء مذهب جديد في الدراسة والتصنيف، مذهب يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين جميعا والاجتهاد في استنباط آراء جديدة، معتمدين على تمثل آراء نحاة البصرة والكوفة وآراء البغداديين الأوائل، وكان أشهر أتباع المذهب الجديد الزمخشري[2] المتوفى سنة 538هـ وابن الشجري[3] المتوفى سنة 542هـ وأبو البركات بن الأنباري[4]المتوفى سنة 577 هـ وأبو البقاء العكبري[5] المتوفى سنة 616هـ 616هـ وابن يعيش[6] المتوفى سنة 643هـ .

---

[1] / أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، فإنه كان من حذاق أهل الأدب، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص244

[2] / أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه. أخذ النحو عن أبي مضر منصور ، وصنف التصانيف البديعة: منها " الكشاف " في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله و " المحاجاة . ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 168/5

[3] / أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري، فإنه كان فريد عصره، ووحيد دهره في علم النحو، وكان تام المعرفة باللغة، أخذ عن أبي المعمر يحيى بن طباطبا العلوي. ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، مصدر سابق، ص 299

[4] / عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات النحوي كمال الدين ابن الأنباري؛ قدم بغداد في صباه وقرأ الفقه بالمدرسة النظامية على ابن منصور سعيد بن الرزاز وعلى من بعده حتى برع وحصل طرفاً من الخلاف، وصار معيداً بالنظامية، وكان يعقد مجلس الوعظ، ثم قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي ولازم الشريف ابن الشجري حتى برع وصار من المشار إليهم في النحو، وتخرج به جماعة، وسمع من ابن خيرون وعبد الوهاب ابن الأنماطي ومحمد بن حبيب العامري وغيرهم، وحدث وروى الكثير من كتب الأدب. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 293/2

[5] / أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولد والدار، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير، الملقب محب الدين؛ أخذ النحو عن أبي محمد ابن الخشاب . ينظر: المصدر السابق، 100/3

[6] / يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع: من كبار العلماء بالعربية. موصلي الأصل. ينظر: الزركلي، الأعلام، مصدر سابق،206/8

3/ المدرسة الأندلسية:

ابتدأت عناية الأندلسيين بنحو الكوفة، فكان أولهم جودي بن عثمان المورورِيّ[1] المتوفى سنة 198هـ الذي رحل إلى المشرق، وأخذ عن الكسائي والفراء، وعبد الملك بن حبيب السلمي[2] المتوفى سنة 238هـ ، حتى إذا وصلنا إلى الأقشتي المتوفى سنة 307هـ نراه يرحل إلى الشرق، ويعود بكتاب سيبويه، ويعلمه تلاميذه بقرطبة، وعنه أخذ أحمد بن يوسف بن حجاج[3] المتوفى سنة 336هـ ، ويبدأ الاهتمام بالكتاب أكثر فأكثر على يدي محمد بن يحيى المهلبي الجياني المتوفى سنة 353 هـ وأبي على القالي[4] المتوفى سنة 356هـ وابن القوطية [5]المتوفى سنة 367هـ ، وغيرهم. فطبع نحو الأندلسيين عند ذاك بالطابع البصري في أغلب مسائله وقواعده، ثم أقبل العلماء على شرح كتب المشرق المشهورة بشكل عام، والإفادة منها،

---

[1] / جودي بن عثمان مولى لآل يزيد بن طلحة العنبسيين : من أهل مورور من بلاد الغرب، ذكره الحميدي والزبيدي، رحل إلى المشرق فلقي الكسائي والفراء وغيرهما وهو أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصدر سابق،802/2

[2] / عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي الأندلسي القرطبي. قال ابن الفرضي: كان فقيهاً نحوياً شاعراً أخبارياً نسابة طويل اللسان متصرفاً في فنون العلم.ينظر: بكر بن عبدالله المتوفى(1429هـ)، طبقات النسابين، دار الرشد الرياض الطبعة الأولى1407هـ- 1987م ص60

[3] / أحمد بن يوسف بن حَجّاج بن عُمَيْر بن حبيب، أبو عمر الإشبيليّ الأديب. كان حافظًا للنَّحْو، مدقِّقًا؛ شاعرًا عروضياً، مشاركا في علوم. ينظر الذهبي، تاريخ الأسلام ، مصدر سابق، 699/7

[4] / إسماعيل بن القاسم أبو علي القالى اللغوي، ولد بمنازجرد، من ديار بكر، فنشأ بها، ورحل منها إلى العراق في طلب العلم، ومال الى اللغة والأدب. ينظر: محمد بن فتوح الحميدي المتوفى(488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة 1966م ص164

[5]/ علَّامة الأَدَب، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. ينظر: الذهبي، سيرأعلام النبلاء، مصدر سابق،269/12

واشتهر من نحاتهم كثيرون أمثال الزبيدي صاحب طبقات اواللغويين[1] المتوفى سنة 379هـ

ثالثًا: لعلَ أول من صنف النحويين إلى مذاهب ابن الأنباري- رحمه الله- متأثرًا بالمسائل الخلافية الفقهية فيقول: (... وبعد؛ فإن جماعة من الفقهاء المتأدّبين، والأدباء المتفقّهين، المشتغلين عليّ بعلم العربية، بالمدرسة النِّظامية – عَمَرَ الله مبانيها! ورحم الله بانيها! سألوني أن ألخص لهم كتابًا لطيفًا، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صُنّف في علم العربية على هذا الترتيب، وأُلِّف على هذا الأسلوب؛ لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف، ولا ألف عليه أحد من الخلف. فتوَخَّيْتُ إجابتهم على وَفْقِ مسألتهم، وتَحَرَّيت إسعافهم لتحقيق طَلِبَتِهم؛ وفتحت في ذلك الطرق، وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف، لا التّعصّب والإسراف)[2]

يرى الدارس بعد هذا التقصي الآتي:

- لا يوجد تعارض بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي لكلمة مذهب.

- عُنيت البصرة قبل غيرها بالنحو، فوضعت قواعده و أصوله.

- أنَّ الكسائي أخذ العلم من حلقات أئمة البصريين، ثم رجع إلى الكوفة فوضع أسس المدرسة الكوفية التى اعتمدت على الاتساع في رواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة والقياس على الشاذ والنادر في اللغة، مخالفا بذلك البصريين.

---

[1] /محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزّبيدي: من إشْبِيليَّة. سكن قُرْطُبَة فنال بها جاهاً عظيماً ورياسة؛ يُكَنَّى: أبَا بكر.سمع: من قَاسِم بن أصبغ، وسعيد بن فحلون، وأحمد بن سعيد، وقَيَّدَ اللغة والأشْعار عن أبي عليّ البغداديّ. وكان: وَاحِد عصره في علم النَّحْو، وحفظ اللغة. ينظر: ابن الفرضي المتوفى(403هـ)، تاريخ علماء الأندلس ، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م 2/ 92

[2] / ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 7/1

– قد تضم البلدة الواحدة نحاة من منازع مختلفة، يطغى عليها أحيانا مذهب أهل البصرة، وأحيانا مذهب الكوفة، تبعا لنزعة العالم ذي الأثر فيها.

– لم يكن الخلاف بين البصريين والكوفيين نشأ عنه نحوان متعارضان، وإنما اختلاف في المنهج المعتمد التي فرضتها كل بيئة، وأما اختلافهم في المصطلحات النحوية فلا يغير شيئًا فالتابع واحد سواء اسميناه صفة كم شاع عن البصريين أم نعتًا كما يسميه الكوفيون.

– قد صنف القدماء النحويين على البلدان فقالوا: "نحاة الكوفة" و"نحاة البصرة" و"نحاة بغداد" حين ألفوا في الطبقات. فساق هذا – مع تساهل كبير– إلى أن قيل فيما بعد: "مذهب البصريين" و"مذهب الكوفيين" و"مذهب البغداديين".

– أثر عن القدماء كلمة (مذهب) في مسائل الخلاف النحوي ، واستحسن المعاصرين كلمة (مدرسة) فألف في المدراس دكتور ابراهيم السامرائ وخديجة الحديثي وشوقي ضيف وعلي أبوالمكارم وغيرهم.

المبحث الثاني

موقف مكي من البصريين

لقد تتبعتُ مكي– رحمه الله– وهو يستعرض المسائل النحوية، فوجدته قد وافق البصريين في أغلب مسائله، فيصفه بالجودة والحسن، وسأرتب هذه المسائل على حسب ترتيب السور بذكر نماذج .

أولًا: سورة الفاتحة: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (1)

قال مكي– رحمه الله– : و" اسم " عند البصريين مشتق من السمو؛ يدل على ذلك قولهم في التصغير " سمي ". فرجعت اللام المحذوفة إلى أصلها، ورجعت السين إلى حركتها لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها، وقال الكوفيون: " هو مشتق من السمة وهي العلامة لأن صاحبه يعرف به، وليس يسمو به، كما ذكر البصريون أن اشتقاقه من السمو وهو العلو ". قال مكي: وقول الكوفيين قول يساعده المعنى ويبطله التصريف لأنهم يلزمهم أن يقولوا في التصغير " وُسَيْمٌ "، لأن فاء الفعل واو محذوفة فيجب ردها في التصغير، وذلك لا يقوله أحد[1]

ثانيًا سورة البقرة في ستة نماذج:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾سورة البقرة الآية: (19)

قال مكي– رحمه الله– قوله: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السمآء} الآية. الصَّيِّب: المطر، وأصله " صَيْوِبٌ " عند البصريين من " صابَ " يَصُوبُ "، والصَّوْبُ: نزول المطر. يقال: " صَابَ المطر " إذا

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،90/1

نزل. وقال الكوفيون: " أصله صَوِيب على فعيلٍ كَرَغِيفٍ، ويلزمهم ألا يعلوه كما لم يعلوا " طويل ". واعتل عند البصريين لأن الياء إذا أسكنت وأتت بعدها واو، قلبت من الواو ياء وأدغمت الأولى في الثانية " كَمَيِّتٍ " و " هَيِّنٍ "[1].

الأنموذج الثاني :

قوله تعالى: ﴿ ...وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ سورة البقرة الآية: (102)

قال مكي– رحمه الله– قوله: {لَمَنِ اشتراه} "من " بمعنى " الذي "، وأجاز الفراء أن تكون للشرط ولا يجوز ذلك عند البصريين.

و وافقه الطبري بقوله: (و أما "من" فهو حرف جزاء، وإنما قيل "اشتراه" ولم يقل "يشتروه"، لدخول "لام القسم" على "من". ومن شأن العرب – إذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم – أن لا ينطقوا في الفعل معه إلا بـــ "فعل" دون "يفعل"، إلا قليلا كراهية أن يحدثوا على الجزاء حادثا وهو مجزوم، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ سورة الحشرالآية: (12)، وقد يجوز إظهار فعله بعده على "يفعل" مجزوما، كما قال الشاعر:

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي أن بيتي واسع [2]

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 174/1

[2] / الطبري، جامع البيان، تحقيق أحمد شاكر،موسسة الرسالة، 1420هـــ، 2000م، 452/2، الفراء ، معاني الفراء ، مصدر سابق،1/ 66 غير منسوب، ولكن صاحب الخزانة 4: 220 نسبه لكميت بن معروف، ولكني لم أجده منسوبا إليه في كتاب آخر، وأخشى أن يكون صاحب الخزانة قدوهم. هذا والبيت وما قبله جميعا في معاني الفراء 1: 65 – 66.

الأنموذج الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورة البقرة الآية: (130)

قال مكي- رحمه الله-: قال ابن زيد: " {إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}: معناه من أخطأ حظّه "، ومذهب الفراء أن " نفسه " منصوب على التفسير مثل " ضِقْتُ بهِ ذَرْعاً ". قال: وهو من المعرفة كالنكرة، ولا يجوز أن يكون التمييز معرفة عند البصريين ومثلها عنده:

﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ سورة القصص الآية: (58)، ولا يجوز عند الفراء التقديم، وقال الكسائي وهو أحد قولي الأخفش المعنى: إلا من سفه في نفسه، فلما حذف الحرف نصب، ويُجيزان التقديم، ومذهب أهل التأويل أن معناه: سفه نفسه. فهو مفعول به، وقال يونس: " أراها لغة ". وقال أبو عبيدة: " معناه: أهلك نفسه "، ومذهب البصريين أنه مثل: " ضرب فلان الظهر والبطن " أي: في الظهر والبطن فلا حذف في نصبه. كذلك معناه: سفه في نفسه، ثم نصب لما حذف " في "، وقال الزجاج ": معناه: جهل نفسه ". فهو مفعول به عنده بجهل " أي: لم يفكر في نفسه. فالسفه والجهل سواء، وقيل: التقدير إلا من جهل رأي نفسه وقول نفسه، ثم حذف، مثل: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ سورة يوسف الآية: (82)، وقيل: التقدير، إلا من جهل قولُه نفسه، ثم حذف المؤكد وأقام التوكيد مقامه[1].

[1] /مكي، الهداية، مصدر سابق،1/451-454

ويتلخص للدارس قوله: {نَفْسَهُ} في نصبِه سبعةُ أوجهٍ، أحدُها: – وهو المختارُ – أَنْ يكونَ مفعولاً به؛ لأنَّ ثعلباً والمبرد حكيا أنَّ سَفِه بكسر الفاء يتعدَّى بنفسه كما يتعدَّى سَفَّه بفتح الفاء والتشديد، وحُكي عن يونس أنها لغةٌ[1]، وأما حذف المؤكد وإبقاء التوكيد، فالصحيح لا يجوز، وأما التمييز فلا يقع معرفة، وما ورد نادر أو متأول، وأما النصب على التشبيه بالمفعول، فلا يكون في الأفعال إنما يكون في الصّفات المشبهة خاصة.

الأنموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿ ... فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾سورة البقرة الآية: (196)

قال مكي– رحمه الله– وقوله: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} فـــ " كاملةٌ " ليس بتأكيد للعشرة، وإنما هو تأكيد للكيفية في صومها وترتيبها، وقيل: لما كانت الواو قد تقع بمعنى " أو "، فتكون مخيرة في صيام سبعة أو ثلاثة. أتى بـــ {عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} ليبين أن الواو ليست بمعنى " أو "، وأن السبعة والثلاثة يلزم صيامها، فبين بِـــ " عشرة " ذلك، وأزال اللبس والاحتمال، وهذا مبني على مذهب الكوفيين في إجازتهم لوقوع الواو بمعنى " أو "، وليس هو مذهب البصريين، لا تقع عندهم الواو بمعنى " أو " لاختلاف مَعْنيهما وحكميهما[2].

وقد وافقه االطبري قال أبو جعفر: (وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك تلك عشرة كاملة عليكم فرضنا إكمالها. وذلك أنه جل ثناؤه قال: فمن لم يجد الهدي

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق ،453/1

[2] / المصدر نفسه،655/1

فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع، ثم قال: تلك عشرة أيام عليكم إكمال صومها لمتعتكم بالعمرة إلى الحج. فأخرج ذلك مخرج الخبر، ومعناه الأمر بها)[1].

الأنموذج الخامس:

قوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ...﴾سورة البقرة الآية: (185)

قال مكي– رحمه الله– : فأما إعراب {شَهْرُ رَمَضَانَ}؛ فيجوز أن يكون " شَهْرُ " رفع بالابتداء، و (الَّذِي أُنْزِلَ) الخبر، ويجوز أن يكون التقدير: الأيام التي تصام شهر رمضان وشبهه، وقرأ مجاهد وشهر بن حوشب: " شَهْرَ. " بالنصب. ورويت عن عاصم ونصبه عند البصريين على الإغراء، وعند الكوفيين بالصيام، وهو قبيح للتفرقة بين الصلة والموصول [2]

وبنحو مذهبه يذهب أبو جعفر: (ويجوز شَهْرُ رَمَضانَ من جهتين: إحداهما على قراءة من نصب فقلب حركة الراء على الهاء، والأخرى على لغة من قال لحم ولحم ونهر ونهر «شهر رمضان» رفع بالابتداء وخبره الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ويجوز أن يكون شهر مرفوعا على إضمار ابتداء، والتقدير المفترض عليكم صومه شهر رمضان أو ذلك شهر رمضان أو الصوم أو الأيام. ورمضان لا ينصرف لأن النون فيه زائدة. ونصب شهر رمضان شاذّ وقد قيل فيه أقوال: قال الكسائي: المعنى كتب عليكم الصيام وأن تصوموا شهر رمضان. قال الفراء: أي كتب عليكم الصيام أي أن تصوموا شهر رمضان. قال أبو جعفر: لا يجوز أن تنصب شهر رمضان تصوموا لأنه يدخل في الصلة ثم يفرق بين الصلة والموصول وكذا إن نصبته بالصيام،

---

[1] / الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، 109/3

[2] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 602/1

ولكن يجوز أن تنصبه على الإغراء أي الزموا شهر رمضان وصوموا شهر رمضان. وهذا بعيد أيضا لأنه لم يتقدّم ذكر الشهر فيغرى به)[1].

والذي يتلخص للدارس الآتي:

قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ} : فيه قراءتان، المشهورةُ الرفعُ، وفيه أوجهٌ، أحدُها: أنه مبتدأٌ، وفي خبرهِ حينئذٍ قولان، الأوّل: أنه قولُه {الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن} ويكون قد ذَكَرَ هذه الجملةَ مَنْبَهَةً على فَضلِه ومَنْزِلَتِه، يعني أنَّ هذا الشهر الذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ هو الذي فُرِضَ عليكم صومُهُ[2]، والقولُ الثاني: أنه قولُه: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} وتكونُ الفاءُ زائدةً وذلك على رأي الأخفشِ، وليست هذه الفاء لا تزاد في الخبرِ لشبهِ المبتدأِ بالشرطِ، وإن كان بعضُهم زَعَم أنَّها مثلُ قولِهِ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الجمعة الآية: (8) وليس كذلك، لأنَّ قولِهِ: {الموت الذي تَفِرُّونَ} يُتَوَهَّم فيه عمومٌ بخلاف شهر رمضان. فإنْ قيل: أين الرابطُ بين هذه الجملةِ وبين المبتدأ؟ قيل: تكرارُ المبتدأِ بلفظِه، وهذا الإعراب – أعني كون «شهر رمضان» مبتدأ – على قولِنا: إن الأيامَ المعدوداتِ هي غيرُ رمضان، أمَّا إذا قُلْنا إنها نفسُ رمضان ففيه الوجهان الباقيان.

أحدُهما: أن يكون خَبَرَ مبتدأٍ محذوفٍ، فقدَّرَهُ الفراء: ذلكم شهرُ رمضانَ، وقدَّره الأخفش: المكتوبُ شهرُ، والثاني: أن يكونَ بدلاً مِنْ قَوْلِهِ «الصيام» أي: كُتِبَ عليكم شهرُ رمضانَ، وهذا الوجهُ وإن كان ذهب إليه الكسائي بعيدٌ جداً لوجهين، أحدُهما: كثرةُ الفصلِ بين البدلِ والمُبْدَلِ

[1] /النحاس،اعراب القرآن ، مصدر سابق، 96/1

[2] / المصدر نفسه، 96/1

منه. والثاني: أنه لا يكونُ إذ ذاك إلا مِنْ بدلِ الإشتمالِ وهو عكسُ بدلِ الاشتمالِ، لأنَّ بدلَ الاشتمال غالباً بالمصادرِ كقوله:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ ﴾ سورة البقرة الآية: 217، وقول الأعشى: لقد كانَ في حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُه تَقَضِّي لُباناتٍ وَيَسْأَمُ سائِمُ[1]

وهذا قد أُبْدِلَ فيه الظرفُ من المصدرِ. ويمكن أن يوجَّهَ قولُه بأنَّ الكلامَ على حَذْفِ مضافٍ تقديرُهُ: صيامُ شهر رمضان، وحينئذٍ يكونُ من بابِ [بدلِ] الشيءِ من الشيءِ وهما لعينٍ واحدة. ويجوزُ أن يكونَ الرفعُ على البدلِ من قوله «أياماً معدوداتٍ» في قراءةِ مَنْ رَفَع «أياماً»، وهي قراءة عبدِ الله وفيه بُعْدٌ.

وأَمَّا غيرُ المشهورِ فبالنصب، وفيه أوجهٌ، أجودُها، النصبُ بإضمار فعلٍ أي: صُوموا شهرَ رمضانَ. الثاني – وذَكَره الأخفشُ والرُمَّاني –: أن يكونَ بدلاً من قولِهِ «أياماً معدوداتٍ» ، وهذا يُقَوِّي كونَ الأيام المعدودات هي رمضانَ، إلا أن فيه بُعْداً من حيث كثرةُ الفَصْلِ. الثالثَ: نَصْبٌ على الإغراء ذكره أبو عبيدة والحوفي. الرابع: أَنْ ينتصِبَ بقولِهِ: «وَأَنْ تصوموا» حكاه ابن عطية، وجَوَّزَهُ الزمخشري[2]، وليس لقائلٍ أن يقول: يتخرَّجُ ذلك على الخلافِ في الظرفِ وحَرفِ الجر فإنه يُغْتَفَرُ فيه ذلك عند بعضهم لأنَّ الظاهرَ من نصبِهِ هنا أنه مفعولٌ به لا ظرفٌ الخامسُ: أنه منصوبٌ بتَعْملون «على حَذْفِ مضافٍ، تقديرُهُ: تعلمونَ شرفَ شهرِ رمضان فَحُذِفَ المضافُ وأقيم المضافُ إليه مُقَامَهُ في الإعرابِ[3].

---

[1]/ البيت للأعشى ميمون بن قيس، انظر: معجم شواهد العربيَّة، عبد السلام محمد هارون، مصدر سابق، ص: 443.

[2] / أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى(756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، (ت،ط) 278/2

[3] / الحلبي، الدر المصون، مصدر سابق،276/2

الأنموذج السادس:

في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ سورة البقرة الآية: (255)

قال مكي– رحمه الله– : وقوله: {القيوم} وهو " فَيْعُولٌ " من " قَامَ "، ولا يحسن أن يكون " فَعُولاً " لأنه يلزم منه أن يقال: " قَوُومٌ "، وقال ابن كيسان: " ليس في كلام العرب، فعول من الواو ، وروي عن عمر أنه قرأ " الْقَيَّامُ " ووزنه " فَيْعَالٌ " من " قَامَ "، وقرأ علقمة " الْقَيِّمُ "، ووزنه عند البصريين " فعيل "، ثم أدغم فكان أصله قيوماً، وأصل عند الكوفيين " قويم " مثل فعيل، ويلزمهم ألا يعل كما لم يعل " طويل " وشبهه[1].

ثالثًا سورة آل عمران في أنموذجيين :

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾سورة آل عمران الآية: (59)

قال مكي– رحمه الله– : وقوله {خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ} ابتداء المماثلة، وليس بمتصل بآدم صلى الله عليه وسلم إنما هو تبيين قصة آدم صلى الله عليه وسلم، لأن الماضي لا يكون حالا[2].

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 1/ 45

[2] / المصدر السابق 135/1

يرى مكي- رحمه الله- رأي البصريين، ولهم في ذلك حججٌ؛ قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز أن يقع حالًا، وذلك لوجهين أحدهما: إن الفعل الماضي لا يدل على الحال، فينبغي ألا يقوم مقامه[1].

الثاني: إنما يصلح أن يقوم مقام الحال ما يصلح فيه "الآن" و"الساعة"، نحو: مررتُ بزيدٍ يضربُ، نظرتُ إلى عمرو يكتبُ؛ لأنه يحسن أن يقترن به الآن والساعة. وهذا لا يصلح في الماضي، فينبغي ألا يكون حالًا... ولا يلزم من كلامنا إذا كان مع الماضي "قد" يجوز أن يكون حالًا، نحو: مررتُ بزيدٍ قد قامَ، وذلك لأن "قد" تُقرب زمن الماضي من الحال، فجاز أن يقع حالًا[2].

أما الكوفيون، فذهبوا إلى أنه يجوز أن يقع حالًا، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين. واحتجوا على الجواز بالنقل والقياس، أَمَّا القياس فقوله تعالى: (أو جاءكم حصرت صدورهم)، فـ(حصرت) فعل ماضي، وهو في موضع الحال، وتقديره: حَصِرةً صدورهم، والدليل على صحة هذا التقدير: قراءة من قرأ "أو جاءوكم حَصِرَةً صدورهم"، وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب الحضرمي[3].

وأَمَّا القياس، فلأن كل ما جاز أن يكون صفة لنكرة، نحو: مررتُ بالرجلِ قاعداً، أو: بالغلامِ قائماً، جاز أن يكون حالًا، والفعل الماضي يجوز أن يكون صفة للنكرة، نحو: مررتُ برجلٍ قعدَ، و: غلامٍ قامَ. فينبغي أن يجوز أن يقع حالاً للمعرفة، نحو: مررتُ بالرجلِ قعدَ، و: بالغلامِ قامَ... وما أشبه ذلك، والذي يدل على أنا أجمعنا على أنه يجوز أن يقوم الفعل الماضي

1/ ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 206/1

2/ المصدر نفسه، 205.

3/ يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق، الإمام المجود الحافظ مقرئ البصرة، أبو محمد الحضرمي، مولاهم البصري، أحد العشرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، 170/10.

مقام الفعل المستقبل، كما في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ...﴾ سورة المائدة الآية : (١١٠)

أي: يقول، وإذا جاز أن يقام الماضي مقام المستقبل، جاز أن يقام الماضي مقام الحال[1].

وهذا المذهب يرتضيه الدارس؛ وذلك لأمور:

أحدها: دلالة النقل والقياس عليه.

الثاني: حجية قراءة من قرأ "أو جاءوكم حَصِرةً صدورهم".

الثالث: مذهب لاتباع الأيسر دون تقدير، وهو أمر دعت إليه السنة؛ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه... الحديث[2].

الأنموذج الثاني:

في قوله تعالى : ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية: (113)

قال مكي–رحمه الله– قوله: {لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الكتاب} هذا مردود على [قوله] {مِّنْهُمُ المؤمنون وَأَكْثَرُهُمُ الفاسقون} ثم قال: {لَيْسُواْ سَوَآءً} أي: ليس المؤمنون والفاسقون سواء وتم الكلام، ويعني بذلك من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن، والفراء يقدره بمعنى ليست تستوي أمة من أهل الكتاب قائمة من حالها كذا وأمة على غير ذلك، وهو غلط من وجوه: أحدها أنه

1/ ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 206/1

2/ مسلم بن الحجاج، شرح النووي، دار الخير، 1416هـ، كتاب الفضائل، باب: مباعدة النبي صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، رقم الحديث 2327.

يقدر محذوفاً ولا يحل التمام سواء، وترتفع أمة بسواء، وإذا فعل ذلك لم يعد على اسم ليس ذكر وساء ليس بجار على الفعل فيرفع الظاهر، والمضمر الذي يضمر لا يدل على شيء من الكلام، وأبو عبيدة يجعل {لَيْسُواْ} على لغة من قال: أكلوني البراغيث، ويجعل {أُمَّةٌ} اسم ليس و {سَوَآءً} الخبر ويقدر محذوفاً، وهو ذكر الكفار من أهل الكتاب، وهو بعيد لأن ذكر أهل الكتاب قد تقدم، فليس [هو] مثل أكلوني البراغيث لأنه لم يتقدم [له] ذكر، وتصغير {آنَآءَ} أوينا تبدل من الألف التي هي فاء الفعل واواً كما تقول: أويد في آدم، ومعنى الآية: أنه تعالى أعلمنا أنه ليس أهل الإيمان من أهل الكتاب والكفر سواء، والضمير في {لَيْسُواْ} يعود على ما تقدم من ذكر المؤمنين والفاسقين (من أهل الكتاب فقال): من أهل الكتاب {أُمَّةٌ} شأنها بالمدح والثناء هذا مذهب البصريين.

والكوفيون يجعلون أمة مرفوعة بسواء والكلام عندهم متصل، وقد تقدم ما يدخل عليهم كأن تقديره عندهم لا يستوون من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة، قالوا: وترك ذكر الأخرى لدلالة ذكر المؤمنة عليها ومن مذهبهم ألا يجوز سواء علي قمت حتى تقول أم قعدت، وأجازوا هنا الحذف، ويجيزون الحذف إذا كان الكلام مكتفياً بواحد نحو ما أبالي، وما أدري لاكتفاء ما أبالي بواحد، أجازوا ما أبالي أقمت، وما أدري أجليت يريدون أم فعلت كذا ويحذفونه، ويلزمهم الا يجيزوا الآية على تأويلهم لأنهم لا يجيزون الحذف مع سواء لنقصانه، وقد أجازوه في الآية، وهذا تناقض لأنهم أجازوا في الآية ما لا يجوز في الكلام[1].

[1] /مكي، الهداية، مصدر سابق،199/2

رابعًا سورة النساء في أنموذجين:

الأنموذج الأوّل: في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ سورة النساء الآية: (1)

قال مكي–رحمه الله– ومن قرأ " الأرحام " بالخفض، فهو غير جائز عند البصريين، وقبيح عند الكوفيين، لأنه عطف ظاهر على مضمر مخفوض [1].

اكتفى مكي– رحمه الله– بذكر المذهبين المتمثلين في رأي سيبويه والفراء، فجوز مذهب البصريين وقبح مذهب الكوفيين، أما الزجاج فيقول: (أمَّا العربية فإجماع النحويين أنه يَقْبُحُ أنْ يُنْسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار، يَسْتَقْبح النحوُيون: مررت به وزيدٍ. و بك وزيدٍ، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد، فقال بعضهم: لأن المخفوض حرف مُتَصِل غيرُ منفصل، فكأنَّه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف باسم يقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقد فسر المازي هذا تفسيراً مُقْنِعاً فقال: الثاني في العطف شريك للأول، فإن كان الأوّل يصلح شريكاً للثاني وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له.قال: فكما لا تقول مررت بزيد وكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ، وقد جاز ذلك في الشعر.أنشد سيبويه:

فاليوم قربْت تهجُونا وتشتُمنا فاذهب فما بك والأيَّامِ من عجب[2]

قال ابن مالك– رحمه الله– وكلتا الحجتين ضعيفتين:

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 111/2

[2]/ الزجاج، معاني القرآن، مصدر سابق، 7/2

أما الأولى فيدل على ضعفها أن شبه الجر بالتنوين لو منع من العطف عليه لمنع توكيده، والإبدال منه لان التوكيد لا يوكد ولا يبدل منه، وضمير الجر يبدل ويوكد منه بإجماع، فللعطف أسوة بهما.

وأما الثانية فيدل على ضعفها انه لو كان حلول كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه- يعني في محل الآخر- شرطًا في صحة العطف لم يجز (رب رجل وأخية) وأمثال ذلك من المعطوفات الممتنع تقديم تأخير ما عطفت عليه كثيرة، فكما لا يمتنع فيها العطف لا يمتنع في نحو: (مررت بك وبزيد). وإذا بطل كون ما تعللوا به مانعًا وجب الإعتراف بصحة الجواز)[1]

وما ذهب إليه ابن مالك هو الرأي السديد والراجح عند الدارس؛ لورود ما يويد ذلك من النثر والشعر. ولم لم يكن في اختيار ابن مالك غير أنه يدافع عن قراءة سبعية متواترة لكان ذلك كافيًا في تاييد ما ذهب إليه.

الأنموذج الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء الآية: (159)

قال مكي- رحمه الله- : قوله: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكتاب إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِه} الآية. التقدير عند سيبويه، (وإن من أهل الكتاب أحد). وعند الكوفيين (وإن من أهل الكتاب إلا (من) ليؤمنن به) حذفوا الموصول وهو قبيح. وسيبويه إنما قدر حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، وذلك كثير في القرآن والكلام، قال الله: {أَنِ اعمل سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ} سورة سبأ الآية: (11)

---

[1]/ ابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى(672هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، الطبعة الأولى(ت)،3/1246-1248

أي: دروع سابغات فحذف الموصوف، فقول سيبويه أحسن واختيار جيد. وحذف الموصول وإقامة الصلة مقامه على قول الكوفيين غير جائز ولا موجود لأن الصلة كبعض الموصول، ولا يحسن حذف بعض الاسم، ولأن الصلة لا بد منها للموصول وليس الصفة كذلك فقد يستغنى عنها[1].

خامسًا سورة المائدة : وذلك في أنموذج هو تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة المائدة الآية: (69)

قال مكي– رحمه الله– : قوله تعالى: {إِنَّ الذين آمَنُواْ والذين هَادُواْ} الآية.

مذهب الخليل وسيبويه في [الصَّابون] أنه رفع على أنه عطف على موضع (إن) وما عملت فيه، وقال الكسائي والأخفش: هو عطف على المضمر في {هَادُواْ}. وهو قول مطعون فيه، لأنه يلزم أن يكون {الصابئون} دخلوا في اليهودية، وقال الفراء: إنما جاز الرفع، لأن {الذين} لا يظهر فيه عمل (إن)، وأجاز الكسائي: إن زيدا وعمرو قائمان " قال: لضعف " إن " واستدل بقول الشاعر: ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدينة رَحلُه فَإنِّي وقَيَّارٌ بَهَا لَغَريبُ[2]

وقال الفراء: لا حجة للكسائي في هذا البيت، لأن قيارا قد عطف على اسم مكنّىً عنه، والمكنّى لا يتبيَّن فيه الإعراب كـــ {الذين}، فهل فيه أن يعطف على الموضع، وقرأ سعيد بن جبير "والصَّابِينَ " بالنصب، على ظاهر العربية[3].

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 1524

2/ البيت لضابئ بن الحارث البرجمي، انظر: عبد السلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، مصدر سابق، ص: 47.

[3] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 189/3

وتبين للدارس أن مَكِّيّ ينقل ردّ البصريين على الكوفيين، فهو موافق لهم في ذلك. وأَمَّا الكوفيون، فذهبوا إلى أنه يجوز العطف على موضع "إنَّ" قبل تمام الخبر، واختلفوا بعد ذلك؛ فذهب أبو الحسن الكسائي إلى أنه يجوز على كل حال، سواء كان يظهر فيه عمل "إنَّ" أو لم يظهر، وذلك نحو قولك: "إنَّ زيداً وعمرٌ قائمان، وإنَّك وبكرٌ منطلقان. وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أنه يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل "إنَّ"[1].

وذكر أبو جعفر النحاس كلام الكسائي والأخفش قالا: "والصابئون" عطف على المضمر الذي في "هادوا"، وقال الفراء: إنما جاز الرفع؛ لأنَّ "الذين" لا يبين فيه الإعراب. قال أبو جعفر: وسمعتُ أبا إسحاق يقول – وقد ذكر له قول الأخفش والكسائي فقال: هذا خطأ من جهتين؛ أحدهما: أن المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد. والجهة الأخرى أن المعطوف شريك المعطوف عليه، فيصير المعنى: إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية، وهذا محال[2].

ويرى الدارس أن هذا هو المذهب الأصح .

سادسًا سورة الأنعام في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة الأنعا م الآية: (153)

قال – مَكِّيّ رحمه الله– : قوله: {وَأَنَّ هذا} من فتح، جعلها في موضع نصب عطف على {أَلاَّ تُشْرِكُواْ} سورةالأنعام الآية: (151)، أو في موضع رفع عطف على {أَلاَّ تُشْرِكُواْ}

1/ ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق،151/1.

2/ أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق،276/1.

سورةالأنعام الآية: (151) على مذهب من أضمر الابتداء مع {أَلاَّ تُشْرِكُواْ} سوة الأنعام الآية (151).

ومذهب الفراء أنها في موضع خفض بإضمار الخافض، تقديره عنده: " ذلكم وصاكم به وبأن هذا صراطي "، وهذا بعيد، لأن المضمر المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض عند سيبويه وجميع البصريين. ومن خفف (أن) جعلها مخففة من الثقيلة. وقيل: خففها عطفاً على أن لا تشركوا)، فخفف كما كان المعطوف عليه مخففاً. ويجوز أن تكون (أن) في موضع رفع بالابتداء، ويجوز أن تكون مخففة حكمها حكم المثقلة. ويجوز أن تكون (أَنْ) زائدة للتوكيد، و{هذا} في موضع رفع على قراءة من خفف ومن جعل (أن) زائدة، وفي موضع نصب على قراءة من شدد، ومعنى الآية: وهذا الذي وصاكم به ربكم – في هاتين الآيتين – وأمركم بالوفاء به: هو صراطه، أي: طريقه. ودينه المستقيم، (أي) الذي لا اعوجاج به، {فاتبعوه} أي: اجعلوه منهاجاً تتبعونه، {وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل} أي: تسلكوا طرقاً غيره، {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} أي: عن طريقه ودينه، وهو الإسلام، {ذلكم وَصَّاكُمْ بِهِ}: وصاكم بذلكم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[1].

وقد تقدم رأي الدارس في أنه لا يلزم إعادة الخافض موافقًا يذلك رأي الكوفيين وابن مالك حيث يقول:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا

وليس عندي لازما إذ قد أتى في النّظم والنّثر الصّحيح مثبتا[2]

الأنموذج الثا ني:

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 225/3

[2] /ابن مالك، الألفية، مصدر سابق، ص78.

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام الآية: (154)

قال مكي– رحمه الله– : قوله: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكتاب تَمَاماً} الآية. {تَمَاماً} مفعول من أجله، وقيل: مصدر، و {أَحْسَنَ} فعل ماضي صلة {الذي}، وأجاز الكسائي والفراء أن يكون (اسماً) نعتاً " للذي " في موضع جر، وأجازا: " مررت بالذي أخيك "، ينعتان " الذي " بالمعرفة وما قاربها. وهذا خطأ عند البصريين، لأن " الذي " لم يتم بعد، فكيف ينعت بعض الاسم؟. والمعنى عند البصريين: تماما على (المحسن).

وأجاز الكسائي والفراء أن يكون {الذي} بمعنى " الذين " هنا. وقال المبرد: تقديره: تماماً على الذي أحسنه (الله) إلى موسى من الرسالة، والهاء محذوفة ما آتى المحسنين من عباده. فهذا يرد قول الكسائي والفراء: إن {الذي} بمعنى " الذين ". وروي عنه أن المعنى: تماماً على (المحسن)، فهو اسم للجنس كله من المحسنين، كما قال البصريون[1].

سابعا: سورة الأعراف:

وذلك في ثلاثة نماذج : الأنموذج الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ سورة الأعراف الآية: (4)

قال مكي– رحمه الله– {أَوْ} هنا للإباحة، وكان يجب أن يقول: أَوْ وهم قائلون، إلا أنه إذا كان في الجملة عائد لم يُحْتَج إلى الواو.

وقد قال الفراء: " الواو " محذوفة. وقال غيره: حذفت " الواو " لئلا تجمع بين حرفي العطف، وهي: " واو الوقت " عند بعض النحويين.

---

[1]/ مَكِّيّ ، الهداية، مصدر سابق، 227/3

ولو جعل مكان {أَوْ} " الواو " لفسد المعنى؛ لأنه يصير المعنى: أن البأس جاءهم في الليل، وهم قائلون، وهذا لا يمكن؛ لأن القائلة إنما هي نصف النهار، والبيات فعل في الليل[1].

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك كثيرًا في كتاب الله تعالى وكلام العرب، قال الله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون} [الصافات: 147] فقيل في التفسير: إنها بمعنى بل، أي: بل يزيدون، وقيل: إنها بمعنى الواو، أي: ويزيدون، ثم قال الشاعر:

بَدَتْ مثل قَرْنِ الشمس في رَوْنَقِ الضُّحَى وصُورَتِهَا أو أَنْتِ في العَيْنِ أَمْلَحُ[2]

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الأصل في "أو" أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام، بخلاف الواو وبل؛ لأن الواو معناها الجمع بين الشيئين، وبل معناها الإضراب، وكلاهما مخالف لمعنى أو، والأصل في كل حرف أن لا يدل إلا على ما وُضِعَ له، ولا يدل على معنى حرف آخر؛ فنحن تمسكنا بالأصل، ومن تمسك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل، ومن عدل عن الأصل بقي مُرْتَهَنًا بإقامة الدليل، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه. وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ سورة الصافات الآية: (174) فلا حجة لهم فيه، وذلك من وجهين؛ أحدهما: أن يكون للتخيير، والمعنى أنهم إذا رآهم الرائي تخير في أن يقدرهم مائة ألف، أو يزيدون على ذلك، والوجه الثاني: أن يكون بمعنى الشك، والمعنى أن الرائي إذا رآهم شك في عِدَّتِهِم لكثرتهم، أي: أن حالهم حال من يُشَك في عدتهم لكثرتهم؛ فالشك يرجع إلى الرائي، لا إلى الحق تعالى: كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 280/4

[2]/ ابن الأنباري، الأنصاف، مصدر سابق، 391/2

سوررة البقرة الآية: (175) بصيغة التعجب، والتعجب يرجع إلى المخاطبين، لا إلى الله تعالى، أي: حالهم حال من يُتَعَجب منه؛ لأن حقيقة التعجب في حق الحق لا تتحقق؛ لأن التعجب إنما يكون بحدوث علم بعد أن لم يكن، ولهذا قيل في معناه: التعجب ما ظهر حكمه وخفي سببه، والحق تعالى عالم بما كان، وبما يكون، وبما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وكما أن التعجب يرجع إلى الخلق لا إلى الحق، فكذلك ههنا. وأما قول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ سوررة الإنسان الآية: (24) فلا حجة لهم فيه؛ لأن "أو" فيها للإباحة، أي: قد أبحتُكَ كُلَّ وَاحِدٍ منهما كيف شئت، كما تقول في الأمر "جالس الحسن أو ابن سيرين" أي: قد أبحتك مجالسة كل واحد منهما كيف شئت، والمنع بمنزلة الإباحة، فكما أنه لا يمتنع من شيء أبحته له، فكذلك لا يُقْدِم على شيء نهيته عنه [1]

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ ﴾ سورة الأعراف الآية: (11)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} الآية. قال الأخفش، وقطرب: {ثُمَّ} هنا بمعنى " الواو "، ومنع ذلك سائر البصريين. والمعنى عندهم فيه: ولقد ابتدأنا خلق آدم، ثم صورناه، {ثُمَّ قُلْنَا للملائكة اسجدوا} له بعد تمام خلقه. ودليله قوله تعالى: {كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن [فَيَكُونُ]} سورة آل عمران الآية: (59)، وقيل المعنى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ} أيها الناس في ظهر آدم، {ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ}، يعني ذريته، في أرحام النساء في صورة آدم قاله ابن عباس وغيره، وقال السدي المعنى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ}، أي: خلقنا آدم، {ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} يعني: ذريته

[1]/ ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 2/392–395

في الأرحام، وأخبر عن خلق آدم بلفظ الجماعة؛ لأنه الأصل للجميع، فكأن (خلقه) خلق الجميع، والعرب تجعل مخاطبة الرجل لأبائه المعدومين، ومنه قول الله تعالى عز وجل: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور} سورة البقرة الآية: (63) ، فالخطاب لمن كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به من تقدم من آبائهم. فكذلك هذا الخطاب للمؤمنين، والمراد به الخبر عن أبيهم آدم، صلوات الله عليه، وكذلك قال قتادة وقال عكرمة المعنى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ} أيها الناس نطفاً في أصلاب آبائكم، {ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} في الأرحام[1].

ويويد الدارس ما ذهب إليه مَكِّيّ في تاييده مذهب البصريين وهو الذي ترجح للطبري- رحمه الله- بقوله: (فإن ظن ظانّ أن العربَ، إذ كانت ربما نطقت بـــ"ثم" في موضع"الواو" في ضرورة شعره، كما قال بعضهم:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ؟

بمعنى: أبًا وأمًّا، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف[2].

الأنموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة الأعراف الآية: (150)

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 199/1

[2] / الطبري، جامع البيان، مصدر سابق،322/12

قال مكي- رحمه الله- : قوله: {وَلَمَّا رَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ غضبان}، الآية.

كان هارون أخا موسى (عليه السلام)، شقيقه، وإنما قال له: {ابن أُمَّ}، على طريق الاستعطاف بالرحم.

فمن قرأ يـــ {ابن أُمَّ}، بالفتح، فالتقدير عند الكسائي، والفراء، وأبي عبيد: يا ابن أماه، ثم حذف. وهو عند البصريين يبنى كـــ " خَمْسَةَ عَشَرَ "، ومن كسر " الميم "، فقال أبو حاتم، والأخفش: حذف الياء لدلالة الكسرة عليها، وهي لغة لبعض العرب، يقولون: يا غُلَامَ غُلَامِ أَقْبِل، وحكى الأخفش: هذا غُلَامِ يا هذا، بغير ياء في غُلَامِي، وأحسن منه عند أهل النظر: أن يكون بناء الاسمين اسماً واحداً، ثم أضافه بعد ذلك، وشبه أبو عمرو الفتح بقولهم: هُوَ جَارِي بَيْتَ بَيْتَ، ولقيته كِفَّةَ كِفَّةَ يا فتى، ولا يفعل ما فعل في الأم والعم في غيرهما، لا يقال: يَابْنَ أَبِ ولا يَابْنَ أختِ، ولا شبهه، ولا يجوز الفتح إلا في الأم والعم، وذلك لكثرة الاستعمال[1].

ثامنًا سورة الأنفال: وذلك في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة الأنفال الآية: (42)

قال مكي- رحمه الله- : قوله: {مَنْ حَيَّ}. من قرأ بـــ " الإِدْغامِ "، فإنه أدْغم لاجتماع المثلين؛ ولأنه في السواد بـــ: " يَاءٍ " واحدة، ومن أظهر أجراه مجرى المستقبل، فلما لم يجز الإدغام في

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،262/4

المستقبل أجري الماضي على ذلك، فأظهر وقد أجاز الفراء الإدغام في المستقبل، ومنعه جميع البصريين؛ لأنه يجتمع في المستقبل حرفان متحركان، فـــ: " الياء " الثانية حق أصلها أن تكون ساكنة، ولا يقاس هذا على ما صح لم يخف؛ لأنَّ " يحيى " يحذف ياؤه للجزم، ولا يحذف في " يخف " شيء للجزم[1].

قال الزجاج: ويجوز حَيي بياءَين، وحَيَّ بياءٍ مشددَة مدْغَمة، وقد قرئ بهما جميعاً. فأمَّا الخليل وسيبويه فيجيزان الإدغام والإظهار إذا كانت الحركة في الثاني لَازِمةً، فأمَّا من أدغَم فلاجتماع حرفين من جنس واحد، وأمَّا من أظهر فلأن الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياءِ، تقول حَيِيَ يَحْيَا، والمحيا والممات، فعلى هذا يجوز الإظهارُ، فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: (هُوَ يحْيي ويُميتُ)، وقوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ سورة القيامة الآية: (40)، فلا يجوز فيه عند جميع البصريين إلا يُحْيي بياءيْنِ ظاهرَتَيْنِ، وأجاز بعضهم. يُحيّ بياءَ واحدة مشددة مُدْغَمة، وذكر أن بعضهم أنشد:

وكأنها بين النساءِ سبيكة تمشي بسدة بَيْتِهَا فَتَعي[2]

ولو كان هذا المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر، ومن أي القبائل هو وهل هو مِمَن يُؤخذ بشعره أم لا مَا كان يضره ذلك، وليس ينبغي أن يُحْمل كتاب الله على " أنشدني بعضُهُمْ " ولا على بيْت شَاذ لو عرف قائله وكان مِمنْ يُؤخذ بقوله لم يجز، وهذا عندنا لا يجوز في كلامٍ ولا شِعْرٍ، لأن الحرفَ الثانِيَ إذَا كانَ يسكن من غير المعتل نحو: " لم يَوَدَّ " فالاختيار إظهار التضعيف، فكيف إذا كان من المعتل[3].

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 234/4

[2]/ البيت لامرئ القيس، انظر: عبد السلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، مصدر سابق، ص: 557.

[3] / الزجاج، معاني القرآن، مصدر سابق، 419/2

يقول العكبري: (مَنْ حَيَّ) : يُقْرَأُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَهُوَ الْأَصْلُ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَيْنِ مُتَمَاثِلَانِ مُتَحَرِّكَانِ، فَهُوَ مِثْلُ شَدَّ وَمَدَّ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُبَيْدٍ: عَيُّوا بِأَمْرِهِمُ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَهْ.

وَيُقْرَأُ بِالْإِظْهَارِ وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَاضِيَ حُمِلَ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ يَحْيَا فَكَمَا لَمْ يُدْغَمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَمْ يُدْغَمْ فِي الْمَاضِي، وَلَيْسَ كَذَلِكَ شَدَّ وَمَدَّ فَإِنَّهُ يُدْغَمُ فِيهِمَا جَمِيعًا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ حَرَكَةَ الْحَرْفَيْنِ مُخْتَلِفَةٌ فَالْأُولَى مَكْسُورَةٌ، وَالثَّانِيَةُ مَفْتُوحَةٌ، وَاخْتِلَافُ الْحَرَكَتَيْنِ كَاخْتِلَافِ الْحَرْفَيْنِ، وَلِذَلِكَ أَجَازُوا فِي الِاخْتِيَارِ لَحِحَتْ عَيْنُهُ، وَضَبِبَ الْبَلَدُ، إِذَا كَثُرَ ضَبُّهُ. وَيُقَوِّي ذَلِكَ أَنَّ الْحَرَكَةَ الثَّانِيَةَ عَارِضَةٌ فَكَأَنَّ الْيَاءَ الثَّانِيَةَ سَاكِنَةً، وَلَوْ سُكِّنَتْ لَمْ يَلْزَمِ الْإِدْغَامُ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ فِي تَقْدِيرِ السَّاكِنِ، وَالْيَاءَانِ أَصْلٌ، وَلَيْسَتِ الثَّانِيَةُ بَدَلًا مِنْ وَاوٍ، فَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَالْوَاوُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْيَاءِ، وَأَمَّا الْحِوَاءُ فَلَيْسَ مِنْ لَفْظِ الْحَيَّةِ، بَلْ مِنْ حَوَى يَحْوِي إِذَا جَمَعَ[1].

الأنموذج الثاني :

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

سورة الأنفال الآية: (57)

قال مكي– رحمه الله– قوله: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحرب}، إلى قوله: {الخائنين}. " إمّا ": للشرط، وتلزمه النون الشديدة توكيداً، لدخول " ما " من " إنْ "، هذه علة البصريين.

وقال الكوفيون: تدخل " النون " الخفيفة والشديدة مع " إمّا " للفرق بين كونها للشرط وكونها للتخيير.

ومعنى الآية: إنْ لقيت يا محمد، هؤلاء الذين عاهدتم، ثم نقضوا عهدك في الحرب {فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ}.

---

[1] / العكبري، التبيان في إعراب القرآن،تحقيق علي محمد البيجاوي، مكتبة علي عيسى الحلبي وشركاؤه(ط/ت)، 226/2

أي: افعل بهم فعلاً يكون مُشَرَّداً لمن خلفهم من نظرائهم، ممن بينك وبينه

عَهْد.، أي: طريقه. ودينه المستقيم، (أي) الذي لا اعوجاج به، {فاتبعوه} أي: اجعلوه منهاجاً تتبعونه، {وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل} أي: تسلكوا طرقاً غيره، {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} أي: عن طريقه ودينه، وهو الإسلام، {ذلكم وَصَّاكُمْ بِهِ}: وصاكم بذلكم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

تاسعًا: سورة التوبة قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة التوبة الآية: (102)

قال مكي– رحمه الله–: والواو [في] قوله: {وَآخَرَ}، بمعنى: " مع " عند البصريين، كما تقول: " استوى الماء والخشبة ". وقال قوم: هي بمعنى: " الباء "، وقدروا " الواو " في " الخشبة " بمعنى: بالخشبة.

وأنكر الكوفيون أن يكون هذا بمنزلة " استوى الماء والخشبة "؛ لأن هذا لا يجوز فيه تقديم الخشبة على الماء، وإنما هو عندهم بمنزلة " خلطت الماء واللبن "، أي: باللبن، فكل واحد منهما يجوز أن يتقدم، مثل الآية.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه بمعنى قولهم: "خلطت الماء واللبن"، بمعنى: خلطته باللبن، وبنحو ما يقول الطبري يقول الدارس[1].

عاشرًا: سورة يونس في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة يونس الآية: (71)

قال مكي– رحمه الله– : قوله: وشركاؤهم: قال الكسائي، والفراء: هو بمعنى: وادعوا شركاءكم، وقال المبرد: نصبه على المعنى، كما قال متقلداً سيفاً ورمحاً، وقال الزجاج هو

[1] / الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، 447/14

مفعول معه. وروى الأصمعي عن نافع: " فاجْمَعُوا " موصولة الألف من: جمَع، وهي قراءة الجحدري. وهما لغتان: جمع وأَجمع، وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق، وعيسى ويعقوب: " فأجْمِعُوا أمركم وشركاؤُكم بالرفع، عطفا على المضمر في " أجمِعوا ": وحسن ذلك لما حال بينهما بالمفعول، فقام مقام التوكيد، وقيل: إن " الشركاء " رفع بالابتداء، والخبر محذوف. أي: وشركاؤكم ليجمعوا أمرهم، والشركاء هنا: الأصنام، وهي لا تصنع شيئاً. إلا أن يكون المعنى على التوبيخ لهم، كما قال لهم إبراهيم: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾

سورة الأنبياء الآية: (63)، ومن نصب " الشركاء " حمله على المعنى، أي: وادعوا شركاءكم، ولا يُعطف على الأمر بتغير المعنى. يقال: أجمعتُ الأمر وعلى الأمر: عزمتُ عليه. فلا معنى لعطف الشركاء على هذا المعنى، فلا بد من إضمار فعل، ومعنى الآية: إن الله تعالى ذكره، يقول لنبيه: واتل عليهم يا محمد خبر نوح إذ قال لقومه: يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي، وشق عليكم تذكيري بآيات الله، ووعظي إياكم، فعزمتم على قتلي، أو طردي من بين أظهركم فعلى الله اتكالي، وبه ثقتي[1].

احدى عشر سورة هود في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة هود الآية: (111)

قال مكي- رحمه الله- : قوله: {وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} - إلى قوله - {ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}. قرأ الزهري: " وإن كلاًّ " بالتشديد، لما " بالتنوين مشدداً أيضاً، وقرأ الأعمش: (" وإن كلا " بتخفيف " إنْ "، ورفع " كل " وتشديد " لما ". (وفي حرب أبي ": كلّ " إلا ليوفينَّ

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 5/397-399

ربك أعمالهم ". وفي حرف ابن مسعود: " وإن كل) إلا ليوفينهم ربك أعمالهم ". ومن شدَّدَ " إنَّ " نصب " كلاً " بها. واللامُ في " لَما " لام تأكيد. و " ما " صلة، هذا على قراءة التخفيف. والخبر في " ليوفينهم ". والتقدير: وإن كلاً ليوفينهم. وقراءة من خفف إنْ، ونصب " كلا " على هذا التقدير، إلا أنه، خفف " إن " وأعملها كما يفعل الفعل، وهو محذوف منه. وأنكر الكسائي التخفيف والعمل. وقال الفراء: من خف " إن " نصب " كلاً " بقوله: " ليوفينهم، وهذا لا يجوز أن يعمل ما بعد اللام فيما قبلها. ومن شدد " إن " و " لما " فهي غير جائزة عند المبرد، والكسائي. قال المبرد: لا يجوز: " أن زيداً إلا لأضربنه ".

وقال الفراء: الأصل " لمن ما "، فاجتمعت ثلاث ميمات عند الإدغام، فحذفت إحداهن. وهذا لا يجوز عند البصريين. وقال المازني: الأصل التخفيف في " لَما "، ثم ثقلت. وهذا أيضاً لا أصل له، (و) يجوز (تثقيل المخفف)، إلا لمعنى.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: الأصل " لما " بالتنوين، من لممته لمّا: أي: جمعته، ثم بني منه فَعْلى، كما قرأ: " تثرا، و " تثري ". ومن خفف " إن "، وشدد " لما "، " فإن " بمعنى " ما "، و " لما " بمعنى " ألا " حكى ذلك الخليل، وسيبويه بمنزلة قوله: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ سورة الطارق الآية: (4) أي: إلا عليها حافظ والقراءات الثلاث تكون فيها " إن " بمعنى " ما " لا غير. وقد قيل: في قراءة من شدد " إنَّ " وخفف " لما ": إنَّ (ما) بمعنى: " من ". وإن المعنى: وإن كلا {لَّمَّا} ليوفينهم ربك أعمالهم، كما قال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾

سورة النساء الآية: (3): أي: ما طاب لكم نكاحه[1].

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 4374/5-4377

المبحث الثالث

موقف مكي من الكوفيين

تقدم أن مكي– رحمه الله – كان يغلب عليه المذهب البصري، إلا أنه كان لا يتقيد به في جميع آرائه واختياراته، وإنما كان ينظر فيها وينتقي منها ما كان أسعد بالدليل. ويتضح ذلك من تفننه في الاختيار؛ فبينما تجده يختار في كثير من القضايا النحوية المذهب البصري، تجده يختار في مسائل متعددة المذهب الكوفي، وأحياناً يذكر مسائل الخلاف دون ترجيح، ولقد تتبعته وهو يستعرض المسائل النحوية، فوجدته قد وافق الكوفيين في بعض المسائل وسأرتب هذه المسائل في نماذج وفق ترتيب السور: أولًا سورة النساء في أنموذجين:

الأنموذج الأوَّل:

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ سورة النساء الآية: (62) قال مَكِّيّ رحمه الله: قوله: {فَكَيْفَ إِذَآ أصابتهم مُّصِيبَةٌ} الآية.معنى: كيف في هذا: الاستفهام، ولها معان أخرى. تكون بمعنى التحذير، والتخويف نحو قوله: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة النمل الآية: (51) ، وتكون بمعنى الجحود فتتبعها إلى نحو قوله: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة التوبة الآية: (7) ألا ترى بعده {إِلاَّ الذين} سورة التوبة الآية: (7) تقديره ما يكون للمشركين عهد، وتكون كيف استفهام بمعنى التوبيخ والتعجب، نحو قوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ

وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة البقرة الآية:(28)، وقوله: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ سورة آل عمران الآية: (101)، وتكون تنبيهاً نحو قوله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ سورة الإسراء الآية: (21) ، وقوله: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ سورة الإسراء الآية: (48) ، وتكون توكيداً لما قبلها، وتحقيقاً له، نحو قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء الآية: (41) فهذا كله من تفسير الكوفيين النحويين وهو صحيح[1]

الأنموذج الثاني:

قوله تعالي: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ سورة النساء الآية: (128)

قال مكي- رحمه الله-: قوله : {وَإِنِ امرأة خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً...} الآية. قرأ الجحدري {أَن يُصْلِحَا} بتشديد الصاد وكسر اللام، وأصله أن يصطلحا ثم أدغم الثاني في الأوّل أعني: ادغم الطاء في الصاد. (وصلحاً) منصوب على معنى فيصلح الأمر بينهما صلحاً. وفي قراءة عبد الله: فلا جناح عليهما [إن أصلحا]. ولذلك اعتبر الكوفيون قراءتهم فقرأ وا " يصلحا "

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،134/2

ولقوله: " صلحاً ". والصلح الاسم، والعرب تضع الاسم موضع المصدر كقولهم المطية لمطاء. فأما من قرأ " يصلحا " فليس " صلحاً " باسم له ولا مصدر، فقراءة الكوفيين أقرب إلى {صُلْحاً} من قراءة غيرهم لأن {صُلْحاً} اسم الفعل لأصلح[1].

ثانيًا: سورة المائدة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة المائدة الآية: (38)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {والسارق والسارقة} الآية. قال سيبويه: أبت العامة إلا الرفع، يريد بالعامة الجماعة من الرواة والقراء، والاختيار عنده النصب، لأن الأمر بالفعل أولى، فهو عنده مثل " زيداً فاضربه "، وخولف في ذلك فقال الكوفيون: الرفع أولى، لأنك لا تقصد إلى سارق بعينه، وإنما المعنى: كل من سرق فاقطعوا يده، ولذلك أجمعوا على أن [قرأوا]: {واللذان يَأْتِيَانِهَا} [النساء: 16] بالرفع، وهو مذهب المبرد. وقال: {أَيْدِيَهُمَا} بالجمع ليفرق بين ما في الإنسان منه واحد وما فيه اثنان، هذا قول الخليل. وقال الكوفيون: أكثر ما في الإنسان – من الجوارح – اثنان " مثل اليدين والرجلين والقدمين والأذنين، فلما جرى أكثره على هذا، ذُهِب بالواحد منهم – إذا أضيف إلى آخر – مذهب الجمع، وقيل: فعل ذلك، لأن التثنية جمع. وقيل: لأنه لا يُشْكل[2].

ثالثًا سورة الأعراف:

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ

---

[1]/ مكي، الهداية، مصدر سابق، 146/2

[2]/ المصدر نفسه، 1695/3

ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية: (160)

قال مكي– رحمه الله– ثم قال تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثنتي عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً}.

فـــ " أسباط " بدل من: {اثنتي عَشْرَةَ}. و {أُمَماً} نعت ل " الأسباط ". و" الأسباط ": الفرق، وقيل: هم القَرْنُ [الذي] يجيء بعد قَرْنٍ، و" الأسباط " في ولد إسحاق، (عليه السلام)، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، و" الأَسْبَاطُ ": مأخوذ من: السَّبط "، وهو شيء تَعْتَلِفُهُ الإبل، فكأن إسحاق (عليه السلام) بمنزلة شجرة، والأولاد بمنزلة أغصانها، فشُبِّهَ ذلك بـــ " السَّبَط ". وإنما أنث في {اثنتي}؛ لأن " الأسباط " في موضع الفرقة؛ فكأنه: اثْنَتَيْ عشرة فرقة، وقيل المعنى: وقطعناهم فرقاً اثنتي عشرة أسباطاً، وقال بعض الكوفيين: إنما أُنِّثَ؛ لأن الكلام ذهب (به) إلى " الأمم "، فغلّبَ التأنيث، كما قال:

وَإِنَّ كِلاَباً هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بِرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِها العَشْرِ[1]

فأنَّث ذهب بـــ " البطن " إلى القبيلة، وقال بعضهم: " إنما أنث لذكر " الأُمَمِ " بعد ذلك، وقيل: المعنى: وقطعناهم قطعاً اثْنَتَي عَشْرَةَ، فأنث لتأنيث " القطعة "، ودل على ذلك: " قَطَعْنا ". و" أسباط " ليس بِتَفْسير للعدد؛ لأن حق هذا أن يفسر بواحد؛ وإنما هو بَدَل[2].

---

[1]/ نسب في كتاب سيبويه إلى رجل من بني كلاب ينظر: ابن جني، الخصائص417/2، ابن الأنباري، الإنصاف 769.

[2] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 2595/4–2596

المبحث الرابع

موقف مكي من المصطلحات النحوية

توطئة:

كان شأن كلمة المصطلح شأن كلمة النحو نفسها في الانتقال من المعنى اللغوي، إلى المعنى المجرد، وهما كغيرهما من الألفاظ والتغييرات التي اتخذت مدلولها العلمي بعد أن غبرت طويلًا تعرف بمعناها اللغوي (فالإعراب) مثلًا كان يدل على معان كثيرة، وأصبح يعني اختلاف أواخر الكلم بعامل[1]، وكذلك النحو أصبح أيضًا يعني: علمٌ به يُعرف أحوالُ أواخرِ الكلم العربية إفراداً تركيبًا[2]. وهذا يوكد لنا أن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للألفاظ كبيرة جدًا وقد يكون انفصالهما في الدلالة مستحيلًا؛ إذن فلكلمة المصطلح دلالتان:

الأولى: الدلالة اللغوية وهي مأخوذة من أصل الكلمة (صلح). الصَّلاحُ: ضِدُّ الفَسادِ، كالصُّلوحِ. صَلَحَ، كمَنَعَ وكَرُمَ، وهو صِلْحٌ، بالكسر، وصالِحٌ وصَليحٌ، وأصْلَحَه: ضِدُّ أفْسَدَه، والصُّلْحُ، بالضم: السِّلْمُ، ويُؤَنَّثُ، واسمُ جماعةٍ، وبالكسر: نَهْرٌ بِمَيْسانَ، وصالَحَهُ مصالَحَةً وصِلاحاً، واصْطَلَحا، واصَّالَحا، وتَصالَحا، واصْتَلَحا، وصَلاحِ، كقَطامِ، والمَصْلَحَةُ: واحِدَةُ المَصالِحِ، واسْتَصْلَحَ: نَقيضُ اسْتَفْسَدَ[3].

---

[1] /أبو الحسن علي بن عيسى الروماني المتوفى(384هـ)، رسالة في الحدود، تحقيق ابراهيم السامرائي، دار الفكر عمان (د/ط) ص67

[2] / شهاب الدين الأندلسي،أحمد بن محمد البجائي المتوفى(860هـ)، الحدود في النحو، تحقيق نجاة حسن عبدالله نولي، الجامعة الاسلامية المدينة المنورة، 1421هـ- 200م ص435

[3] / الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، (مادة صلح)، 229/1

والثانية: الدلالة (الاصطلاحية) وتعني: إتفاق جماعة على أمر مخصوص[1]. وهذا الإتفاق والتصالح إن تم بين جماعة المحدثين نتج عنه مصطلح الحديث، وإن بين الفقهاء نتج عنه مصطلح في الفقه، وإن تم بين النحاة صنعوا مصطلحًا نحويًا.

وقد يسأل سائل: إذا كان المصطلح ناتج عن جمرة المشتغلين به، فلماذا نجد اختلاف النحاة في كثير من المصطلحات؟، وجوابًا عليه يقول القوزي: (إن اختلاف النحاة في المصطلحات أمر أملته المناهج العلمية التي يتبعها طوائف هولاء العلماء، ونظرًا لكثرة المتحمسين من كل فرقة لرؤسائها، وكبير ثقتهم في مناهجهم كونت كل طائفة ما يشبه الإجماع على هذا المصطلح أو ذاك، والاصطلاح لا يصح أن يتغيير برأي فرد ولاجماعة، وإنما يتغير بإجماع أو ما يشبه الإجماع، يتم بين المشتغلين به، المنتفعين بمزاياه كالإجماع اذي ساد جمهرتهم حين اختاروه أول الأمر ليكون اصطلاحًا)[2]

فالنحويين الذين جاءوا بعد سيبويه ظلوا عالة على كتابه، يترسمون خطاه ويهتدون في النحو بهداه، وفيما هم آخذون بخدمة هذا الكتاب، أخذت تشتد بينهم الخلافات في مسائله، فمنهم من تابعه ومنهم من تابعه في جانب وخالفه في آخر، ولم يكن هناك نحوي خالفه في جميع مسائله حتى إن الكسائي وهو إمام أهل الكوفة الذي جمعت له أمور لم تجتمع لغيره فكان واحد الناس في القران، وكان أعلم الناس بالنحو وواحدهم بالغريب كما يقول ابن الأنباري: (الكسائي الذي كان يقف منه موقف الند يناظره ويخالفه الرأي)[3]، لم يستغنى عن كتاب سيبويه وتأثر به

---

[1] / عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، الطبعة الأولى 1401هـ- 1981م ص 22

[2]/ القوزي، المصطلح النحوي، مصدر سابق، ص24

[3] / ابن الأنباري، نزهة الألباء، مصدر سابق، ص57

حتى في المصطلحات فكما كان يسمي الهمزة ألفًا فعل الكسائي كذلك[1]، وكذلك كان الشأن مع الفراء وهو رأس الكوفيين بعد الكسائي رغم عصبيته الزائدة على سيبويه فقد سمى العطف بالحرف عطف النسق[2] كما فعل سيبويه.

ولا غرابة في أن يكون كتاب سيبوية دستور النحاة من بصريين وكوفيين، ومادتهم الكبرى في صناعة النحو العربي، فسيبويه تلقى أكثر علمه من الخليل معلم البصريين والكوفيين على السواء قال عنه ابن العماد الحنبلي: (إن الإجماع منعقد على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل)[3]

يقول القوزي والخصومة على المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين كانت تدور على محور واحد هو ميل الكوفيين وخاصة الفراء إلى تبديل وتغيير مصطلحات البصريين فكانت النتيجة ذات ثلاثة جوانب[4]:

الأوّل: ظهور مصطلح كوفي له دلالته الخاصة وتفسيره في مقابل المصطلح البصري.

الثاني: رفض الكوفيين لبعض المصطلحات البصرية وإقامة مصطلحات جديدة مكانها.

الثالث رفض البصريين لبعض ما جاء به الكوفيون من مصطلحات.

وسأخذ نماذج بالتطبيق على المصطلحات التي استخدمها مكي–رحمه الله– في تفسيره مبينًا انتما هذه المصطلحات لمذاهبها.

أولًا: شبه المفعول:

مصطلح يطلقه الكوفيون على: (المفعول المطلق والمفعول فيه والمفعول لأجله والمفعول

---

[1] /المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[2] الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق،44/1

[3] / ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مصدر سابق، 324/2

[4] / القوزي، المصطلح النحوي، مصدر سابق،ص162

معه وليس عندهم إلا المفعول به) [1]، فيوافق مكي- رحمه الله- البصريين في اصطلاحاتهم في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ سورة النحل الآية: (8). قال مكي- رحمه الله- : وقوله {وَزِينَةً}. [أي: وللزينة. فهو] مفعول لأجله. وقيل: المعنى وجعلها زينة، فهو مفعول به، وقرأ أبو عياض: " لتركبوها زينة " بغير واو[2]

ثانيًا: الترجمة والتبين والمردود:

هذه مصطلحات كوفية مقابل البدل عند البصريين قال الأخفش: يسمونه بالترجمة والتبيين. وقال ابن كيسان: يسمونه بالتكرير[3]. وقد استخدم مكي- رحمه الله- مصطلح البدل في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (7) قال مكي- رحمه الله-: قوله: {صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}. صراط بدل من الأوَّل[4].

ثالثًا: القطع:

مصطلح كوفي يطلقه الفراء على ما يعرف بالحال عند البصريين؛ ففي قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة الآية: (2)، قال: "إنه رُفع من وجهين، ونصب من وجهين إذا أردت بـــ (الكتاب) أن يكون نعتًا لذلك كان الهدى في موضع رفع لأنه خبر ذلك كأنك قلت ذلك هدى لا شك فيه، وإن جعلت (لا ريب فيه) خبره رفعت أيضًا (هدًى) تجعله تابعًا لموضع (لاريب فيه) كما قال الله عز وجل: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) سورة

---

[1] / خالد بن عبدالله الأزهري المتوفى(905هـــ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى142هـــ،2000م، 490/1

[2] / مكي، الهداية، مصدر سابق،355/6

[3] / خالد الأزهري، شرح التصريح، مصدر سابق،190/2

[4] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 112/1

الأنعام الآية: (92) كأنَّه قال: وهذا كتاب، وهذا مبارك، وهذا من صفة كذا وكذا، وفيه وجه ثالث من الرفع: إن شئت رفعته على الاستئناف لتمام ما قبلها كما قرأ الفراء: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ﴾سورة لقمان الآية: (2-3)، فأما النصب في أحد الوجهين، فأن تجعل (الكتاب) خبرًا لذلك، فتنصب (هدىً) على القطع؛ لأنّ النكرة لا تكون دليلًا على معرفة، وإن شئت نصبت (هدى) على القطع من الهاء في (فيه)، كأنَّك قلتَ: لا شك فيه هاديًا"[1].

وأما سيبويه فيطلق عليه أكثر من مصطلح، حيث يرى: "إن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالًا ينتصب انتصاب النكرة... وإن كان صفةً للنكرة جاز أن يكون حالًا للنكرة، كما جاز حالًا للمعرفة، ولا يجوز للمعرفة أن تكون حالًا كما تكون النكرة، فتلتبس بالنكرة" [2]. فاستقبح تعريف الحال لذلك.

ولهذا يقول ابن مالك:

والحال إن عُرِّف لفظاً فاعتقد تنكيره كوحدك اجتهد[3]

وقد استخدم مكي- رحمه الله- مصطلح الحال في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (7)

قال مكي- رحمه الله-: " و {غَيْرِ المغضوب} " خفض على النعت " للذين " من قوله {صِرَاطَ الذين}، وحَسَنٌ ذلك لأنه شائع لا يراد به جمع بعينه فصار كالنكرة، فجاز نعته " بغير "، و " غير " نكرة وإن أضيفت إلى معرفة. ويجوز أن تخفض " غير " على البدل من [الذين. وقد

---

[1] /الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 12/1

[2] / سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، 57/2-60

[3] / ابن مالك، الألفية، مصدر سابق، 51

قرئ] بالنصب على الحال أو على الاستثناء، وقد شرحت هذا في كتاب: " مشكل الإعراب " بأشبع من هذا[1].

رابعًا: التفسير:

وأمّا الكوفيون فعلى رأسهم الفراء فيطلق اصطلاح "التفسير على التمييز"، كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ سورة آل عمران الآية: (91) .

قال الفراء: نصب الذهب لأنه مفسر لا يأتي مثله إلا نكرة[2].

والتمييز عقد سيبويه الكلام عليه في أكثر من موضع، فقال مثلًا: "هذا باب ما ينصب نصب (كم) إذا كانت منونة في الخبر والاستفهام"[3]. وأردف بباب آخر لبعض ما ينصب على التمييز من غير المقادير، فقال: "هذا باب ما ينصب انتصاب الاسم بعد المقادير"[4].

وجاء المبرد، فجمع تلك الأبواب والأقوال المتفرقة مما يتعلق بالتمييز، وعقد لها بابًا سماه "باب التبيين والتمييز"[5].

ووافق مكي- رحمة الله- اصطلاح الكوفيين في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 114/1

[2] /الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 255/1

[3] / سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، 172/2

[4] /سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، 2/ 174

[5] المبرد: محمد بن يزيد أبو العباس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لايوجد تاريخ للطبعة،32/3

كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ سورة البقرة الآية: (26) . قال مكي- رحمه الله- : وقوله: {مَاذَآ أَرَادَ الله بهذا مَثَلاً}. " ما " و " ذا " اسم واحد للاستفهام في موضع نصب بـــ " أراد " تقديره: أي شيء أراد الله. {مَثَلاً}: نصب على التفسير، ويجوز أن [تكون " ما "] استفهاماً في موضع رفع بالابتداء، و" ذا " بمعنى " الذي "، " وهو " الخبر وصلته ما بعده. وأراد " واقع على هاء محذوفة، أي: أراده الله[1]

خامسًا: فعل الأمر:

الفعل عند البصريين ثلاثة أقسام(ماضي ومضارع وأمر)، فهو ثلاثة أقسام عند سيبويه يقول: (وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينَقطع. فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعِ ومِكُث وحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً: يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ)[2]

ويقول ابن الأنباري: (إن قال قائل: لِمَ كانت الأفعال ثلاثة: "ماضٍ، وحاضر ومستقبل" قيل: لأنَّ الأزمنة ثلاثة، ولَمّا كانت ثلاثةً، وجب أن تكون الأفعال ثلاثة: ماضٍ، وحاضر، ومستقبل)[3].

ويقول السيوطي: (...والْفِعْل ثَلَاثَة أَقسَام خلافًا للكوفيين فِي قَوْلهم قِسْمَانِ وجعلهم الْأَمر مقتطعًا من الْمُضَارع)[4]

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 202/1

[2] / سيبويه، الكتاب، مصدر سابق،12/1

[3] / ابن الأنباري ، أسرار العربية، مصدر سابق، 226/1

[4] / السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى(911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر(د/ط) 34/1

ولئن استعمل الفراء اصطلاح الأمر بمعناه اللغوي حينما عرض لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ سورة البقرة الآية: (97). حيث يقول: وأما قوله: قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ هذا أمر أمر اللَّه به محمدا صلى الله عليه وسلّم فقال: قل لهم لما قالوا عدوّنا جبريل وأخبره اللَّه بذلك، فقال: قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ يعني قلب مُحَمَّد صلى اللَّه عليه وسلم، فلو كان فِي هذا الموضع «على قلبي» وهو يعني محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم لكان صوابا[1]، أو استعمله بمعناه الاصطلاحي حينما أعرب قوله تعالى: ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ سورة البقرة الآية: (211) لا تهمز فِي شيءٍ من القرآن لأنها لو همزت كانت «اسأل» بألفٍ، وإنما (ترك همزها) فِي الأمر خاصة لأنها كثيرة الدور فى الكلام فلذلك ترك همزه كما قَالُوا: كل، وخذ، فلم يهمزوا في الأمر، وهمزوه فِي النهى وما سواه[2].لئن استعمل الفراء هذا المصطلح في المعنيين اللغوي والاصطلاحي فلا يعني أنه مسلم بقسمة الفعل عند البصريين، فقد رجع ليقول بأن فعل الأمر معرب مجزوم تبعًا لرأي الكوفيين فيه [3]

ففي قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌۖ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (68)

---

[1] / الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، 63/1

[2] /الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق،124/1-125

[3]/ المصدر السابق،54/2

قال مكي– رحمه الله–: قَوْله: {ادْع لنا رَبك} لُغَة بني عَامر ادْع لنا بِكَسْر الْعين لسكونها وَسُكُون الدَّال قبلهَا كَأَنَّهُمْ يقدرُونَ أَن الْعين لَام الْفِعْل فيجزمونها وَهُوَ فعل مجزوم عِنْد الْكُوفِيّين ومبني عِنْد الْبَصرِيين[1]

يتبن للدارس أنه آخذ برأي البصريين إذ لو كان آخذ برأي الكوفيين لاختصر على رأيهم، لدلال العقل عليه؛ وذلك لو أن أحد شك في صلاته ثلاثًا صلى أم أربعًا بنى على الأقل.

هذه بعض المصطلحات التي اختارها لنفسه وسأبين في المبحث القادم اعتراضاته على بعض آراء النحويين.

[1] / مكي، مشكل إعراب القرآن ، مصدر سابق1/ 98

المبحث الخامس

اعتراضات مكي على بعض آراء النحويين

الاعتراض في اللغة مصدر الفعل الخماسي(اعترض)، ومادته (عرض) ، وقد تعددت معاني هذه المادة في كتب اللغة؛ لكن أقربها الى المعنى الاصطلاحي في هذه الدراسة هو: المنع والحيلولة .

عرض: العَرْضُ: خلافُ الطُّول، وَالْجَمْعُ أَعراضٌ، وَفِي الْكَثِيرِ عُرُوضٌ وعِراضٌ؛ وعَرَضَ الرَّامِي القَوْسَ عَرْضاً إِذا أَضجَعها ثُمَّ رَمى عَنْهَا. وعَرَضَ لَهُ عارِضٌ مِنَ الحُمَّى وغَيرها. وعَرَضْتُهم عَلَى السَّيْفِ قَتْلًا. وعَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ: انتَصَبَ ومَنَعَ وَصَارَ عارِضاً كالخشَبَةِ المنتصبةِ فِي النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوِهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلوكَها. وَيُقَالُ: اعتَرَضَ الشيءُ دُونَ الشيءِ أَي حَالَ دُونَهُ. واعتَرَضَ الشيءَ: تَكَلَّفَه. وأَعرَضَ لَكَ الشيءُ مِنْ بَعِيدٍ: بدَا وظَهَر واسْتَعْرَضَه: سأَله أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ. واسْتَعْرَض: يُعْطِي مَنْ أَقْبَلَ ومَنْ أَدْبَرَ. يُقَالُ: اسْتَعْرِضِ العَرَبَ أَي سَلْ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ عَنْ كَذَا وكَذَا. واسْتَعْرَضْتُه أَي قُلْتَ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ مَا عِنْدَكَ. وعِرْضُ الرجلِ حَسَبُه، وَقِيلَ نفْسه، وَقِيلَ خَلِيقَته الْمَحْمُودَةُ، وَقِيلَ مَا يُمْدح بِهِ ويُذَمُّ [1].

وقد ذكر الفيومي عبارات يتضح بها علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي قال: (وَفِي الْأَمْرِ لَا تَعْرِضْ لَهُ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا أَيْ لَا تَعْتَرِضْ لَهُ فَتَمْنَعَهُ بِاعْتِرَاضِكَ أَنْ يَبْلُغَ مُرَادَهُ لِأَنَّهُ يُقَالُ سِرْتُ فَعَرَضَ لِي فِي الطَّرِيقِ عَارِضٌ مِنْ جَبَلٍ وَنَحْوِهِ أَيْ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنْ الْمُضِيِّ وَاعْتَرَضَ لِي بِمَعْنَاهُ وَمِنْهُ اعْتِرَاضَاتُ الْفُقَهَاءِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنْ التَّمَسُّكِ بِالدَّلِيلِ وَتَعَارُضِ الْبَيِّنَاتِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ

[1] / ابن منظور، لسان العرب، مادة(عرض)، مصدر سابق،7/165-170

تَعْتَرِضُ الْأُخْرَى وَتَمْنَعُ نُفُوذَهَا قَالُوا وَلَا يُقَالُ عَرَّضْتُ لَهُ بِالتَّثْقِيلِ بِمَعْنَى اعْتَرَضْتُ وَعَرَضْتُ الْعُودَ عَلَى الْإِنَاءِ أَعْرِضُهُ عَرْضًا مِنْ بَابَيْ قَتَلَ وَضَرَبَ أَيْ وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ بِالْعَرْضِ)[1].

أما الاعتراض في الاصطلاح النحوي فيطلق على معان مرادفة للحشو قال ابن الأثير:(وبعضهم يسميه الحشو، وحده: كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقي الأوّل على حاله)[2].

و يقصد به التأكيد قال ابن جني: (اعلم أنَّ هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل "فيه" بغير، إلا شاذًّا أو متأولًا. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾ سورة الواقعة الآية: (76-77)، فهذا فيه اعتراضان: أحدهما قوله: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} لأنه اعترض به بين القسم الذي هو قوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} وبين جوابه الذي هو قوله: {إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ} وفي نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو "قسم " وبين صفته التي هي "عظيم " وهو قوله: {لَوْ تَعْلَمُونَ} . فذانك اعتراضان كما ترى. ولو جاء الكلام غير معترض فيه لوجب أن يكون: فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم وإنه لقسم عظيم لو تعلمون[3] وليس هذا المعنى هو المراد بالدراسة.

---

[1] / أبو العباس أحمد بن محمد المتوفى(770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت،2 /402

[2] / ضياء الدين ابن الأثير المتوفى(637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبابة، دار نهضة مصر للطباعة القاهرة، 40/3

[3] / ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، 336/1

إنما المراد بالدراسة اصطلاح الأصوليين: الذي هو مقابلة الخصم في دعواه قال الزركشي: (هُوَ تَفَاعُلٌ مِنْ الْعُرْضِ (بِضَمِّ الْعَيْنِ) وَهُوَ النَّاحِيَةُ وَالْجِهَةُ وَكَأَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَعَارِضَ يَقِفُ بَعْضُهُ فِي عُرْضِ بَعْضٍ، أَيْ: نَاحِيَتِهِ وَجِهَتِهِ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ النُّفُوذِ إلَى حَيْث وُجِّهَ، وَفِي الِاصْطِلَاحِ: تَقَابُلُ الدَّلِيلَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْمُمَانَعَةِ. وَالْقَصْدُ مِنْهُ: تَصْحِيحُ الصَّحِيحِ، وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ ، وَالْعَمَلُ بِالْأَقْوَى وَالدَّلِيلُ عَلَى تَعَيُّنِ الْأَقْوَى: أَنَّهُ إذَا تَعَارَضَ دَلِيلَانِ أَوْ أَمَارَتَانِ فَإِمَّا أَنْ يَعْمَلَا جَمِيعًا، أَوْ يُلْغَيَا جَمِيعًا، أَوْ يُعْمَلَ بِالْمَرْجُوحِ وَالرَّاجِحِ، وَهَذَا مُتَعَيَّنٌ)[1]

فالاعتراض إذن عمل علمي رصين يقوم على مقابلة الحجج والأدلة، ولا يهدف إلى التتبع المقصود للأخطاء والهنات، بل يهدف إلى بيان الحقيقة العلمية على وجه الصواب.

خاض مكي- رحمه الله- غمار النَّحو، وصال وجال في صفوف النحويين، فإن من يطالع تفسيره، يجد فيه أقوال الخليل ويونس، ونقول سيبويه، وآراء الفراء والأخفش والمبرد والزجاج...وغيرهم. وسأذكر بعض النماذج من اعتراضاته على بعض آراء النحويين ونقده :

اعتراضه على سيبويه:

في قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ سورة يونس الآية: (53)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {أَحَقٌّ هُوَ} هو: ابتداء، وخبره " أحق ". وقال سيبويه: (أحق): ابتداء، وهو فاعل يسد مسد الخبر. ومعنى الآية: ويستخبرك يا محمد هؤلاء المشركون: أحق ما تعدنا به من الآخرة، ومن المجازاة على أعمالنا. قل لهم يا محمد: {إِي وربي}: نعم

[1] / الزركشي محمد بن عبدالله (974هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي الطبعة الأولى،1414هـ-1994م، 228/2

وربي: {إِنَّهُ لَحَقٌّ} أي: إن الذي يعدكم من ذلك، لحق آت لا شك فيه[1].

والذي يتبين من كلامه أن فيه اعتراض لسيبويه لكن المسألة فيها جواز الوجهين والجواز لا يحجر على أحد. وهذا ما اشار إليه ابن مالك بقوله:

والثان مبتدأ وذا الوصف خبر إن في سوى الإفراد طبقا استقر[2]

اعتراضه على المبرد:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (83)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}. مَن قرأه بالضم، فمعناه عند الزجاج قولاً ذا حسن. وقال الأخفش: " الضم والفتح بمعنى واحد بمنزلة البُخْلُ والبَخَلُ والسُّقْمُ والسَّقَمُ ". وقيل: إن مَن قرأ بالفتح فهو نعت لمصدر محذوف. واستقبح المبرد: " مَرَرْتُ بِحَسَنٍ " على إقامة الصفة مقام الموصوف. وقد جاء هذا في القرآن بإجماع، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ سورة فصلت الآية: (10)]، ولم يقل قطرب والطبري جِبَالاً رَوَاسِيَ. وقال: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق، 5/ 3281

[2] / ابن مالك، الألفية، مصدر سابق،

وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ سورة سبأالآية: (11) ، ولم يقل: " دُرُوعاً سَابِغاتٍ "[1].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾سورة المائدة الآية: (119)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {قَالَ الله هذا يَوْمُ يَنفَعُ الصادقين صِدْقُهُمْ} حكي عن المبرد أنه منع قراءة من نصب (يوماً)، قال: لأنه (خبر الابتداء) والنصب جائز عند غيره، لأن المعنى: قال الله هذا لعيسى في {يَوْمُ يَنفَعُ الصادقين صِدْقُهُمْ} ، فـ (يوم) ظرف للقول، وهو الناصب له. وقيل: المعنى: هذا الأمر وهذا الشأن في {يَوْمُ يَنفَعُ الصادقين صِدْقُهُمْ} أي: في يوم[2]

ووافق مكي- رحمه الله- في توجيه أبو البقاء بقوله: وَيُقْرَأُ «يَوْمَ» بِالْفَتْحِ؛ وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ، وَهَذَا فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: هُوَ مَفْعُولُ قَالَ؛ أَيْ: قَالَ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ فِي يَوْمِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا مُبْتَدَأٌ، وَيَوْمَ ظَرْفٌ لِلْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ؛ أَيْ: هَذَا يَقَعُ، أَوْ يَكُونُ يَوْمَ يَنْفَعُ[3].

اعتراضه على الكوفيين:

في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 1/ 331

[2] / المصدر نفسه، 3/ 1951

[3] / أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن 1/ 477

بِهِۦ مِنۢهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ سورة النساء الآية: (24)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {كتاب الله عَلَيْكُمْ} نصب: كتاب الله عليكم: المصدر عند سيبويه، لأنه لما قال {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ} على أنه كتب ذلك، فالمعنى كتب الله عليكم ذلك كتاباً، وقيل نصبه على الإغراء أي: الزموا كتاب الله، وهذا قول ضعيف مردود، وهو قول الكوفيين لأن عليكم هو الذي يقوم مقام الفعل في الإغراء، وهو لا ينصرف ولا يجوز تقديم المفعول عليه عند أحد، لا يجوز زيد عليك، ونصبه عند بعض الكوفيين على الحال كأنه قال: كتاب الله عليكم[1].

اعتراضه على النحاس:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ سورة آل عمران الآية: (178)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ} الآية. من قرأ بالياء الذين هم الفاعلون و {أَنَّمَا} في موضع المفعولين وما مع نملي مصدر ويجوز أن تكون " ما " بمعنى الذي، والهاء محذوفة من {أَنَّمَا}، والمعنى: ولا يحسبن يا محمد الكافرون الإملاء خيراً لهم، فلما دخلت إن قامت مقام المفعولين فارتفع خير على خبر أن. ومن قرأ بالتاء، فقد زعم أبو حاتم أنه لحن، وتابعه على ذلك غيره " لأن الذين كفروا " يكونون في موضع نصب، والمخاطب هو الفاعل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا معنى لفتح " أن " على هذا.

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 1281/2

وقال الزجاج: " إن " بدل من {الذين كَفَرُواْ} وهي تسد مسد المفعولين كأنه قال: ولا تحسبن يا محمد أن إملاءنا للذين كفروا خير لهم. والكسائي الفراء يقدران الكلام على حد كأنه: ولا تحسبن الذين كفروا لا تحسبن أن ما نملي لهم، وحذف المفعول الثاني من هذه الأفعال لا يجوز عند أحد فهو غلط منهما. وقد قرأ يحيى بن وثاب بكسر إن والياء كأنه ليبطل عمل حسب مع أن كما أبطلها مع اللام وهو قبيح. وتأويل قول النحاس فيها يدل على أن يحيى قرأه بالتاء وكسر إن وذلك قبيح[1].

و يؤيد الدارس مكي– رحمه الله– وهو الراجح من مذاهب النحويين وبنحو ما رأينا جاء عن الطبري وابن مالك وابن عقيل.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ: (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالياء من "يحسبن"، وبفتح الألف من "أنما"، على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم، ثم يعمل في "أنما" نصبًا لأن "يحسبن" حينئذ لم يشغل بشيء عمل فيه، وهي تطلب منصوبين. وإنما اخترنا ذلك لإجماع القرأة على فتح "الألف" من "أنما" الأولى، فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة في "يحسبن" بالياء لما وصفنا.

وأما ألف "إنما" الثانية، فالكسر على الابتداء، بإجماع من القرأة عليه[2] قال ابن مالك:

ولا تجز هنا بلا دليل سقوط مفعولين أو مفعول[3]

لا يجوز في هذا الباب سقوط المفعولين ولا سقوط أحدهما إلا إذا دل دليل على ذلك، وهذا الذي ذكره المصنف هو الصحيح من مذاهب النحويين[4].

---

[1] / مكي، الهداية مصدر سابق،1185/2

[2] / الطبري، جامع البيان مصدر سابق،7/ 423

[3] / ابن مالك، شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، مصدر سابق، 57/2.

[4] / المصدر السابق، والصفحة نفسها.

وكذالك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ سورة آل عمران الآية: (130)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: [أضعافاً]: حال من الربا. قال النَّحاس: هو مصدر، وهو غلط منه، وهذا نهي من الله عز وجل للمؤمنين أن يأكلوا الربا بعد إسلامهم[1].

سبحان الله هو نفسه– رحمه الله – في مشكلة ينقل قول النحاس قال: قَوْله: {أضعافا} نصب على الْحَال أَو مصدر فِي مَوضِع الْحَال ومضاعفة نَعته[2]، وهنا يصفه بالغلط.

اعتراضه على الفراء وجمهور الكوفيين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ سورة الأنعام الآية: (153)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {وَأَنَّ هذا} من فتح، جعلها في موضع نصب عطف على {أَلاَّ تُشْرِكُواْ} [الأنعام: 151]، أو في موضع رفع عطف على {أَلاَّ تُشْرِكُواْ} [الأنعام: 151] على مذهب من أضمر الابتداء مع {أَلاَّ تُشْرِكُواْ} [الأنعام: 151]. ومذهب الفراء أنها في موضع خفض بإضمار الخافض، تقديره عنده: " ذلكم وصآكم به وبأن هذا صراطي "، وهذا بعيد، لأن المضمر المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض عند سيبويه وجميع البصريين. ومن خفف (أن) جعلها مخففة من الثقيلة. وقيل: خففها عطفاً على أن لا تشركوا)، فخفف كما كان المعطوف عليه مخففاً. ويجوز أن تكون (أن) في موضع رفع بالابتداء. ويجوز أن تكون مخففة حكمها حكم المثقلة. ويجوز أن تكون (أَنْ) زائدة للتوكيد. و{هذا} في موضع رفع على قراءة من خفف

[1] / مكي، الهداية، 2مصدر سابق، 1/ 1126

[2] / مكي، مشكل إعراب ،تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة، 1405هـ، 1/ 174

ومن جعل (أن) زائدة، وفي موضع نصب على قراءة من شدد. ومعنى الآية: وهذا الذي وصآكم به ربكم – في هاتين الآيتين – وأمركم بالوفاء به: هو صراطه، أي: طريقه. ودينه المستقيم، (أي) الذي لا اعوجاج به، {فاتبعوه} أي: اجعلوه منهاجاً تتبعونه، {وَلاَ تَتَّبِعُواْ السبل} أي: تسلكوا طرقاً غيره، {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} أي: عن طريقه ودينه، وهو الإسلام، {ذلكم وَصَّاكُمْ بِهِ}: وصاكم بذلكم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[1].

اعتراضه على الزجاج:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (21)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.أي تتقون ما نهاكم الله عنه. وقيل: معناه لعلكم تتقون " الذي جعل ". " فالذي " في موضع نصب بـــ {تَتَّقُونَ}. و " لعل " مردود إلى المخاطبين. والمعنى اعبدوه واتقوه على رجائكم وطمعكم. وحكى الزجاج: أن " لعل " بمعنى " كي " في هذا الموضع، وهو بعيد[2].

ولقد جوز قطرب والطبري لعلَّ واسمُها وخبرُها إذا وَرَدَ ذلك في كلام الله تعالى، فللناسِ فيه ثلاثةُ أقوالٍ، أحدُها: أنَّ» لَعَلَّ «على بابها من الترجِّي والإطماع، ولكنْ بالنسبةِ إلى المخاطَبين، أي: لعلَّكم تتقون على رجائِكم وطمعِكم، وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: {لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ} أي: اذهبا على رجائكما. والثاني: أنها للتعليل، أي اعبدوا ربَّكم لكي تتقوا، وبه قال قطرب والطبري وغيرُهما وأنشدوا[3]:

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 3/ 2245

[2] / المصدر نفسه، 1/ 184

[3]/ هما بلا نسبه في تفسير الطبري364/1، الدر المصون 47/1

وقُلْتُمْ لنا كُفُّوا الحروبَ لَعَلَّنا نَكُفُّ ووَثَّقْتُمْ لنا كلَّ مَوْثِقِ

فلمّا كَفَفْنَا الحربَ كانَتْ عهودُكُمْ كَلَمْعِ سَرابٍ في المَلاَ مُتَأَلِّقِ أي: لكي نَكُفَّ الحربَ، ولو كانت "لعلَّ" للترجي لم يقلْ: وَوَثَّقْتُمْ لنا كلَّ مَوْثِقِ. والثالث: أنها للتعرُّض للشيء، كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرِّضين لأنَّ تتَّقوا. وهذه الجملةُ على كلِّ قولٍ متعلقةٌ من جهةِ المعنى بـــ اعبُدوا، أي: اعبدوه على رجائِكم التقوى، أو لتتقوا، أو متعرِّضين للتقوى، وإليه مالَ المهدوي وأبو البقاء[1].

اعتراضه على الطبري:

في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ سورة البقرة الآية: (198) قوله: {وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضالين}.

معناه: وما كنتم من قبل الهدى إلا من الضالين، " فَإِنْ " بمعنى " ما " واللام بمعنى " إلا ". وقد قيل: إنَّ " إنْ " بمعنى " قد " ذكره الطبري، وليس بجيد في اللغة[2].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ سورة يونس الآية: (51)

قال مكي– رحمه الله–: قال تعالى: {أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ}. قال الطبري: " أثم " بمعنى "هنالك" إذا وقع العذاب بكم آمنتم بالله عز وجل. وليست عنده، ثم التي للعطف وهو

---

[1] / الحلبي، الدر المصون ، مصدر سابق،1/ 189

[2] / مَكِّيّ ، الهداية، مصدر سابق، 666/1

غلط منه. وإنما التي تكون بمعنى " هنالك " هي المفتوحة الثاء بمنزلة قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ سورة الإنسان الآية: (20). والتقدير عند غيره أنها " ثم " التي للعطف. وفي الكلام حذف. والتقدير: أتأمنون إذا نزل بكم العذاب، فتؤمنون ثم يقال لكم: الآن آمنتم، وقد كنتم تريدون استعجاله، وحلوله بكم، فلما عاينتم حلوله آمنتم حين لا ينفعكم الإيمان، وهو مثل قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ سورة غافر الآية: (48)] إلى قوله {بَأْسَنَا} [غافر: 85]: أي: لم ينفعهم الإيمان عند معاينة العذاب. كذلك سنة الله عز وجل في الكافرين لا يقيلهم من كفرهم عند معاينتهم العذاب[1]

كان هذا الفصل محاولة لكشف الغموض عن المذهب الذي ارتضاه مكي– رحمه الله– لنفسه، فلم يصرح بأنه متبع لمذهب وترجح للدارس الأتي:

– وافق البصريين في أغلب مسائله، فيصف مذهبهم بالجودة والحسن، ولعل السبب في ذلك معاصرته للمهلبي وابن القوطية وأبو علي القالي وغيرهم. فطبع نحو الأندلسيين عند ذاك بالطابع البصري في أغلب مسائله وقواعده.

– كان لا يتقيد بمذهب البصريين في جميع آرائه واختياراته، وإنما كان ينظر فيها وينتقي منها ما كان أسعد بالدليل. ويتَّضح ذلك من تفننه في الاختيار؛ فبينما تجده يختار في كثير من القضايا النحوية المذهب البصري، تجده يختار في مسائل متعددة المذهب الكوفي.

– وأحياناً يذكر مسائل الخلاف دون ترجيح.

– أما المصطلحات النحوية فيعبر أحياناً بالمصطلحات الكوفية.

[1] / مَكِّيّ ، الهداية، مصدر سابق، 3280/5

- كانت له وقفات انتقادية عند بعض آرائهم، وهو حينما ينتقد رأيًا، فإنما ينتقده بطريقة معتدلة، يصل من خلالها إلى تقرير المسألة من غير تثريب على صاحب رأي، أو حط من قدره، ويحكم على آرائهم بالبعد والقبح والغلط والضعف والمردود... وغيرها.

الفصل الرابع: اختيارات مَكِّيّ النحوية

المبحث الأوَّل: اختيارات مكي في الحروف وذكر استعمالاتها

المبحث الثاني: اختيارات مكي في الأفعال

المبحث الثالث: اختيارات مكي في الأسماء

المبحث الرابع: في تفسير الجمل واشباه الجمل وذكر أحكامها

المبحث الأوّل

اختيارات مكي في الحروف وذكر استعمالاتها

الاختيارات: فــ (الْخَيْرُ) ضِدُّ الشَّرِّ وَبَابُهُ بَاعَ، تَقُولُ مِنْهُ: (خِرْتَ) يَا رَجُلُ فَأَنْتَ (خَائِرٌ) وَ (خَارَ) اللَّهُ لَكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة البقرة الآية: (180) أَيْ مَالًا. وَ (الْخِيَارُ) بِالْكَسْرِ خِلَافُ الْأَشْرَارِ، وَهُوَ أَيْضًا الِاسْمُ مِنَ الِاخْتِيَارِ، وَهُوَ أَيْضًا الْقِثَّاءُ وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ. وَرَجُلٌ (خَيِّرٌ) وَ (خَيْرٌ) مِثْلُ هَيِّنٍ وَهَيْنٍ وَكَذَا امْرَأَةٌ (خَيِّرَةٌ) وَ (خَيْرٌ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} [التوبة: 88] جَمْعُ خَيْرَةٍ وَهِيَ الْفَاضِلَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ سورة الرحمن الآية: (70) قَالَ الْأَخْفَشُ: لَمَّا وُصِفَ بِهِ فَقِيلَ فُلَانٌ خَيْرٌ أَشْبَهَ الصِّفَاتِ فَأَدْخَلُوا فِيهِ الْهَاءَ لِلْمُؤَنَّثِ وَلَمْ يُرِيدُوا بِهِ أَفْعَلَ. فَإِنْ أَرَدْتَ مَعْنَى التَّفْضِيلِ قُلْتَ: فُلَانَةُ خَيْرُ النَّاسِ وَلَا تَقُلْ: خَيْرَةُ وَلَا أَخْيَرُ وَلَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى أَفْعَلَ. وَ (الِاخْتِيَارُ) الِاصْطِفَاء وَ (خَيَّرَهُ) بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَيْ فَوَّضَ إِلَيْهِ الْخِيَارَ[1].

وفي المعنى الاصطلاحي: هي ضرب من الترجيحات لا تعني بالضرورة تضعيف الرأي المقابل، كما لا تستلزم الاتجاه إلى رد الأدلة المخالفة أو تقوية أدلة الرأي المختار يقول الآمدي: (وَلِهَذَا فَإِنَّ مَنِ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ حَالَةً، وَتَمَسَّكَ بِهَا وَكَانَ مَعْرُوفًا بِهَا يُقَالُ إِنَّهَا سَبِيلُهُ، سَوَاءٌ تَعَدَّدَتِ الْأَحْوَالُ أَوِ اتَّحَدَتْ)[2].

---

[1] / محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى(666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت لبنان صيدا، الطبعة الخامسة 1420هـ-1999م ص90

[2] / أبو الحسن علي بن أبي الآمدي المتوفى(631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، تحقيق عبدالرزاق عفيفي، المكتب الاسلامي بيروت لبنان (د، ت) 1/ 205

وعليه فبين الاختيار والاعتراض عموم وخصوص في الاحتكام إلى الدليل؛ فكل اعتراض اختيار، وليس كل اختيار اعتراض، ولا يمنع ذلك من أن تكون بعض المسائل تتخذ صفة الاختيار فالأمر في ذلك مرجعة إلى تناول المسألة وبسط الاستدلال.

فالحَرْفُ لغة مِنْ حُروف الهِجاء مَعْرُوفٌ: وَاحِدُ حُرُوفِ التَّهَجِّي الحَرْفُ: الأَداة الَّتِي تُسَمَّى الرابِطةَ لأَنها تَرْبُطُ الاسمَ بِالِاسْمِ والفعلَ بِالْفِعْلِ كَعَنْ وَعَلَى وَنَحْوِهِمَا.

قَالَ الأَزهري: كلُّ كَلِمَةٍ بُنِيَتْ أَداةً عَارِيَةً فِي الْكَلَامِ لِتَفْرِقَة المعاني فاسمُها حَرْفٌ، وَإِنْ كَانَ بِنَاؤُهَا بِحَرْفٍ أَو فَوْقَ ذَلِكَ مِثْلُ حَتَّى وَهَلْ وبَلْ وَلَعَلَّ، وكلُّ كَلِمَةٍ تقرأُ عَلَى الْوُجُوهِ مِنَ الْقُرْآنِ تُسَمَّى حَرْفاً، تَقُولُ: هَذَا فِي حَرْف ابْنِ مَسْعُودٍ أَي فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ. قال ابْنُ سِيدَهْ: والحَرْفُ القِراءة الَّتِي تقرأُ عَلَى أَوجُه، وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف كلُّها شافٍ كافٍ، أَراد بالحرْفِ: اللُّغَةَ[1].

أما الحرف في اصطلاح النحويين فهو: كلمة تدل على معنى إِلَّا مَعَ غَيرهَا مِمَّا مَعْنَاهَا فِي غَيرهَا[2].

وبهذا يتبين للدارس مفهوم الحرف دائر حول الربط وتكميل الغير لتبين معناه ومعنى غيره.

ذكر المرادي: (أن حروف المعاني عَدَّها بعض النحاة ثلاثة وسبعين حرفًا، وذكر بعضهم نيفًا وتسعين حرفًا، وقد وقفت على كلماتٍ أخر مختلفٌ في حرفيتها ترتقي بها عدة

---

[1] / ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، 9/ 41

[2] / أبو الحسن الرماني، علي بن عيسي بن علي بن عبدالله المتوفى(384هـ)، رسالة في الحدود، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، (د.ت)،ص67.

الحروف على المائة)[1].

منحصرة في خمسة أقسام أحادي، وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي، فلذلك جعلتُ لها أربعة نماذج:

الأنموذج الأوَّل: الحروف الأحادية: الهمزة

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (30)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا} الآية. روى كثير من المفسرين أن الملائكة علمت بفساد من سكن الأرض من الجن وسفكهم للدماء، فقالوا على طريق الاسترشاد وطلب الفائدة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ}؛ أي أيكونون مثل أولئك الذين أفسدوا؟، فسألوا مسترشدين لا منكرين، إذ لا علم عندهم بما يكون من أمر الخليفة التي أعلمهم الله أنه خالقها، وقيل: إنهم قالوا: ذلك على طريق التعجب كما تقول العرب " أتحسن إلى فلان وهو يسيء إليك، وقيل: إن الله جَلَّ ذكره أذن لهم في السؤال عن ذلك، وقيل: إن الله تعالى ذكره أعلمهم أنه يجعل في الأرض خليفة فسألوا على طريق الاسترشاد: ما يكون ذلك الخليفة؟ فقال: تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. فقالوا عند ذلك على طريق الاستعظام والاستثبات لا على طريق الإنكار: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا} الآية، قيل: قالوا: ذلك على التعجب مما أعلمهم الله به من إفساد ذرية الخليفة في الأرض وسفكهم للدماء والله أعلم بأي ذلك

---

[1] / المرادي،أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله علي، المتوفى (574هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين غباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ- 1992م، ص 28.

كان، فالألف في {أَتَجْعَلُ} لفظها لفظ الاستفهام ومعناها الاسترشاد أو التعجب على قول من رأى ذلك على ما ذكرنا[1]

ويترجح للدارس أن كلا القولين الأولين صواب، ولكن أحرى القولين عنده بالصواب– والله أعلم – هو قول أبو عبيدة لأنّ الله قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، فجاء الاستفهام على معنى الإيجاب ويعضد ذلك قول جرير، ولاشك أن القرآن الكريم أقوى اللغات.

الأنموذج الثاني الحروف الثنائية في مسائل:

المسألة الأولى: في عمل "إنِ" المخففة النَّصْبَ في الاسم "

في قوله تعالى: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ سورة يونس الآية: (10)

ومذهب سيبويه في {أَنِ الحمد للَّهِ} أنها مخففة من الثقيلة، والمعنى: أنه الحمد لله رب العالمين). وأجاز المبرد أن يعملها – وهي مخففة – عملها مشددة. والرفع أقيس، لأنه قد زال منها شبه الفعل باللفظ لما خففت، ومن أعملها شبهها بالفعل الذي قد حذف منه وأعمل. نحو: " لم يكُ ". وقرأ بلال بن أبي بُرْدَةَ: " أنَّ الحمدَ " بالتشديد، ونصب " الحمد "[2].

ذهب الكوفيون إلى أن "إنْ" المخففة من الثقيلة لا تعمل النصب في الاسم وذهب البصريون إلى أنها تعمل.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنها لا تعمل لأن المشددة إنما عملت لأنها أشبهتِ الفعل الماضي في اللفظ؛ لأنها على ثلاثة أحرف كما أنه على ثلاثة أحرف، وإنها مبنيّة على الفتح كما أنه مبنيّ على الفتح، فإذا خففت فقد زال شَبَهُها به؛ فوجب أن يبطل عملها.

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق، 1/ 217

[2] / المصدر سابق،328/5

ومنهم من تمسّك بأن قال: إنما قلنا ذلك؛ لأن "إنّ" المشدّدة من عوامل الأسماء، و "أنِ" المخففة من عوامل الأفعال؛ فينبغي ألا تعمل المخففة في الأسماء كما لا تعمل المشددة في الأفعال؛ لأن عوامل الأفعال لا تعمل في الأسماء، وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال[1].

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على صحة الإعمال قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة هود الآية: (111)] في قراءة من قرأ بالتخفيف، وهي قراءة نافع وابن كثير، وروى أبو بكر عن عاصم بتخفيف "إن" وتشديد "لما".

قالوا: ولا يجوز أن يقال بأن "كلا" منصوب بـــ ليوفينهم، لأنا نقول: لا يجوز ذلك؛ لأن لام القسم تمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول "زيدا لأكرمنَّ، وعمرًا لأضربنَّ" فتنصب زيدًا بـــ "لأكرمنَّ" و"عمرًا" بـــ"لأضربنَّ"، فكذلك ههنا: لا يجوز أن يكون "كلا" منصوبًا بـــ "ليوفينهم".

قالوا: ولا يجوز أيضًا أن يقال إن "إنْ" بمعنى ما، ولَمَا بمعنى إلَّا؛ لأنا نقول: إنَّ إن التي بمعنى ما لا يجيء معها اللام بمعنى إلا، كما قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ سورة مريم الآية: (93)

وأما "لما" فلا يجوز أن يجعل ههنا بمعنى إلا؛ لأنه لو جاز أن تجعل "لما" بمعنى إلا لجاز أن يقال: ما قام القوم لما زيدًا، وقام القوم لما زيدًا، بمعنى إلا زيدًا، وفي امتناع ذلك دليل على فساده، وإنما جاء لما بمعنى إلا في الأيمان خاصة نحو قولهم: "عَمْرَك الله لَمَا فعلت كذا" أي إلَّا، ثم لو جعلت "لما" في قوله تعالى: {وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيوَفِّينَّهُمْ} [هود: 111] بمعنى إلا لما كان لكل ما ينصبه؛ لأن إلا لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فدلَّ على صحة ما ذكرناه.

---

[1] / ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 159/1

والذي يدل على صحة ذلك أيضًا أنه قد صحَّ عن العرب أنهم يقولون "إلا أن أخاك ذاهب" بمعنى أنَّ المشددة، وقد قال الشاعر:

وصَدْرٍ مُشْرِقِ النَّحْرِ كأنَّ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ[1]

فنصب "ثدييه" بكأن المخففة مع الثقيلة، وأصلها أن أضيف إليها الكاف للتشبيه، والأصل في الكاف أن تكون مؤخرة؛ كما أن الأصل في اللام أن تكون مقدمة؛ فإذا قلت "كأن زيدًا الأسدُ" كان الأصل فيه: إن زيدًا كالأسد، كما إذا قلت "إن زيدًا لقائمٌ" كان الأصل فيه: لإنَّ زيدًا قائم، إلا أنه قدمت الكاف على "أن" عنايةً بالتشبيه، وأخرت اللام عن "إن" لئلا يجمعوا بين حرفي تأكيد، فلما نصب بها مع التخفيف دلّ على أنها بمنزلة فعل قد حذف بعض حروفه[2]

المسألة الثانية: هل تقع (إنْ) الشرطية بمعنى إذ؟

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ سورة المائدة الآية: (2)

قال مكي- رحمه الله-: من قرأ {أَن صَدُّوكُمْ} بالكسر، فالمعنى: " ولايجرمنكم شنآن قوم أن تعتدوا إن صدّوكم "، فالصد لم يكن بعد. وفي حرف ابن مسعود شاهد للكسر، لأنه قرأ (إن

---

[1] / الإنصاف 1/ 160، أنشد سيبويه هذا البيت "1/ 281" وأنشده ابن يعيش "ص1138" ولم يعزواه، وأنشده رضي الدين في باب الحروف المشبهة بالفعل، وشرحه البغدادي في الخزانة "4/ 358" وقال عنه: "هو أحد أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل" ا. هـــ. وهو من شواهد أوضح المسالك "رقم 152" وابن عقيل "رقم 108".

[2] / ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق،160/1

يَصُدّوكُم)، ومثله: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ} [محمد: 22]. ومن قرأ بالفتح، احتج أن الصد قد كان، وذلك أن الآية نزلت عام الفتح، سنة ثمان، وكان المشركون صدوا المؤمنين عام الحديبية سنة ست ، فالصدّ كان قبل الآية، وقيل: " إِنْ " بمعنى " إذْ "، فهو صَدٌّ قد كان، فالكسر أولى به، ويدل على الكسر قوله: {لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ الله وَلاَ الشهر الحرام وَلاَ الهدي وَلاَ القلائد} ولا كذا ولا كذا، فهو أمر للمؤمنين ألا يعتدوا إنْ صَدّ لهم، ولو كان الفتح الصواب لكان نَهْياً للمشركين ولم يقل {يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ}، وقد جعل النحاس هذه الحجة حجة للفتح، وهو خطأ، إنما تكون حجة للكسر.

ومعنى الآية: أن الله نهى المؤمنين أن يحلوا شعائره، وهي معالمه وحدوده التي جعلها علماً لطاعته في الحج[1].

ويظهر للدارس(قوله): وقيل انها بمعنى(إذ) كأنه لا يرتضي مذهب الكوفيين في هذه المسألة لذكره إياها بصيغة التمريض، والصواب معه فقد أجاب أنها لغير الشك ومن عادة العربي يقول لابنه: إن كنت ابني فأطعني، فخاطبهم الله على عادة خطابهم فيما بينهم، وبنحو ما قلنا قال ابن الأنباري[2].

المسألة الثالثة: في (إِنْ) بكسر الهمزة فهي الواقعة بعد (ما) أنافية أم مؤكدة أم زائدة؟

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة الآية: (93)

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 3/ 163

[2] / ابن الأنباري، الإنصاف ، مصدر سابق 520/2.

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ}. معناه أي: قل يا محمد: بئس الإيمان إيمان يأمركم بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن التوراة تنهى عن الجحود بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتنهى عن القتل وعن تبديل ما أنزل الله وأنتم على ذلك مصرون. {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}: أي: في قولكم إن كنتم تؤمنون بما أنزل إليكم، وقيل: معناه: ما كنتم مؤمنين[1].

يتضح للدارس موافقته لمذهب البصريين في هذه المسألة فقد ذهب الكوفيون إلى أن "إن" إذا وقعت بعد "ما" نحو "ما إنْ زيد قائم" فإنها بمعنى ما. وذهب البصريون إلى أنها زائدة.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن "إن" تكون بمعنى "ما" وقد جاء ذلك كثيرًا في كتاب الله وكلام العرب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة الآية: (93)] أي: ما كنتم مؤمنين

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما قولهم: "إنها تكون بمعنى ما" قلنا: نسلم أنها تكون بمعنى "ما" في موضع ما، فأما ما احتجوا به فأكثره نقول بموجبه؛ إذ لا نمنع أن تقع في بعض المواضع بمعنى ما.

وأما ما احتجوا به من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق،1/ 353

الآية: (93)] فلا نسلم أن "إن" ههنا بمعنى ما، وإنما هي ههنا شرطية، وجوابه مقدر، والتقدير فيه: إن كنتم مؤمنين فأي إيمان يأمر بعبادة عجل من دون الله تعالى؟[1]

المسألة الرابعة: "أم" في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سورة البقرة الآية: (108)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ}. " أم " تقع منقطعة بعد الخبر والاستفهام تقول: " جاءني زيد " ثم تقول: " أم جاءني عمرو "، وتقول: " هل عندك زيد أم [عندك عمرو]، " و - أزيد عندك أم لا؟ " كأنه في هذا كله أدركه الشك، بعد أن مضى صدر الكلام فاستدرك بـــ " أم ". وتكون " أم " عاطفة بعد الاستفهام خاصة، تدل على ثبوت أحد الشيئين غير معين وعن عينه يسأل بها. فهي بمنزلة أيهما عندك " فتسأل عن العين بعد أن يستقر عندك أن ثمّ شخصاً ولا تدري من هو، ولا يكون الجواب إلا بالعين. يقول المجيب: " قلان أو فلان " ولا يجوز أن يقول:" لا، ولا نعم. وإنما لا ونعم جواب. أو إذا قلت: " أذا عندك أو ذا؟ ". وتقول " سواء علي أقمت أم قعدت "، فبالتسوية أجريته مجرى الاستفهام لأنك سويت الأمرين في علمك، كما استوى علمك في قولك: " أزيد عندك أم عمرو؟ ".

فالتسوية تُجري هذا على حروف الاستفهام، كما أجرى الاختصاص ما ليس بمنادى على حروف النداء.

قال بعض النحويين في {أَمْ تُرِيدُونَ}: " معناه: أتريدون ".

وقيل: هي منقطعة مما قبلها بمنزلة قول العرب: " إنها لإبل أم شاء ". وهذا القول بعيد لأنه لا يصح في أكثر كلام العرب إلا على حدوث شك دخل المتكلم، وذلك لا يليق بالقرآن. وقيل: إنها

[1] /ابن الأنباري، الإنصاف ، مصدر سابق، 2/ 523

مردودة على الاستفهام الذي قبلها وهو {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لأنه بمعنى: " ألم تعلموا "، ثم قال: {أَمْ تُرِيدُونَ}[1].

الأنموذج الثالث الحروف الثلاثية في مسائل:

المسألة الأولى "على":

في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة التوبة الآية: (5)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {كُلَّ مَرْصَدٍ}، منصوب عند الأخفش على حذف: "على". وقد حكى سيبويه: ضُرب الظهر والبطن، أي: " على "، فنصب لما حذف " على ". ونصبه على الظرف حسن، كما تقول: " قَعَدْتُ لَهُ كُلَّ مَذْهَبٍ ".أي في كل مذهب[2].

وبنحو اختياره، قال أبو إسحاق: كل مَرصَد ظرف، كقولك ذهبت مَذْهَباً، وذهبت طريقاً، وذهبت كل طريق فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا ما تقوله في الظروف مثل خلف وأمام وقدام[3]، وقال النحاس: ونصبه على الظرف جيّد[4].

المسألة الثانية: "ربَّ":

وذلك في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ سورة الحجر الآية: (2)

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق،1/ 395

[2] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 4/ 298

[3] / الزجاج، معاني القرآن، مصدر سابق، 2/ 431

[4] / النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق2/ 109

قال مكي– رحمه الله–: قال تعالى: {رُّبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ}. أصل " رب " أن تدخل على النكرات، وأن تكون في صدر الكلام لمضارعتها " كم ". لأنها للتقليل كما أن " كم " للتكثير ولمضارعتها " لا " لأنها للتقليل، والتقليل أقرب شيء من النفي. ومن أجل كونها للتقليل لزمتها النكرة.

وموضع "رب" وما عملت فيه، نصب يتعدى الفعل الذي بعدها، كما تقول: مررت بزيد: فزيد في موضع نصب. ولذلك لم يؤت لها بخبر، كما يأتي لكم. والفعل: الذي يتعلق به محذوف – وربما ظهر – وكل حرف جر فإنما يتعلق بما قبله إلا رب فإنها تـــــتعلق بما بعدها لأن لها صدر الكلام. وإذا دخلت عليها " ما " كفتها عن العمل ووقعت الأفعال الماضية بعدها، تقول: ربما قام زيد، وربما جلس عمرو، فإن وقعت الأسماء بعدها، جاز عملها، ولغوها تقول: ربما رجل رأيت. ويلزم النكرة التي تدخل " رب " عليها النعت. فإن وقع بعدها مستقبل فعلى إضمار " كان " تقول: ربما يقوم زيد. تقديره ربما: كان يقوم زيد.

فأما قوله تعالى: {رُّبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ} وإنما جاز وقوع المستقبل بعدها في هذه الآية لأنه أمر واقع لا محالة، فصار بمنزلة الماضي الذي قد كان ووقع. فإن قلت " رب رجل سيقوم " أو " ليقومن " لم يجز إلا أن تريد أنه يوصف بذلك.

وإذا اتصل بـــ "ربما" مجهول انتصب ما بعدها على التفسير، ولا يثنى ذلك المجهول ولا يجمع ولا يؤنث عند البصريين، وأجاز ذلك الكوفيون.

والمضمر الذي يتصل برب في تأويل نكرة ولفظه لفظ معرفة، وإنما كان نكرة لأنك لم تقصد به إلى مذكور بعينه تقدم ذكره، وإنما أظهر على شريطة التفسير بعده.

ولا موضع لـــ" ما " في ربما لأنها زائدة. وأجاز الأخفش أن تكون " ما " نكرة في موضع خفض " برب " كأنه قال: ورب شيء، أو: رب وَدَّ.

ومعنى الآية: ربما تمنى الذين كفروا لو كانوا في الدنيا مسلمين، وذلك في قول: ابن عباس وأنس، حين يرى المشركون المسلمين من أهل الخطايا يخرجون من النار بإيمانهم. فيود عند ذلك المشركون لو كانوا مسلمين فيخرجون كما خرج هؤلاء[1]

الأنموذج الرابع الحروف الرباعية وفيه مسائل:

المسألة الأولى: "لّعَلَّ":

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة الآية: (21)

قوله: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.أي: تتقون ما نهاكم الله عنه، وقيل: معناه "لعلكم تتقون "الذي جعل". " فالذي " في موضع نصب بـــ {تَتَّقُونَ}. و " لعل " مردودة إلى المخاطبين، والمعنى اعبدوه واتقوه على رجائكم وطمعكم، وحكى الزجاج: أن " لعل " بمعنى " كي " في هذا الموضع، وهو بعيد[2].

المسألة الثانية: هل تكون "إلا" بمعنى الواو ولكن؟

قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (150)

وعن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من أصحاب النبي [عليه السلام] أنه لما صرفت القبلة نحو الكعبة قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم، وعلم

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق،6/ 358- 360

[2] / مكي، الهداية ، مصدر سابق،1/ 184

أنكم كنتم أهدى منه سبيلاً، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله فيهم: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ واخشوني}.

وهو قول عطاء والسدي وغيرهما. فهو على هذا التاويل استثناء صحيح، وهو مذهب الطبري، قال: " نفى الله جل ذكره أن يكون لأحد من الناس حجة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في استقباله الكعبة إلا مشركي قريش فإن لهم قِبَلَكُم خصومةً باطلة بأن يقولوا: إنما توجهتم إلى قبلتنا لأنا كنا أهدى منكم سبيلاً وأنكم كنتم على ضلالة في استقبالكم بيت المقدس ".

وقال بعض النحويين: " هو استثناء ليس من الأوَّل، و " إلا " بمعنى "لكن ".

قال أبو عبيدة: "إلا" بمعنى الواو"، وهو قول بعيد من الصواب لأنه يفسد المعاني ويغير ما بني عليه الكلام. و " إلا " إذا كانت بمعنى " لكن "، فإنما هي إيجاب لشيء بعدما تؤكده[1].

فمكي- رحمه الله- بذلك موافق للبصريين فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن "إلا" لا تكون بمعنى الواو لأن إلا للاستثناء، والاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأوَّل، والواو للجمع، والجمع يقتضي إدخال الثاني في حكم الأوَّل؛ فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

سورة البقرة الآية: (150) فلا حجة لهم فيه؛ لأن "إلا" ههنا استثناء منقطع، والمعنى: لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة، والاستثناء المنقطع كثير في كتاب الله تعالى وكلام

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 1/507-508

العرب، قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ سورة النساء الآية: (157) معناه لكن يتبعون الظن معناه لكن يتبعون الظن، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ سورة الليل الآية: (20) معناه لكن يبتغي وجه ربه الأعلى، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ سورة التين الآية: (5-6) معناه لكن الذي آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر[1].

المسألة الثالثة: "حاشا":

في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾سورة يوسف الآية: (31)

قال مكي- رحمه الله - : قوله: {وَقُلْنَ حَاشَ للَّهِ}: أي: معاذ الله، وحاشا يكون بمعنى التنزيه، وبمعنى الاستثناء، وهي هنا للتنزيه[2].

قال السمين: قوله تعالى: (حاش لله) حاشى عَدَّها النحويين من الأدوات المترددة بين الحرفية والفعلية، فإن جرت فهي حرف، وإن نصبت فهي فعل، وهي من أدوات الاستثناء ولم

---

[1] /ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 1/ 218)

[2] / مكي، الهداية ،مصدر سابق،5/ 354

يعرف سيبويه فعليتها وعرفها غيره[1].

وذهب الجرمي والمبرد والأخفش والفراء إلى أنها تستعمل كثيرًا حرفًا، وقليلًا فعلًا متعديًا جامدًا لتضمنه معنى (إلاّ) [2].

وذهب الزمخشري إلى تنزيلها منزلة المصدر قال: (والدليل على تنزيلها منزلة المصدر قراءة أبي السماك (حاشٍ لله) بالتنوين وقرأ أبو عمرو (حاشْ لله) بالسكون، على أن الفتحة تبعت الألف في الإسقاط، وهي ضعيفة من التقاء الساكنين على غير حده) [3].

إلاّ أن القراءة التي استشهد بها الزمخشري في تنزيل (حاشا) منزلة المصدر قدردها ابن جرير، بأنها قراءات ولغات غير معروفة، قال: (وأمّا القول في قراءات ذلك؛ فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأيّ القراءتين شاء إن شاء بقراء الكوفيين، وإن شاء بقراءة البصريين وهو (حاش لله) و(حاشى لله) لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، وما عدا ذلك فلغات لا يجوز القراءة بها لأنا لا نعلم قارئاً بها[4].

وممن ذهب من المتأخرين على حرفيتها ابن مالك – رحمه الله – حيث قال:

وكخلا حاشا ولا تصحب ما وقيل حاش وحش فاحفظهما[5]

قال ابن عقيل: ولا تصحب (ما) معناه: أن (حاشا) مثل (خلا) فلا تقول: قام القوم ما حاشا زيداً، وهذا الذي ذكر هو الكثير، وقد صحبتها (ما) قليلاً ففي مسند أبي أمية الطرسوس

---

[1] / الحلبي، الدر المصون ، مصدر سابق، 481/6.

[2] / ا بن هشام، المغني، مصدر سابق، ص 125.

[3] / الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، 465/2.

[4] / ابن جرير، جامع البيان، مصدر سابق 83/16.

[5] / ابن مالك، الألفية ،مصدر سابق ص50.

عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أسامة أحب النّاس إليَّ ما حاشا فاطمة) [1].

إلاّ أن الشيخ محمد محيي الدين استدرك على ابن عقيل قوله: (ما حاشا فاطمة) من النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جعل (حاشا) استثنائية، واستدلاله على أن (حاشا) الاستثنائية يجوز أن تدخل عليها (ما) قال وذلك غير متعين، بل يجوز أن يكون هذا الكلام من كلام الراوي يعقب به على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أسامة أحبَّ الناس إلي) يريد الراوي بذلك أن بين أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثن أحد من أهل بيته لا فاطمة ولا غيرها. فـــ(ما): نافية، وحاشى: فعل ماضي وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره (هو) يرجع للنبي عليه الصلاة والسلام، وفاطمة مفعول به منصوب، وليست (حاشا) هذه هي الاستثنائية، بل هي فعل متصرف تام تكتب ألفه ياء لكونها رابعة، ومضارعه الذي ورد في قول النابغة الذبياني:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه وما أحاشى من الأقوام من أحد[2]

ثم ذكر الفرق بين (حاشا) الاستثنائية، والفعلية من ستة أوجه هي:

الأوَّل: أن الاستثنائية تكون حرفًا وفعلًا وهذه لا تكون إلا فعلًا.

الثاني: أن الاستثنائية إن كانت فعلًا فغير متصرف وهذه متصرفة.

الثالث: أن فاعل الاستثنائية مستتر وجوبًا وهذه كغيرها من الأفعال الماضية فاعله مستتر جوازًا.

الرابع: أن ألف الاستثنائية تكتب ألفًا وهذه تكتب ألف ياء.

---

[1] / ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك،مصدر سابق، 239/2.

[2] / المصدر السابق، 239/2–240.

الخامس: أن الاستثنائية، يتعين فيها أن تكون من كلام صاحب الكلام الأوَّل السابق عليها، وهذه ليست كذلك، بل لو تكلم بها صاحب الكلام الأوَّل لقال: ما أحاشي، أو قال ما حاشيتُ، كما قال النابغة: وما أحاشي.

السادس: أن (ما) التي تسبق الاستثنائية مصدرية زائدة، وأمَّا التي تسبق هذه فهي نافية [1].

المسألة الرابعة: "سواء"

في قوله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية: (113)

قال مكي- رحمه الله- : قوله: {لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الكتاب}. هذا مردود على قوله: {مِّنْهُمُ المؤمنون وَأَكْثَرُهُمُ الفاسقون} ثم قال: {لَيْسُواْ سَوَآءً} أي: ليس المؤمنون والفاسقون سواء وتم الكلام، ويعني بذلك من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن. والفراء يقدره بمعنى ليست تستوي أمة من أهل الكتاب قائمة من حالها كذا وأمة على غير ذلك، وهو غلط من وجوه: أحدها أنه يقدر محذوفاً ولا يحل التمام سواء، وترتفع أمة بسواء، وإذا فعل ذلك لم يعد على اسم ليس ذكر وساء ليس بجار على الفعل فيرفع الظاهر، والمضمر الذي يضمر لا يدل على شيء من الكلام.

وأبو عبيدة يجعل {لَيْسُواْ} على لغة من قال: أكلوني البراغيث، ويجعل {أُمَّةٌ} اسم ليس و {سَوَآءً} الخبر ويقدر محذوفاً، وهو ذكر الكفار من أهل الكتاب، وهو بعيد لأن ذكر أهل الكتاب قد تقدم، فليس [هو] مثل أكلوني البراغيث لأنه لم يتقدم [له] ذكر. وتصغير {آنَآءَ} أوينا تبدل من الألف التي هي فاء الفعل واواً كما تقول: أويد في آدم، ومعنى الآية: أنه تعالى أعلمنا أنه ليس

---

[1] / ابن عقيل، شرح الألفية، مرجع سابق، 240/2.

أهل الإيمان من أهل الكتاب والكفر سواء، والضمير في {لَيْسُواْ} يعود على ما تقدم من ذكر المؤمنين والفاسقين (من أهل الكتاب فقال): من أهل الكتاب {أُمَّةٌ} شأنها بالمدح والثناء هذا مذهب البصريين.

والكوفيون يجعلون أمة مرفوعة بسواء والكلام عندهم متصل، وقد تقدم ما يدخل عليهم كأن تقديره عندهم لا يستوون من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة، قالوا: وترك ذكر الأخرى لدلالة ذكر المؤمنة عليها ومن مذهبهم ألا يجوز سواء علي قمت حتى تقول أم قعدت، وأجازوا هنا الحذف، ويجيزون الحذف إذا كان الكلام مكتفياً بواحد نحو ما أبالي، وما أدري لاكتفاء ما أبالي بواحد، أجازوا ما أبالي أقمت، وما أدري أجليت يريدون أم فعلت كذا ويحذفونه، ويلزمهم الا يجيزوا الآية على تأويلهم لأنهم لا يجيزون الحذف مع سواء لنقصانه، وقد أجازوه في الآية، وهذا تناقض لأنهم أجازوا في الآية ما لا يجوز في الكلام[1].

[1] / مكي، الهداية مصدر سابق،2/ 199

المبحث الثاني

اختيارات مكي في الأفعال

الفِعْلُ، بالكسر: حَرَكَةُ الإِنْسانِ، أو كِنايةٌ عن كُلِّ عَمَلٍ مُتَعَدٍّ، وبالفتح: مَصْدَرُ فَعَلَ، كمَنَعَ، وحياءُ الناقةِ، وفَرْجُ كلِّ أُنْثَى. وكـــ سحابٍ: اسمُ الفِعْلِ الحَسَنِ، والكَرَمُ، أو يكونُ في الخيرِ والشَّرِّ وهو مُخَلَّصٌ لفاعِلٍ واحد، وإذا كان من فاعلَيْنِ، فهو فِعالٌ، بالكسر، وهو أيضاً جمعُ فِعْلٍ، ونِصابُ الفأْسِ والقَدومِ ونحوِه[1]

وأما الْفِعْل اصطلاحًا فكلمة تدل على معنى مُخْتَصّ بِزَمَان دلَالَة الإفادة[2]. وسأخذ نماذج لبعض اختياراته في الفعل:

الأنموذج: الأوَّل الفعل الماضي:

في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية: (154)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكتاب تَمَاماً} الآية. {تَمَاماً} مفعول من أجله، وقيل: مصدر، و {أَحْسَنَ} فعل ماضي صلة {الذي}، وأجاز الكسائي والفراء أن يكون (اسماً) نعتاً " للذي " في موضع جر، وأجازا: " مررت بالذي أخيك "، ينعتان "الذي" بالمعرفة وما قاربها. وهذا خطأ عند البصريين، لأن " الذي " لم يتم بعد، فكيف ينعت بعض الاسم؟. والمعنى عند البصريين: تماما على (المحسن).

---

[1] / الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، مصدر سابق، 1/ 1043

[2] / الرماني، الحدود، مصدر سابق، 67/1

وأجاز الكسائي والفراء أن يكون {الذي} بمعنى " الذين " هنا. وقال المبرد: تقديره: تماماً على الذي أحسنه الله إلى موسى من الرسالة، والهاء محذوفة[1].

واختار مكي– رحمه الله– مذهب البصريين وهو الصواب للعلة التي ذكرها.

الأنموذج الثاني: الفعل المضارع في مسائل:

المسألة الأولى: توجيه قوله: (لم يتسنه) من قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة الآية: (259)

وروي أن عزيراً كان ممن سباه بخت تنصر ومضى به إلى إرض بابل فرأى عزير دير هرقل قد خرب، ومضى عليه حين من الدهر، فقال: كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وقد عمر الدير وذلك كله بأرض بابل. وعلى [أن] القرية بيت المقدس أكثر أهل التفسير.

وقوله: {لَمْ يَتَسَنَّهْ} من أثبت الهاء في الوصل، فهو من سنهت فسكون الهاء عَلَم الجزم، والهاء أصلية، وهو أحسن. ومعناه: أنه مأخوذ من " السَّنَةَ "، أي لم تأخذه السِّنُونَ وتحله.

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق، 3/ 2246

ومن قرأ " يَتَسَنَّه " فأصله يتسنن، من " سَنَّ المَاءَ " إذا تغير. فمعناه لم يتغير فأبدلوا من النون الأخيرة ياء، فقالوا: يتسنى كما قالوا: " تَقَضَّيْتُ " في " تَقَضَّضْتُ "، ثم حذفت الألف للجزم وزيدت الهاء في الوقف لبيان الحركة[1].

وما استحسنه هو الأحسن لموافقته للتفسير.

المسألة الثانية: العطف على الجواب في قوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية: (186)

وقوله: {وَيَذَرُهُمْ}. من قرأ بـــ " الياء "، رده على اسم الله سبحانه. ومن قرأ بـــ: " النُّونِ "، جعله على الإخبار من الله سبحانه عن نفسه.

ومن قرأ بـــ: " الرفع " قَطَعَهُ مما قبله، أو عطفه على مضوع ما بعد " الفَاءِ " وهو الرفع؛ لأن " الفَاءَ " ترفع ما بعدها من الأفعال.

ومن جَزَمَ، عطف على موضع " الفَاءِ "، لأنه لو وقع موضع " الفَاءِ " فِعْلٌ جُزِمَ على الجَزَاءِ، فالعطف على موضع " الفَاءِ " يُوْجِبُ الجَزْمَ.

ومعنى {وَيَذَرُهُمْ}، أي: ندعهم، {فِي طُغْيَانِهِمْ}، أي: في تماديهم[2]، واشار ابن مالك لذلك بقوله:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن بالفا أو الواو بتثليث قمن شرح

إذا وقع بعد جزاء الشرط فعل مضارع مقرون بالفاء أو الواو جاز فيه ثلاثة أوجه: الجزم والرفع والنصب وقد قرئ بالثلاثة قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} بجزم يغفر ورفعه ونصبه [3].

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 871/1

[2] / المصدر السابق، 2659/4

[3] / ابن عقيل، شرح الألفية ، مصدر سابق،4/ 39

ولعل قراءة النصب لم تسمع في هذه الآية فقد سمعت في آية البقرة فهو وجه جائز في العربية.

المسألة الرابعة: اختيار الجزم على الرفع في قوله: (ولا تسئل) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ سورة البقرة الآية: (119)

قال مكي–رحمه الله: قوله: {وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجحيم}. معناه التعظيم لما هم فيه كما تقول: " لا تسال عن فلان " أي قد بلغ فوق ما تظن، وقيل: هو نهي نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: " لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ "، فأنزل الله عز وجل، { وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجحيم} فما سأل عنهم صلى الله عليه وسلم حتى مات.

ومن قرأ بالرفع، فهو في موضع الحال، تقديره: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالحق بَشِيراً وَنَذِيراً} وغير مسؤول عن أصحاب الجحيم ".

وقيل: هو نفي، ولا " بمعنى " ليس كأنه قال: " ولست تسأل " كأنه أخبره أنه لا يسْأَلُ عن ذلك.

واختار جماعة الرفع لأن الكلام المتقدم يدل عليه، لأنه تعالى قال بعد الذكر اليهود والنصارى وما صنعوا: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالحق بَشِيراً وَنَذِيراً}. أي: بشيراً لمن اتبعك، ونذيراً لمن كفر بك، " غير مسؤول عمن كفر بك. ولم يجز ما يوجب النهي. فجري الكلام على أوله أولى من جريه على خبر آحاد يقطعه مما قبله لأن أوله قد ثبت نصه وصحته، وخبر الآحاد لا يحكم على صحة مغيبه. فرده على ما يقطع على صحته في الغيب أولى. ومع ذلك فقراءة أُبي وعبد الله تشهدان للرفع، لأن قراءة أبي، " وما تُسْأل "، وقراءة عبد الله: " ولن تُسْأل " وذلك يشهد أن الرفع بمعنى النفي.

وقال المحتج للجزم: إن الجزم إذا حمل على التعظيم لأمر من تقدم كان مردوداً على ما قبله فيصير مثل الرفع، ويزيد الجزم مزية، وهو أن يحمل على الخبر. فالجزم محتمل لمعنى الرفع وزيادة [1].

المسألة الخامسة: اختيار الجزم

وذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ سورة البقرة الآية: (233)

قوله: {لاَ تُضَآرَّ}. من رفع فهو خبر عن الله، معنى الأمر، ومعناه: لا تضار والدة في علم الله، ولا تكلف نفس إلا وسعها. والفتح أبين على النهي. ويجوز الكسر، لالتقاء الساكنين والفتح أخف.

وروى أبان عن عاصم " لاَ تُضَارِرْ " بالجزم والإظهار، وهي لغة أهل الحجاز، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، غير أن ابن مسعود يفتح الراء الأولى، وإجماع المسلمين أن تحريم المضارة للطفل من أبويه يدل على الجزم على النهي. كان اليزيدي يقول: " الرفع فيه معنى النهي " كأنه يريد أن الضمة ليست بإعراب، إنما هي لالتقاء الساكنين. وهذا بعيد لأنه يشبه النهي بالنفي. ومعنى الآية أن لفظها لفظ الخبر، ومعناها الإلزام، كما تقول: " حَسْبُكَ دِرْهَمٌ

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،419/1

". فلفظه لفظ خبر، ومعناه الأمر، فكذلك: {والوالدات يُرْضِعْنَ} هو على الإلزام ولفظه لفظ الخبر[1].

المسألة السادسة: اختيار النصب: في قوله: "يأمركم" من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية: (80)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الملائكة والنبيين} الآية من نَصَبَ يأمركم عطفه على الأوَّل على {يُؤْتِيهُ} كأنه وما كان لبشر أن يأمركم. ومن رفع قطعه من الأوَّل وتقديره عند سيبويه: ولا يأمركم الله، وعند الأخفش: وهو لا يأمركم. والتفسير يدل على النصب لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أتريد أن نعبدك، فأنزل الله {مَا كَانَ لِبَشَرٍ} أن يفعل كذا وكذا، ولا أن يأمركم بكذا فنفى عنه ما أسندوا إليه، ثم قال: ولكن له أن يقول ويأمر {كُونُواْ ربانيين}.

ثم قال: {أَيَأْمُرُكُم بالكفر} أي أيأمركم نبيكم بالكفر فهذا ظاهر الآية والتفسير، وهو تابع لقراءة النصب في المعنى.

وقيل المعنى أيأمركم الله بالكفر فهذا رد على قراءة من قراء بالرفع[2].

الأنموذج الثالث: فعل الأمر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (68)

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق، 1/ 781

[2] / المصدر السابق،610/2

قال مكي– رحمه الله–: قَوْله: {ادْع لنا رَبك} لُغَة بني عَامر ادْع لنا بِكَسْر الْعين لسكونها وَسُكُون الدَّال قبلهَا كَأَنَّهُمْ يقدرُونَ أَن الْعين لَام الْفِعْل فيجزمونها وَهُوَ فعل مجزوم عِنْد الْكُوفِيّين ومبني عِنْد الْبَصرِيين[1]

فعلة الكوفيين : إنما قلنا إنه معرب مجزوم لأن الأصل في الأمر للمُوَاجَهِ في نحو: "افْعَلْ" لِتَفْعَلْ، كقولهم في الأمر للغائب "ليفعل" وعلى ذلك قوله تعالى: "فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" [يونس: 58] في قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القرَّاء، وذُكِرَتِ القِرَاءةُ أنها قراءة النبي –صلى الله عليه وسلم– من طريق أُبَيٍّ بن كعب[2]

منهم من تمسك بأن قال: الدليل على أنه معرب مجزوم بلام مقدرة أنك تقول في المعتل "اغْزُ، وارْمِ، واخش" فتحذف الواو والياء والألف كما تقول "لم يغزُ، ولم يرمِ، ولم يخشَ" بحذف حرف العلة؛ فدل على أنه مجزوم بلامٍ مقدرة.

قالوا: ولا يجوز أن يقال "إن حرف الجر لا يعمل مع الحذف فحرف الجزم أولى؛ لأن حرف الجر أقوى من حرف الجزم؛ لأن حرف الجر من عوامل الأسماء، وحرف الجزم من عوامل الأفعال، وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال، فإذا كان الأقوى لا يعمل مع الحذف فالأضعف أولى[3]

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مبني على السكون لأن الأصل في الأفعال أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وإنما أعرب ما أعرب من الأفعال أو بني منها على فتحة لمشابهة ما بالأسماء، ولا مشابهة بوجه ما بين فعل الأمر والأسماء؛ فكان باقيًا على أصله في البناء.

---

[1] / مكي، المشكل، مصدر سابق،98/1

[2] /ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 2/ 430

[3] / المصدر نفسه، 2/ 435

أما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما قولهم "إن الأصل في افعل لتفعل" قلنا: لا نسلم، قولهم "كما قالوا للغائب: ليفعل" قلنا: فكان يجب أن لا يجوز حذف اللام منه، كما لا يجوز في الغائب، قولهم "إنما حذفت في الأمر للمواجهة لكثرة الاستعمال" قلنا: هذا فساد؛ لأنه لو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يختص الحذف بما يكثر استعماله دون ما يقل استعماله- نحو: احْرَنْجَمَ واعْرَنْزَمَ، واعْلَوَّطَ، واخْرَوَّطَ، واسْبَطَرَّ، واسْبَكَرَّ- وما أشبه ذلك من الأفعال؛ لأن الحذف لكثر الاستعمال إنما يختص بما يكثر في الاستعمال، ألا ترى أنهم قالوا في "لم يكن": لم يَكُ؛ فحذف النون لكثرة الاستعمال، ولم يقولوا في "لم يَصُنْ": لم يَصُ، ولا في "لم يَهُنْ": لم يَهُ، لأنه لم يكثر استعماله، وقالوا في "لم أُبَالِ"

وأما قولهم "إن فعل النهي معرب مجزوم، فكذلك فعل الأمر؛ لأنهم يحملون الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره" قلنا: حمل فعل الأمر على فعل النهي في الإعراب غير مناسب؛ فإن فعل النهي في أوله حرف المضارعة الذي أوجب للفعل المشابَهَةَ بالاسم، فاستحق الإعراب، فكان معربًا وأما فعل الأمر فليس في أوله حرف المضارعة الذي يوجب للفعل المشابهة بالاسم؛ فيستحق أن لا يعرب؛ فكان باقيًا على أصله في البناء.

والذي يدل على صحة ما ذكرناه وأنه ليس مجزومًا بلام مقدرة أن حرف الجر لا يعمل مع الحذف، فحرف الجزم أولى[1].

ومما يدل على بنائه أن أسماء الأفعال نحو حذام وقطام، إنما بنيت، لانها نابت عن فعل الأمر، والمشبه كالمشبه به، فثبت أنه مبني. هذه بعض النماذج لاختياراته في الأفعال وسأذكر في المبحث القادم بعض اختياراته في الأسماء.

[1] / ابن الأنباري، الإنصاف ، مصدر سابق،2/ 439- 441

المبحث الثالث

اختيارات مكي في الأسماء

" الاسم " فيه أربع لغات: "اسم" بكسر الألف وبضمها، و " سِم " بضم السين وبكسرها. فَمن ضَم الألف في الابتداء جعله من " سما يسمو " إذ ارتفع " كدعا يدعو ". ومَن كسرها جعله من سَميَ يَسْمَى " كرَضِيَ يَرْضَى ". قال ابن كيسان: " يقال: " سموت وسميت كعلوت وعليت، وأصله سُمْوٌ أو سِمْوٌ على وزن فُعْلٌ أو فِعْلٌ، ثم حذفت الواو استخفافاً لكثرة الاستعمال.

و" اسم " عند البصريين مشتق من السمو؛ يدل على ذلك قولهم في التصغير " سمي ". فرجعت اللام المحذوفة إلى أصلها، ورجعت السين إلى حركتها لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها.

وقال الكوفيون: " هو مشتق من السمة وهي العلامة لأن صاحبه يعرف به، وليس يسمو به، كما ذكر البصريون أن اشتقاقه من السمو وهو العلو ".

قال أبو محمد: وقول الكوفيين قول يساعده المعنى ويبطله التصريف[1]

أما الاسم اصطلاحًا: فهو ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وهو ينقسم إلى: اسم عين، وهو الدال على معنى يقوم بذاته، كزيد وعمرو، وإلى اسم معنى، وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجوديًّا كالعلم أو عدميًّا كالجهل[2].

وهذه بعض النماذج لاختياراته في الأسماء:

---

[1] / مكي، الهداية ا، مصدر سابق،1/ 90

[2] / الجرجاني علي بن محمد الزين المتوفى(816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ- 1983م 24/1

الأنموذج الأوَّل المرفوعات: فيه مسائل:

المسألة الأولى:

اختيار الرفع في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾سورة الفاتحة الآية (2)

قال مكي– رحمه–: والنصب جائز في الحمد في الكلام على المصدر، لكن الرفع فيه أعم لأن معناه إذا رفعتَه جميع " الحمد مني ومن جميع الخلق لله " وإذا نصبت فمعناه: "أحمد الله حمداً"، فإنما هو حمد منك لله لا غير. فالرفع يدل على أن الحمد منك ومن غيرك لله، فهو أعم وأكمل، فلذلك أجمع القراء على رفعه في جميع ما وقع في القرآن من لفظ {الحمد للَّهِ}، إذ لم يكن قبله عامل فإذا كان " الحمد " مبتدأ، و " لله " خبر، وهو في اللفظ بمنزلة قولك: " المال لزيد " في حكم الإعراب، وليس مثله في المعنى لأنك إذا قلت: " الحمد لله " أخبرت بهذا، وأنت معتمد أن تكون حامداً لله داخلاً في جملة الحامدين طالباً للأجر على قولك، مقراً إذا رفعته أن جميع الحمد منك ومن غيرك لله[1].

المسألة الثانية: اختياره في المصادر التي لا أفعال لها

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (79)

قال مكي– رحمه الله–: ومعنى " ويل " عند أهل اللغة: قبوح. وويح ترحم، وويس تصغير. وهذه مصادر لا أفعال لها. والاختيار فيها الرفع على كل حال بالابتداء. ويجوز فيها النصب على معنى: ألزمه الله ويلاً. فإن كانت مضافة حسن فيها النصب، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،99/1

لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾ سورة طه الآية: (61).

فأما ما كان من المصادر جارياً على الفعل، فالاختيار فيه الرفع إذا كان معرفة على الابتداء نحو: الحمد. ويجوز النصب على المصدر. فإن كان نكرة، فالاختيار في النصب على المصدر ويجوز الرفع على الابتداء، أو على معنى ثبت ذلك له. فإن كان مضافاً لم يجز إلا النصب كالأوّل[1].

المسألة الثالثة: اختيار الرفع في قوله "كلمة" من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة التوبة: (40)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {وَكَلِمَةُ الله هِيَ العليا}. قرأ علقمة، والحسن، ويعقوب: " وكلمة الله " بالنصب، وهو بعيد من وجوه.

أحدهما: أن الرفع أبلغ؛ لأنها لم تزل كذلك، والنصب يدل على أنها جُعلت كذلك بعد أن لم تكن علياً.

وَبَعيدٌ أيضاً: من أنه يلزم أن يقال: " وَكَلِمَتَهُ هي العُلْيَا "، لأنه لا يجوز في الكلام: " أَعْتَقَ زَيْدٌ غُلاَمَ أبي زَيْدٍ " والثاني هو الأوّل.

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،322/1

وزعم قول إن إظهار الضمير في هذا حسن؛ لأنّ فيه معنى التعظيم، ولأن المعنى لا يشكل، وليس بمنزلة زيد ونحوه الذي يشكل، قال: وهو مثل ما أنشد سيبويه:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفَقيرا [1]

المسألة الرابعة: اختيار الرفع في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ سورة يوسف الآية: (18)

قرأ عيسى بن عمر بالنصب على معنى: " فاصبر صبراً جميلاً " على المصدر. والرفع أبْلَغُ ، وأحسن، وإنما يختار النصب في الأمر خاصة. والصبر الجميل: هو الصبر الذي لا جزع معه[2].

الأنموذج الثاني المنصوبات: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى:

اختياره رأي سيبويه وجمهور البصريين في نصب قوله: "كتاب" من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ سورة النساء الآية: (24)

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 4/ 304

[2] / المصدر السابق، 321/5

قال مكي– رحمه الله–: قوله {كتاب الله عَلَيْكُمْ} نصب: كتاب (الله) عليكم: المصدر عند سيبويه، لأنه لما قال {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ} على أنه كتب ذلك، فالمعنى كتب الله عليكم ذلك كتاباً، وقيل نصبه على الإغراء أي: الزموا كتاب الله، وهذا قول ضعيف مردود، وهو قول الكوفيين لأن عليكم هو الذي يقوم مقام الفعل في الإغراء، وهو لا ينصرف ولا يجوز تقديم المفعول عليه عند أحد، لا يجوز زيد عليك، ونصبه عند بعض الكوفيين على الحال كأنه قال: كتاب الله عليكم[1].

المسألة الثانية: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾سورة النساء الآية: (69)

قال مكي– رحمه الله–: قولهم: {وَمَن يُطِعِ الله والرسول} الآية. المعنى من يطع الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم بتسليم لأمرهما والرضا بحكمهما، فهو مع الذين أنعم الله عليهم لأنبيائه، وأهل طاعته في الآخرة {وَحَسُنَ أولئك رَفِيقاً} أي: وحسن الأنبياء ومن معهم رفيقاً.

{رَفِيقاً} منصوب على الحال عند الأخفش، بمعنى رفقاء، وقال الكوفيون: نصبه على التفسير، وقال بعض البصريين نصبه على التمييز[2].

ويؤيد الدارس نصبه على التمييز لأن العرب تقول: حسن أولئك من رفقاء، كرم زيد من رجل فدخول من دال على التمييز والله أعلم.

المسألة الثالثة: وقوع المصدر حالًا

في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 2/ 181

[2] / المصدر السابق، 2/ 138

عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ سورة الأنعام الآية: (31)

قال مكي– رحمه الله–: و {بَغْتَةً} نصب على الحال، وهو مصدر في موضع الحال عند سيبويه، ولا يقاس عليه غيره[1]. فهو عنده على التأويل بالوصف أي: باغتة.

وذهب الأخفش والمبرد إلى أن نحو ذلك منصوب على المصدرية، والعامل فيه محذوف، والتقدير: طلع زيد يبغت بغتة، وجاء يركض ركضًا، وقتلته يصبر صبرًا؛ فالحال عندهما الجملة لا المصدر[2].

وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب على المصدرية كما ذهبا إليه، لكن الناصب عندهم الفعل المذكور لتأوله بفعل من لفظ المصدر؛ فـ"طلع زيد بغتة" عندهم تأويل: "بغت زيد بغتة" و"جاء ركضًا" في تأويل: ركض ركضًا، و"قتلته صبرًا" في تأويل: صبرته صبرًا. وقيل: هي مصادر على حذف مصادر، والتقدير طلع زيد طلوع بغتة، وجاء مجيء ركض، وقتلته قتل صبر. وقيل: هي مصادر على حذف مضاف، والتقدير: طلع ذا بغتة، وجاء ذا ركض، وقتلته ذا صبر[3].

ومع كون المصدر المنكر يقع حالا بكثرة هو عندهم مقصور على السماع، قاسه المبرد؛ فقيل: مطلقا، وقيل: فيما هو نوع من عامله، نحو: "جاء زيد سرعة"، وهو المشهور عنه . وقاسه ابن مالك وابنه في ثلاثة:

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 202/3

[2] / المبرد، المقتضب،مصدر سابق، 312/4

[3] /الاشموني علي بن محمد بن عيسى المتوفى(900هـ) شرح الألفية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1419هـ –1998م، 9/2

الأوّل: قولهم: "أنت الرجل علما" فيجوز: أنت الرجل أدبا ونبلا، والمعنى الكامل في حال علم وأدب ونبل.

الثاني: نحو: "زيد زهير شعرا" و"الأظهر أن يكون تمييزا".

الثالث: نحو: "أما علما فعالم"، تقول ذلك لمن وصف عندك شخصا بعلم وغيره منكرا عليه وصفه بغير العلم، والناصب لهذه الحال هو فعل الشرط المحذوف، وصاحب الحال هو المرفوع به، والتقدير: مهما يذكر إنسان في حال علم فالمذكور عالم. ويجوز أن يكون ناصبها ما بعد الفاء وصاحبها الضمير المستكن فيه، وهي على هذا مؤكدة، والتقدير: مهما يكن من شيء فالمذكور عالم في حال علم. فلو كان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، نحو: "أما علما فهو ذو علم"؛ تعين الوجه الأوّل [1].

ويتلخص للدارس أنّ قوله تعالى: {بَغْتَةً} : في نصبها أربعة أوجه، أحدها: أنها مصدرٌ في موضع الحال من فاعل «جاءَتْهم» أي: مباغتةً، وإمَّا من مفعوله أي: مَبْغوتين. الثاني: أنها مصدرٌ على غير الصدر؛ لأنَّ معنى «جاءتهم» بَغَتَتْهُمْ بغتة، فهو كقولهم: «أتيته رَكْضاً» . الثالث: أنَّها منصوبةٌ بفعلٍ محذوف من لفظها، أي: تَبْغَتُهم بَغْتة. الرابع: بفعلٍ من غير لفظها، أي: أتتهم بغتة.

الأنموذج الثالث المخفوضات: اختياره في"غير" من قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾سورة الفاتحة الآية: (7)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {غَيْرِ المغضوب} " خفض على النعت " للذين " من قوله {صِرَاطَ الذين}، وحَسَنٌ ذلك لأنه شائع لا يراد به جمع بعينه فصار كالنكرة، فجاز نعته " بغير "، و " غير " نكرة وإن أضيفت إلى معرفة. ويجوز أن تخفض " غير " على البدل من الذين. وقد

[1] / الأشموني، شرح الألفية، مصدر سابق، 2/ 10

قرئ بالنصب على الحال أو على الاستثناء، وقد شرحت هذا في كتاب: " مشكل الإعراب " بأشبع من هذا[1].

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق،114/1

المبحث الرابع

في تفسير الجمل واشباه الجمل وذكر أحكامها

الجملة في اللغة: جماعة الشيء بكماله من الحساب وغيره يقال أجملت له الحساب والكلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ سورة الفرقان الآية: (32)}، وقد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة[1].

أما الجملة عند النحويين: عبارة عن الفعل وفاعله نحو (قَامَ زَيْدٌ) والمبتدأ وخبره (زيدٌ قَائمٌ) وما كان بمنزلة أحدهما: نحو (ضُرِبَ اللَّصُ) و(أقائمٌ الزيدان) و(كان زَيْدٌ قائماً) و(ظننتهُ قَائماً)[2]. وسأتناول الجمل باعتبار الإعراب لعلاقته بالدراسة على النحو التالي:

أولًا: الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

الإعراب في اللغة: قال الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة يقال: أعرب عنه لسانه وعَرَّب أي: أبان وأفصح، وأعرب عن الرجل: بين عنه. وعَرَّب عنه: تكلم بحجته وحكى ابن الأثير عن أبي قتيبة: الصواب يعرب عنها[3].

و أمَّا الإعراب عند النحويين: فهو تغيير آخر الكلم بعامل[4].

أولًا: الجمل التي لا محل لها من الإعراب سبعٌ:

الابتدائية (المستأنفة)، والمعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديداً، والتفسيرية

---

[1] / ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 128/11.

[2] / ابن هشام، المغني، مصدر سابق، ص 357.

[3] / ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، 588/1.

[4] / الرماني، رسالة في الحدود، مصدر سابق، ص 67.

وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه، والجملة المجاب بها القسم، والواقعة جواباً لشرط غير جازم مطلقاً، والواقعة صلةً لاسم حرف، التابعة لما لا محل لها من الإعراب، وبدأتُ بها لأنها لم تحل محل المفرد، وذلك الأصل من الجمل، وبنحو ما عرفتها عرفها ابن هشام [1] وسآخذ بالتطبيق منها بعض النماذج:

الأنموذج الأوَّل: الجملة المعترضة:

مسألة: كثيرًا ما تشتبه الجملة المعترضة بالجملة الحالية ويميز ذلك أمور منها: أنها تكون غير خبرية كالأمرية كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة آل عمران الآية: (73)

قال مكي- رحمه الله- : قوله {وَلاَ تؤمنوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} الآية. قال المبرد: فيها تقديم وتأخير، وتقديرها عنده: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى مثلما أوتيتم {أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله}، وقيل تقديرها: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لمن تبع [دينكم] واللام زائدة، ومعنى ذلك أنهم قالوا لضعفائهم: لا تصدقوا أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم من علم ورسالة وشرف، إلا لمن تبع دينكم، فصدقوا أن يؤتى مثلما أوتيتم.

وقيل معناها على هذا التقدير: ولا تصدقوا أن تكون الرسالة إلا فيكم. وقيل: تقديرها قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم أي كراهة أن يؤتى كأنه بعد أن يؤتى اليهود مثلما أوتي المؤمنون، فتكون على هذا المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته[2].

---

[1] / ابن هشام، مغني اللبيب، مصدر سابق، ص 363- 388.

[2] / مكي، الهداية ، مصدر سابق،2/ 1046

وقرأ ابن عباس ومجاهد وعيسى بن عمرو، وابن كثير أن يؤتى بالاستفهام معناه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولا يؤمنون؟ مثل **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾سورة القلم الآية: (14-15) أي: من أجل هذا قال كذا وكذا.

وقرأ الأعمش (إن يؤتي بكسر إن فجعلها بمعنى " ما " على معنى ما يؤنى أحد مثلما أوتيتم.

وقد زعم قوم أنه لحن لحذف النون من يحاجوكم وليس هو لحن عند أهل النظر لأن (أن) تضمر مع أو، فهي مضمرة ناصبة للفعل، ومن جعل في الكلام تقديماً وتأخيراً فاللام زائدة، ومن في موضع نصب استثناء ليس من الأوّل.

ومن قدر الآية على وجهها، ولم يقدر تقديماً ولا تأخيراً جعل اللام أيضاً زائدة أو متعلقة بمصدر، كأنه: لا تجعل تصديقكم إلا لمن تبع دينكم بأن يؤتى أحد.

وقال الفراء: يجوز أن يكون قد انقطع كلام اليهود عند قوله " دينكم " ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: { قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} أي: البيان بيان الله {أَن يؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ}، أو: لا يؤتى أحد، " وإن عنده بمعنى لا، ولذلك دخلت " أحد " في الكلام هنده.

وقوله: {إِنَّ الهدى هُدَى} معناه: الهدى إلى الخير بيد الله يؤتيه من يشاء، فلا تتكروا أيها اليهود أن يؤتى أحد سواكم مثلما أوتيتم، فإن أنكروا وهو معنى " يحاجوكم عند ربكم " فقل يا محمد: {إِنَّ الفضل بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ}.

وقال الأخفش: {أَوْ يُحَآجُّوكُمْ} معطوف على {تؤمنوا} معناه ولا تصدقوا أن يحاجوكم، أي: قالت اليهود لضعفائها:

لا تصدقوا بأن يحتجوكم أحد عند ربكم فيما أنكرتم من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[1].

وقال الفراء: أو بمعنى حتى. وقال مجاهد: {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} اعتراض في الكلام وسائر الكلام متصل. فالأوَّل خبر عن اليهود ومعناه {وَلاَ تؤمنوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ}، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثلما أتيتم، ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم، أي: ليس يحاجوكم أحد عند ربكم ثم قال تعالى بعد ذلك: قل يا محمد: {إِنَّ الفضل بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ}.

وقوله {أَن يؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ}. قيل: هو إخبار عما قالت اليهود لضعفائها، أي: لا تكون النبوة إلا فيكم، وقيل معناه: لا يكون العلم والشرف إلا فيكم، وقيل: هو إخبار من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم معناه: لا يؤتي أحد من الأمم مثلما أوتيت يا محمد وأمتك من الإسلام والهدى، وهذا قول السدي.

ومعنى: {أَوْ يُحَآجُّوكُمْ} إلا أن يحاجوكم، وهذا التأويل لا اعتراض فيه، ولا تقديم ولا تأخير، وأن في موضع رفع خبر عن الهدى، والتأويل الأوَّل يقع فيه التقديم والتأخير وأن في موضع نصب على ما ذكرنا، وذلك حسداً، قالوا لضعفائهم من اليهود: لا يكون نبي مثل نبيكم ولا كتاب مثل كتابكم.

وقال الزجاج: معنى الآية: أن اليهود قالت لا تجعلوا تصديقكم لنبي في شيء مما جاء به إلا اليهود، ولا تقولوه للمشركين، فإن ذلك إن قلتموه لهم كان عوناً لهم على تصديقه.

وقال أكثر المفسرين: معناه لا تصدقوا أن يعطى أحد مثلما أوتيتم من علم، ولا تصدقوا أن يحاجوكم أحد: لا يكونوا لأحد حجة عند الله إلا من كان مثلكم[2].

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق، 2/ 147

[2] / المصدر السابق، 2/ 149

الأنموذج الثاني: الجملة المجاب بها القسم

مسألة: وقع لمكي- رحمه الله- وهم في جملة الجواب، فأعربها إعرابًا يقتضي أن لها موضعًا، في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية: (12)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {قُل لِّمَن مَّا فِي السماوات والأرض قُل للَّهِ} الآية.

قوله {الذين خسروا} في موضع رفع بالابتداء. ويجوز أن يكون في موضع نصب على البدل من المضمر في {لَيَجْمَعَنَّكُمْ}، وهو قول الأخفش. وقيل: {لَيَجْمَعَنَّكُم} بدل من {الرحمة} على معنى التفسير لها[1].

الأنموذج الثالث: الجملة المفسرة

في قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ سورة المائدة: (117)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ} الآية. قوله: {أَنِ اعبدوا الله}: (أن) مفسرِّة لا موضع لها من الإعراب، بمنزلة (أَنِ امْشوا)، وقيل: هي في موضع نصب على معنى: ما ذكرت لهم إلا عبادة الله.

---

[1] /مكي، الهداية ، مصدر سابق، 3/ 167

وزاد النحاس وجه ثالث قال: ويجوز أن تكون في موضع خفض أي: بأن اعبدوا، وضمّ النون أجود لأنهم يستثقلون كسرة بعدها ضمة والكسر جائز على أصل التقاء الساكنين[1] قال ابن هشام: إن الجملة المفسرة لا محل لها من الإعراب خالف فيه الشلوبين، فزعم أنها بحسب ما تفسره، فهي في نحو: "زيد الخبز يأكله" بنصب الخبز في محل رفع، وكأن الجملة عنده عطف بيان أو بدل، ولم يثبت الجمهور وقوع البيان والبدل جملة.

ثانيًا: الجمل التي لها محل من الإعراب:

وهي سبع جملٍ أيضًا: الواقعة حالًا، الواقعة مفعولًا، المضاف إليها، الواقعة بعد الفاء أو الواو أو جواب الشرط جازم، التابعة لمفرد، التابعة لجملة بها محل من الإعراب، وزاد ابن هشام جملتين عليها هي المستثناة، والمسند إليها، وسآخذ بالتطبيق عليها بعض النماذج:

الأنموذج الأوَّل: الجملة الحالية في مسائل:

المسألة الأولى: هل يقع الفعل الماضي حالًا؟

قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلَۢا ﴾ سورة النساء الآية: (90)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} الآية.

المعنى: إلا الذين جاؤوكم قد ضاقت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، فدخلوا فيكم، فلا تقتلوهم، {وَلَوْ شَآءَ الله لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ} أي: لسلط عليكم هؤلاء الذين يتصلون بقوم بينكم

[1] / ابن هشام، مغني اللبيب، مصدر سابق، 383

وبينهم ميثاق، والذين يجيئونكم قد {حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} أي: ضاقت عن قتالكم، وقتال قومهم، فيقاتلوكم مع اعدائكم من المشركين، ولكن الله كفهم عنكم[1].

هذا نقلٌ لإجماع البصريين إلى أن الفعل الماضي الواقع حالًا لا بد معه من "قد" ظاهرة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ سورة الأنعام الآية: (119)، أو مضمرة نحو قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ سورة النساء الآية: (90)

ولهم في ذلك حججٌ؛ قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز أن يقع حالًا، وذلك لوجهين أحدهما: إن الفعل الماضي لا يدل على الحال، فينبغي ألا يقوم مقامه[2].

الثاني: إنما يصلح أن يقوم مقام الحال ما يصلح فيه "الآن" و"الساعة"، نحو: مررتُ بزيدٍ يضربُ، نظرتُ إلى عمرو يكتبُ؛ لأنه يحسن أن يقترن به الآن والساعة. وهذا لا يصلح في الماضي، فينبغي ألا يكون حالًا... ولا يلزم من كلامنا إذا كان مع الماضي "قد" يجوز أن يكون حالًا، نحو: مررتُ بزيدٍ قد قامَ، وذلك لأن "قد" تُقرب زمن الماضي من الحال، فجاز أن يقع حالًا.

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق، 2/ 141

[2] / ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 206/1

أما الكوفيون، فذهبوا إلى أنه يجوز أن يقع حالًا، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين. واحتجوا على الجواز بالنقل والقياس، أَمَّا القياس فقوله تعالى: (أو جاءكم حصرت صدورهم)، فـ(حصرت) فعل ماضي، وهو في موضع الحال، وتقديره: حَصِرةً صدورهم، والدليل على صحة هذا التقدير: قراءة من قرأ "أو جاءوكم حَصِرَةً صدورهم"، وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب الحضرمي.

وأَمَّا القياس، فلأن كل ما جاز أن يكون صفة لنكرة، نحو: مررتُ بالرجلِ قاعداً، أو: بالغلامِ قائماً، جاز أن يكون حالًا، والفعل الماضي يجوز أن يكون صفة للنكرة، نحو: مررتُ برجلٍ قعدَ، و: غلامٍ قامَ. فينبغي أن يجوز أن يقع حالاً للمعرفة، نحو: مررتُ بالرجلِ قعدَ، و: بالغلامِ قامَ... وما أشبه ذلك،

والذي يدل على أنا أجمعنا على أنه يجوز أن يقوم الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ...﴾سورة المائدة الآية : (110)

أي: يقول، وإذا جاز أن يقام الماضي مقام المستقبل، جاز أن يقام الماضي مقام الحال[1].

وهذا المذهب يرتضيه الدارس؛ وذلك لأمور:

أحدها: دلالة النقل والقياس عليه.

الثاني: حجية قراءة من قرأ "أو جاءوكم حَصِرةً صدورهم".

الثالث: قراءة الجمهور:(حصرتْ) فعلًا ماضيًا يؤكد أنها حال.

[1] / ابن الأنباري، الإنصاف، مصدر سابق، 206/1

الرابع: مذهب لاتباع الأيسر دون تقدير، وهو أمر دعت إليه السنة؛ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه... الحديث[1].

ولعلَّ ما مضي يوحي بأنَّه يرضى لنفسه مذهب البصريين .

المسألة الثانية: قوله: "تطهرهم" و"تزكيهم" في قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾سورة التوبة: (103)

قال مكي- رحمه الله-: قوله: {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ}، هو خطاب للنبي عليه السلام. أي: فإنك تطهرهم بها وتزكيهم، وهذا قول الزجاج.

وقيل: هما للصدقة، لا للمخاطبة، وهما في موضع النعت للصدقة، وهو قول الأخفش، قال: ويكون {بِهَا} توكيداً.

فـــ: " التاء " على القول الأوَّل للمخاطبة، وفي {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ} ضمير النبي صلى الله عليه وسلم. وهي على القول الثاني: الثانية للصدقة لا للمخاطبة، وفي {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ} ضمير الصدقة.

وقيل: هما للنبي عليه السلام، وهما في موضع الحال منه.

وقيل: {تُطَهِّرُهُمْ} للصدقة، صفة لها، {وَتُزَكِّيهِمْ} للنبي عليه السلام، حال منه، وأجاز بعض النحويين، في {تُطَهِّرُهُمْ} الجزم؛ لأنه جواب الأمر[2].

---

[1] / مسلم بن الحجاج، شرح النووي، دار الخير، 1416هـــ، كتاب الفضائل، باب: مباعدة النبي صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، رقم الحديث 2327.

[2] / مكي، لهداية ،مصدر سابق، 4/ 314

قال السمين الحلبي: قد ردوا عليه بأن الواو عاطفة أي صدقة مطهرة ومزكيًا بها، ولو كانت بغير واو جاز، وقال: وجه الفساد ظاهر فإن (الواو) مشتركة لفظًا ومعنىً فلو كانت و(تزكيهم) عطفًا على (تطهرهم) للزم أن تكون صفة كالمعطوف عليه، إذ لا يجوز اختلافهما، لكن يجوز ذلك على أن (تزكيهم) خبر مبتدأ محذوف وتكون (الواو) للحال تقديره: أنت تزكيهم، وفيه ضعف لقلته في كلامهم[1].

يتلخص للدارس من ذلك أن الجملتين يجوز أن تكونا حالين من فاعل (خذ) على أن تكون التاء للخطاب، وأن تكونا صفتين لصدقة، على أن التاء للغيبة، والعائد محذوف من الأولى. وأن تكون تطهرهم صفة أو حالًا على ما جوزه مكي. وأن تكون تزكيهم خبر مبتدأ محذوف، والواو للحال، والذي تبين للدارس أن أحرى الأقوال بالصواب – والله أعلم – إن جملة (تطهرهم) هي صفة ترجع للنبي صلى الله عليه وسلم والواو عاطفة وجملة (وتزكيهم) معطوفة وبنحو ما قال: يقول الزجاج.

الأنموذج الثاني: الجملة المستثناة

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ سورة هود الآية: (81)

قال مكي– رحمه الله–: قوله: {قَالُواْ ياالوط إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يصلوا إِلَيْكَ} – إلى قوله – {بِبَعِيدٍ}. والمعنى: قالت له الرسل، لما ضاق، ونزل الركب، فقال لقومه ما قال: {لَن يصلوا

[1] / الحلبي، الدر المصون، مصدر سابق، 116/6.

إِلَيْكَ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ} – بسوء – {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الليل}: أي: اخرج بهم في بقية من الليل، وفي طائفة منه، {إِلاَّ امرأتك} نهى أن يخرج بها.

ومن قرأ بالرفع، فالمعنى: " ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك " فيكون قد خرج بها، فالتفتت تنظر ما حل بقومها، فأصابها ما أصابهم. ومن نصب فعلى الاستثناء.

وفي قراءة ابن مسعود: " فأسر بأهلك إلا امرأتك ". وهذا يدل على الاستثناء، والمعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك، فيكون المعنى: إنه خرج بهم إلا امرأته، وإنه لم يخرج بها. والنهي في الالتفات، إنما وقع على من خرج معه، إلا امرأته {إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ} من العذاب[1].

على قراءة الرفع قوله: "امرأتك" مبتدأ، وجملة: "إنه مصيبها ما أصابهم" خبره، وجملة " إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم" في محل نصب مستثناه.

الأنموذج الثالث: الجملة المسند إليها

مسألة هل الفاعل ونائبه يكونان جملة؟

المشهور المنع، وأجازه ابن هشام وثعلب مطلقًا نحو: "يعجبني قام زيد" ، وفصل الفراء وجماعة ونسبوه لسيبويه فقالوا إن الفعل قلبيًا ووجد معلق عن العمل نحو: " ظهر لي أقام زيد" صح، وإلا فلا[2]

وفي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ سورة يوسف الآية: (3)

---

[1] / مكي، الهداية ، مصدر سابق،5/ 345

[2] / ابن هشام، المغني، مصدر سابق، ص404

قال مكي– رحمه الله–: وقوله: {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيات لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حِينٍ} قيل: سنة، وقيل: سبع سنين. والحين: اسم للزمان يقع للقليل والكثير. وفاعل {بَدَا} عند سيبويه ليسجننه.

وعند المبرد مضمر، وهو المصدر: كأنه بدا لهم بداء. والعرب تقول: بدا ليَّ بدءاً " أي تغيّر رأيي عمّا كان عليه، ومنهم من يقول: " قد بدا لي "، ولا يذكر " بدا " لكثرته في الكلام. وهذا من ذلك.

وقيل: المعنى: ثم بدا لهم رأي، ثم حذف الرأي. لأن الكلام يدل على المعنى، أي: ظهر لهم رأي لم يكونوا يعرفونَهُ، ثم حذف الرأي.

فالمعنى: ثم ظهر للعزيز رأي أن يسجنه، وأخبر عنه بلفظ الجمع لأنه ملك ولأنه لم يذكر اسمه. فالمعنى: ثم ظهر للعزيز رأي أن يسجن يوسف من بعدما كان ظهر له أن يتركه مطلقاً، ومن بعدما رأوا الآيات ببراءته، وهي: (قد) القميص من دبر، وقطع أيدي النسوة، وخمش الوجوه. ومعنى {حتى حِينٍ}: إلى سبع سنين[1].

وقد ذكر الحلبي في قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا} : في فاعله أربعة أوجه، أحسنها: أنه ضمير يعود على السَّجن بفتح السين أي: ظهر لهم حَبْسُه، ويدل على ذلك لفظة «السِّجن» في قراءة العامة، وهو بطريق اللازم، ولفظُ «السَّجن» في قراءة مَنْ فتح السين.

الثاني: أن الفاعل ضمير المصدر المفهوم مِنْ الفعل وهو «بدا» أي: بَدا لهم بداءٌ، وقد صَرَّح الشاعرُ به في قوله:

لَعلَّكَ والموعُودُ حقٌّ لِقاؤُهُ بَدا لَكَ فِي تِلْكَ القَلُوص بَدَاءُ[2]

---

[1] / مكي، الهداية، مصدر سابق، 359/5

[2]/ البيت لمحمد بشير الخارجي ينظر: ابن هشام، المغني ص388، والسيوطي، الهمع، 247/1

الثالث: أن الفاعلَ مضمرٌ يدلُّ عليه السياق، أي: بدا لهم رأيٌ. والرابع: أنَّ نفسَ الجملة مِنْ «لَيَسْجُنُنَّه» هي الفاعل، وهذا من أصول الكوفيين. و «حتى» غايةٌ لما قبله. وقوله: «لَيَسْجُنُنَّه» على قول الجمهور جوابٌ لقسم محذوف، وذلك القسمُ وجوابه معمول لقولٍ مضمر، وذلك القولُ المضمر في محلِّ نصب على الحال، أي: ظهر لهم كذا قائلين: واللَّه لَيَسْجُنُنَّه حتى حين. وقرأ الحسن «لَتَسْجُنُنَّه» بتاء الخطاب، وفيه تأويلان، أحدهما: أن يكونَ خاطب بعضُهم بعضاً بذلك. والثاني: أن يكونَ خوطب به العزيز تعظيماً له[1]. والذي يترجح للدارس أن يقال: إنها جواب لقسم مقدر، وأن المفسر مجموع الجملتين هذا تحقيقها. والله أعلم.

[1] / الحلبي، الدر المصون ، مصدر سابق، 494/6

خاتمة:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلىرضوانه صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى جميع الآل والإخوانه.

وبعد:

هذا جهد دارس لا يدعي الكمال فيما قدم، لكن يرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة في خدمة هذه اللغة الخالدة، فإن كان في هذه الدراسة من صواب فمن الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وحسبي الاجتهاد، ويجدر بي في هذا المقام أن اتمثل بما قاله ابن العماد الاصفهاني: (إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلا النقص على جملة البشر)(1)

فقد توصلت بعد هذا السفر إلى جملة من النتائج والتوصيات أوجزها في الأتي:

أولًا: النتائج:

1/ كان يغلب علي مكي المذهب البصري، فيصف مذهبهم بالجودة والحسن، ولعل السبب في ذلك معاصرته للمهلبي وابن القوطية وأبو علي القالي وغيرهم، إذ طبع نحو الأندلسيين عند ذاك بالطابع البصري في أغلب مسائله وقواعده؛ إلا أنه كان لا يتقيد به في جميع آرائه واختياراته، وإنما كان ينظر فيها وينتقي منها ما كان أسعد بالدليل.

2/ نقل مكي في تفسيره عن عدد كبير من النحاة على اختلاف مذاهبهم، مما يوحي بنظرته الشمولية ومنهجيته التوسعية في طلب الرأي السديد.

---

[1] / ياقوت الحموي، مصدر سابق، 5/ 3 نقلًا عن ابن العماد

3/ جاءت الشواهد الشعرية قليلة قياسًا بالشواهد القرآنية .

4/ لا يميل مكي كثيرًا إلى الاحتجاج بالحديث الشريف في إثبات القاعدة النحوية شأنه في ذلك شأن النحاة الأوئل.

5/ يذكر مكي أحيانًا مسائل الخلاف دون ترجيح. ولعله في ذلك كأبي أَبِي حَنِيفَةَ – رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي سُؤْرِ الْحِمَارِ لَمَّا تَسَاوَى عِنْدَهُ الدَّلِيلَانِ تَوَقَّفَ عَنْهُ(1).

6/ اعتمد مكي القياس في اثبات القاعدة النحوية، سوى أنه لا يرى القياس على النادر والجوار.

7/ يرى مكي أنَّ القرآن من أقوى مصادر الإحتجاج اللغوي، وأن إجماعه أقوى حجة من إجماع كلام العرب.

8/ للإجماع دور بارز عند مَكِّيّ فهو يأتي في المرتبة التى تلي السماع والقياس، كما أنه احتج بأنواع أخرى من الإجماع، منها إجماع العرب، وإجماع أهل اللغة، وإجماع القراء.

9/ عد مَكِّيّ الاستصحاب من الأدلة المعتبرة في إثبات القواعد ، كما أنه دائم التنبيه على الأصل مما جعله كثير الاستصحاب له.

10/ ربط مكيّ بين وجوه التفسير والإعراب لذا كانت له وقفات انتقادية لبعض النحويين، وهو حينما ينتقد رأيًا ينتقده بطريقة معتدلة يصل من خلاله إلى تقرير المسألة.

ثانيًا: التوصيات:

1/ دراسة الاعتراض النحوي في هذا التفسير لما له من قيمة عالية تكشف عن العلة النحوية عند كبار النحاة.

---

[1] / الزركشي محمد بن عبدالله المتوفى(794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، الطبعة الأولى 1414هـ–1994م 8/ 126

2/ دراسة قواعد الاستدلال النحوي في هذا التفسير وهي قواعد عامة تشمل الأبواب والجزئيات.

3/ دراسة الشواهد النحوية في هذا التفسير.

تمت بحمد الله

الفهـــــارس العامـــــــــة

فهرس الآيات القرانيـــــــة

فهرس الأحاديث النبويـــــة

فهرس الأبيات الشعريـــــة

فهرس المصادر و المراجع

فهرس الموضـــــــوعات

فهرس الآيات القرآنيَّة

الآية	السّورة	رقم الآية	رقم الصّفحة
﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾	الإسراء	48	38
﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾	الإسراء	38	
﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾	مريم	93	135
﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾	طه	64	53
﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾	الأنبياء	63	105
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾	الحجّ	49	37
﴿ ... يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾	النُّور	43	76
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾	الفرقان	32	161
﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	النَّمل	51	38
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ ...﴾	القصص	58	87
﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾	لقمان	(3-2)	115

﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾	سبأ	11	37
﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾	الصَّافات	147	99
﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴾	غافر	84	128
﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾	فصّلت	10	37
﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾	محمَّد	22	136
﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴾	الرَّحمن	70	131
﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ ... ﴾	الحشر	12	86
﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	القلم	(15-14)	162
﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾	القيامة	40	103
﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴾	الإنسان	20	128
﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾	الإنسان	24	100
﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾	الطَّارق	4	107 و108
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴾	اللَّيل	20	142
﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾	التِّين	(6-5)	142 و155

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الصفحة
"أرشدوا أخاكم، فإنه قد ضل"	74
كَانَ إِذا أَراد الغائطَ أَبْعَدَ فِي المَذْهَبِ	74
(أسامة أحب النّاس إليَّ ما حاشا فاطمة)	140
" لَيْتَ شِعْري مَا فَعَلَ أَبَوَايَ "	145
ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما	163

فهر الأبيات الشعرية

قافية الهمزة	
البيت	الصَّفحة
في أرضِ أندلسَ تلتذُّ نعماءُ ولا تفارقُ فيها القلبَ سرَّاءُ	7

قافية الباء	
البيت	الصَّفحة
فاليوم قربْت تهجُونا وتشتُمنا فاذْهب فما بك والأيَّامِ من عجب	46 و95
ومَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدينة رَحلُه فَإنِّي وَقَيَّارٌ بَهَا لَغَريبُ	96

قافية الحاء	
البيت	الصَّفحة
بَدَتْ مثل قَرْنِ الشمس في رَوْنَقِ الضُّحَى وصُورَتِهَا أو أَنْتِ في العَيْنِ أَمْلَحُ	99

قافية الدَّال	
البيت	الصَّفحة
ابني لُبَيْنَى لَسْتُم بيد إلا يد ليست لها عضد	51
والحال إن عُرِّف لفظاً فاعتقد تنكيره كوحدك اجتهد	116

قافية الرَّاء	
البيت	الصَّفحة
وعمدتي قراءة ابن عامر وكم لها من عاضد وناصر	47
وَإِنَّ كِلاَباً هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بِرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِها العَشْرِ	110

قافية العين	
البيت	الصَّفحة
إنما النحو قياس يُتَّبع وبه في كل أمر يُنتفع	57
لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي أن بيتي واسع	86
لَقَدْ عَلِمَتْ أُولَى المُغيرَةِ أَنَّني لحِقتُ فَلم أَنْكُلْ عَن الضَّرب مِسْمَعا	52
وكأنها بين النساءِ سبيكة تمشي بسدة بَيْتِهَا فَتَعي	103

قافية الكاف	
البيت	الصَّفحة
عليك باقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا	19

قافية اللام	
البيت	الصَّفحة
فليحرص السعيد في تحصيله ولا يمل قط من ترتيله	39

قل لمن يبغى المـــرا والجـــــــدلا فـــــي البراهــين وذكـــــر البــدلا	13
وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا	98

قافية الميم	
البيت	الصَّفحة
مشين كما اهتزّت رماح تَسَفّهَتْ أعاليها مَرُّ الرِيّاح النواسم	61
لقد كانَ في حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُه تَقَضّي لُباناتٍ وَيَسْأَمُ سائِمُ	90
سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَ أَبًا ثُمَّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ	101

فهرس المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. ابن الأثير علي بن أبي الكرم المتوفى(630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر (ت/ط).
2. إحسان عباس المتوفى(1424هـ)، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة بيروت، الطبعة الأولى 1960م.
3. أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى القزويني المتوفى(395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى1418هـ،1997م.
4. أحمد شعبان، أصول النحو عند ابن مالك، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ /2005م.
5. الأشموني علي بن محمد بن عيسى المتوفى(900هـ) شرح الألفية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1419هـ -1998م.
6. ابن الأنباري، أسرار العربية، تحقيق يوسف بركات هبود، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ/1999م .
7. ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1377هـ /1957م .
8. ابن الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1424هـ /2003م .
9. ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الأنصاري المتوفى(577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقا الأردن، الطبعة الثالثة 1402هـ /1985م.
10. ابن بشكوال القاسم خلف بن الملك المتوفى(578هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي الطبعة الثانية1374هـ /1955م .

11. بكر بن عبدالله المتوفى(1429هـ)، طبقات النسابين، دار الرشد الرياض الطبعة الأولى1407هـ- 1987م .

12. التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ المتوفى(1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الأولى1968م

13. الجرجاني علي بن محمد الزين المتوفى(816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ- 1983م .

14. الجرجاني علي بن محمد بن علي المتوفى(816هـ)، رسالة في أصوال الحديث، تحقيق علي زوين، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1407هـ .

15. أبو جعفر الضبي أحمد بن يحيى المتوفى(599هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي القاهرة، (ط)1967م .

16. أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن اسماعيل المتوفى(338هـ)، إعراب القران، تحقيق عبدالمنعم خليل ابراهيم، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1427هـ .

17. جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلى الشافعي المتوفى (864هـ)، شرح الورقات للجويني، تحقيق: حسام الدين موسى عفانة، جامعة القدس – فلسطين، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

18. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القطفي المتوفى(646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ .

19. ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1421هـ/2000م.

20. ابن حجر العسقلاني المتوفى(845هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق محمد العومة، دار الرشيد سو يا، الطبعة الأولى 1806هـ- 1986م .

21. أبو الحسن الروماني، علي بن عيسي بن علي بن عبدالله المتوفى(384هـ)، رسالة في الحدود، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، (د.ت).

22. أبو الحسن علي بن أبي الآمدي المتوفى(631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، تحقيق عبدالرزاق عفيفي، المكتب الاسلامي بيروت لبنان (د، ت).

23. خالد بن عبدالله الأزهري المتوفى(905هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى142هـ،2000م.

24. الخطيب البغدادي المتوفى(463هـ)، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى1422هـ- 2002م.

25. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد المتوفى(808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ـ1408هـ -1988م .

26. ابن خلِّكان، أبو العباس شمس الدين بن أحمد المتوفى (681هـ)، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر(ط) 1900 م .

27. خليل ابراهيم السامراي، عبدالواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 200م .

28. الذهبي، محمد بن عثمان المتوفى(748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى1417هـ /1977م.

29. الذهبي، العبر في تاريخ من عبر، تحقيق أبوهاجر السعيد البسيوني ذغلول، دار الكتب العلمية بيروت، (ت/ط) .

30. الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، الطبعة 1427هـ /2006م.

31. الزجاج، ابراهيم بن السري بن سهل المتوفى(310هـ)، معاني القران، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولي1408هـ /1988م.

32. الزركشي محمد بن عبدالله (974هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي الطبعة الأولى،1414هـ-1994م.

33. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد المتوفى(1369هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر2002م.

34. السمعاني عبد الكريم بن منصور المتوفى (562هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني، مجلس دار المعارف العثمانية حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى 1382هـ /1962م.

35. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر المتوفى (180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة 1408هـ /1998م 148/1

36. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى(911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر(د/ط) .

37. السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية.

38. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فواد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1418هـ ، 1998م.

39. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية لبنان صيدا، (ط/ت).

40. السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى،1387هـ/1967م.

41. السيوطي، سبب وضع العربية، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ/ 1988م .

42. السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر المتوفى(911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية ، لبنان صيدا، 298/2

43. شمس الدين أبو الخير بن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف، شرح طيبة النشر في القراءات، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ-2000م.

44. شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد البجائي المتوفى(860هـ)، الحدود في النحو، تحقيق نجاة حسن عبدالله نولي، الجامعة الاسلامية المدينة المنورة، 1421هـ- 200م .

45. شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد بن محمد المتوفى (860هـ)، الحدود في النحو، تحقيق نجاة حسن عبد الله، الجامعة الإسلامية، طبعة العدد 122/ 1421هـ .

46. شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام المتوفى(1426هـ)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية عشر.

47. ضياء الدين ابن الأثير المتوفى(637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبابة، دار نهضة مصر للطباعة القاهرة، (ط/ت).

48. الطبري، جامع البيان، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م.

49. طرفة بن العبد بن سفيان، الديوان، تحقيق محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1423هـ 2002م.

50. أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى(756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، (ت،ط) .

51. أبو العباس أحمد بن محمد المتوفى(770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت،(ط/ت)

52. عبد السلام محمَّد هارون، معجم شواهد العربيَّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثَّالثة، 1433هـ - 2002م.

53. العكبري، التبيان في إعراب القران، تحقيق علي محمد البيجاوي، مكتبة علي عيسى الحلبي وشركاؤه(ط/ت) .

54. ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي المتوفى(769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين، دار التراث القاهرة، الطبعة العشرون 1400هـ ، 1980م.

55. عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، الطبعة الأولى 1401هـ- 1981م .

56. أبو الفتح، عثمان ابن جني المتوفى(392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (الطبعة الرابعة د/ت).

57. أبو الفداء، عماد الدين بن اسماعيل صاحب حماة المتوفى(732هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى(ط/ت).

58. الفراء، يحيى بن زكريا المتوفى(207هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح شلبي، دار المصرية للترجمة والتأليف، الطبعة الأولى(ت/ط)

59. ابن فرحون إبراهيم بن علي المتوفى(799هـ)، الديباج في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للنشر(ت/ط).

60. ابن الفرضي المتوفى(403هـ)، تاريخ علماء الأندلس ، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م .

61. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب المتوفى(817هـ)،البلغة في تراجم النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م.

62. أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى(544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق ابن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بن شريفة، مطبعة فضالة المحمدية ،المغرب، الطبعة الأولى(ت/ط) .

63. ابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى(672هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، الطبعة الأولى(ت/ط).

64. ابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى(672هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، الطبعة الأولى(ت/ط).

65. ابن مالك محمد بن عبدالله المتوفى(672هـ)، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى1414هـ

66. المبرد محمد بن يزيد الثمالي المتوفى(285هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت 312/4

67. المبرد: محمد بن يزيد أبو العباس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (ط/ت).

68. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى(817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة 1426هـ-2005م.

69. أبو المحاسن الفضل بن محمد التنوخي المتوفى(442هـ)، تاريخ العلماء، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة القاهرة، الطبعة الثانية 1412هـ- 1992م

70. محمد أحمد مفلح القضاة وأحمد خالد شكري وخالد منصور، مقدمات في علم القرآن، دار عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.

71. محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى(666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت لبنان صيدا، الطبعة الخامسة 1420هـ-1999م

72. محمد بن فتوح الحميدي المتوفى(488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة 1966م .

73. محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى1427هـ/2006م .

74. محمد محمد محمد سالم محيصن المتوفى (1422هـ)، معجم حفاظ القران عبر التاريخ، الطبعة الأولى 1412هـ /1992م .

75. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله علي، المتوفى (574هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين غباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ- 1992م

76. المراكشي، عبد الواحد بن علي المتوفى(647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا بيروت، الطبعة الأولى1426هـ /2006م.

77. مسلم بن الحجاج، شرح النووي، دار الخير، 1416هـ.

78. مَكِّيّ بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة ،(ط/ ت).

79. مَكِّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى/1429هـ /2008م .

80. مكي، الرعاية لتجويد القران وتحقيق التلاوة، تحقيق أحمد فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 1427هـ /1997م.

81. مكي، مشكل إعراب ،تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة، 1405هـ.

82. ابن منظور، محمد بن مكرم المتوفى(711هـ)، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى1414هـ .

83. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى(393هـ)، مختار الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة 1407هـ /1987م.

84. اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان المتوفى(768هـ)، مرآة الزمان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصو، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ/1997م.

85. ياقوت الحموي المتوفى(626هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، 1995م .

86. ياقوت الحموي المتوفى(626هـ)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الشرق العرربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1414هـ-1993م.

87. يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1394 هـ - 1974م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
استهلال	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
مستخلص البحث	د
Abstrat	هـ
مقدِّمة	1
الفصل الأوَّل ترجمة مكي بن أبي طالب	8
المبحث الأوَّل: توجيهات البيئة لشخصية مَكِّيّ	9
المبحث الثاني: صفات مكي وأخلاقه، عقيدته ومذهبه	21
المبحث الثالث: حياة مكي العلمية	26
المبحث الرابع: آثارمكي العلمية	34
الفصل الثاني: موقف مَكِّيّ من أصول النحو	46
المبحث الأوَّل: موقف مكي من السماع	47
المبحث الثاني: موقف مكي من الإجماع والقياس	72
المبحث الثالث: الاستصحاب وقواعد الاستدلال عند مَكِّيّ	84
الفصل الثالث: موقف مَكِّيّ من المذاهب النحوية واعتراضاته على بعض آراء النحويين	97
المبحث الأوَّل: مفهوم المذهب	98
المبحث الثاني: موقف مكي من البصريين	109
المبحث الثالث: موقف مكي من الكوفيين	135
المبحث الرابع: موقف مكي من المصطلحات النحوية	139
المبحث الخامس: اعتراضات مكي على بعض آراء النحويين	148
الفصل الرابع: اختيارات مَكِّيّ النحوية	160
المبحث الأوَّل: اختيارات مكي في الحروف وذكر استعمالاتها	161
المبحث الثاني: اختيارات مكي في الأفعال	179
المبحث الثالث: اختيارات مكي في الأسماء	187
المبحث الرابع: في تفسير الجمل واشباه الجمل وذكر أحكامها	195

خاتمة 208
أولًا– النتائج 208
ثانيًا– التوصيات 209
الفهارس العامة 211
فهرس الآيات القرانية 212
فهرس الأحاديث النبوية 214
فهرس الأبيات الشعرية 215
فهرس المصادر و المراجع 218